المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

مجلة معهد المخطوطات العربية

المجلد السادس والعشرون — الجزء الأول

جمادى الآخرة ١٤٠٠ هـ

مايو (أيار) ١٩٨٠ م

المخطوطات العربية فى العالم

تطور فهرسة المخطوطات فى العراق

بقلم : كوركيس عواد *

حاولنا غير مرة ، الإلمام بما تحتضنه مكتبات العراق من مخطوطات ، فتراءى لنا من خلال ذلك ، أن الأمر لا يتم إلا بتعيين مظان هذه المخطوطات أولا ، وبفهرسة مجاميع تلك المخطوطات ثانياً . وكانت أول محاولة جرت لنا فى هذا السبيل ، نبذة نشرناها قبل نحو من ربع قرن ، وسميناها بـ « فهارس المخطوطات فى العراق » (١) .

وبعد نحو من خمسة عشر عاماً ، عدنا إلى هذا الموضوع بالزيادة والتنقيح ، فنشرنا مقالة ثانية بذلك العنوان نفسه (٢) .

وها نحن أولاء اليوم ، وقد خطا فن الفهرسة فى العراق خطوات واسعة فى السنوات الأخيرة ، نعاود النظر فى هذا الموضوع ، بما يتناسب وتقدم الفهرسة على أيدى جماعة من المعنيين بهذا الفن ، وبازدياد عدد المكتبات فى ربوعه ، واتساع آفاق الثقافة بين أبنائه .

ولا أدل على تلك العناية البالغة ، من أن أنوه بالنشرات الكثيرة المختلفة المناحى ، التى أصدرتها طائفة من مكتبات العراق فى أثناء السنوات العشر الماضية ، كمطبوعات كل من المكتبة المركزية بجامعة بغداد ، والجامعة

---

* عضو المجمع العلمى العراقى ، وعضو مجمع اللغة العربية بدمشق .

(١) مجلة المجمع العلمى العربى (٢١) دمشق ١٩٤٦ (ص ٥٣٨ – ٥٤٣) .

(٢) المعارف . مجلة أصدرها محمدحسن آل الطالقانى (النجف ١٩٦٠) العددان ٢ – ٣ ، ص ٣١ – ٣٥٣) .

المستنصرية ، وجامعة البصرة ، ومكتبة المتحف العراقى ، ومكتبة الأوقاف العامة ، والمكتبة الوطنية ببغداد ، وغيرها .

اشتهرت بلدان العراق فى الأزمنة القديمة التى سبقت عصر الميلاد بمكتبات كانت تزخر بها المعابد والقصور ودور السجلات ، وذلك فى عهود السومريين والبابليين والأشوريين وغيرهم من الدول الغابرة التى حكمت بعض أنحائه . أما فى الحقبة الممتدة بين بدء التاريخ الميلادى وظهور الإسلام ، فقد كانت هنالك مكتبات كثيرة كانت ترى فى الغالب فى المدارس والمعابد والديارات .

وبعد انتشار صناعة الورق فى العراق ، فى العصور الإسلامية ، ازداد عدد المخطوطات بسبب ازدهار الحركة الفكرية وكثرة العلماء والمؤلفين ، فاهتم الناس بجمع الكتب . فكثرت الخزائن الحافلة بالمخطوطات ولا سيما فى المساجد والمدارس وسائر معاهد العلم . كما عنى كثير من الناس بتكوين خزائن خاصة بهم ، كانوا يختزنونها فى بيوتهم ، ويتنافسون فى استجماع أمهات التصانيف ، ويغالون فى اقتنائها ، ويبذلون الغالى والنفيس فى سبيل إحرازها ( ) .

ثم أصاب العراق نكبات ، فقل العلماء وقلت العناية بجمع الكتب ، ولكنها لم تعدم ، فقد بقى عدد من العلماء يؤلفون ويجمعون الكتب ، وظلت فى كثير من الجوامع مكتبات موقوفة ولكنها قليلة .

أما فى يومنا هذا ، فإننا نجد فى سائر أنحاء العراق ، مكتبات كثيرة العدد زاخرة بالكتب، ومن تلك المكتبات ، ما كان عاماً يؤمه المطالعون من أى صنف كانوا ، ومنها ما كان مرتبطاً بالجامعات والكليات والمجامع

---

(١) فصلنا القول فى تلك الخزائن القديمة الغابرة ، فى كتابنا « خزائن الكتب القديمة فى العراق منذ أقدم العصور حتى سنة ١٠٠٠ للهجرة » . (مطبعة المعارف — بغداد ١٩٤٨ ، ٣٤٦ ص) .

والمعاهد والمؤسسات العلمية ودواوين الدولة . ومنها ما يخص أفراداً من العلماء والباحثين ومحبي الكتب . ولا تخلو طائفة حسنة من هذه المكتبات العامة والخاصة من مخطوطات قيمة ، فيها النادر والنفيس والقديم والجدير بالتحقيق والنشر .

ومن يتتبع شئون المخطوطات فى العراق ، يجد أن العناية بفهرستها أخذت تزداد سنة بعد أخرى ، حتى صار فى مقدورنا أن نعثر على جملة صالحة من فهارس تلك المخطوطات . ومع ذلك ، ما زلنا نجد فى ديار العراق مكتبات ذات مخطوطات جمة تنتظر من يعنى بفهرستها وتعريف كنوناتها للنـــاس .

إن فهرسة المخطوطات العربية ، قد سارت بخطى سريعة واسعة فى فى سائر أنحاء العالم . فإن كثيرا من العلماء والباحثين ، شرقيين ومستشرقين ، قد أولوا هذا الأمر بالغ عنايتهم ، حتى وضعوا جمهرة كبيرة من المخطوطات التى ترى اليوم فى القاهرة واستانبول ودمشق وبغداد والموصل وحلب والإسكندرية ودمياط والنجف وتطوان والرباط وفاس وتونس والجزائر وبيروت والقدس وطورسينا وصنعاء ومشهد وطشقند وبانكيبور وغيرها من بلدان الشرق العربى والإسلامى .

كما وضعوا مجاميع واسعة النطاق مما فى البلدان الأوربية من مخطوطات ولا سيما فى برلين وباريس ولندن ولينغراد وأكسفرد وكمبردج وليدن وليبسج وغوطا وفينا والفاتيكان والأسكوريال ودبلن وأبسالة . هذا فضلا عن بعض المدن الأميركية كمدينة برنستن ونيوهافن وكليفلند وواشنطن .

إن الفهارس التى وضعت فى صفة مخطوطات خزائن الشرق والغرب تعد من أنفس المراجع وأوثقها فى الوقوف على دفائن تلك الخزائن .

ولقد عنى جماعة من أفاضل الباحثين ، بوضع دليل أو « فهرس عام » لهذه الفهارس التى تصف خاصة المخطوطات العربية المنبثة فى أقطار المعمورة

أولهم الدكتور يوسف أسعد داغر . فقد صنف كتاباً حافلا ، ، عنوانه « فهارس المكتبة العربية فى الخافقين » . وطبعه فى بيروت سنة ١٩٤٧ فى ٢٠٢ ص (١) .

وتلاه المستشرقان الفرنسيان جورج فايدا ومادلين دورانتيه ، فنشرا فهرساً ضم بين دفتيه أسماء ما صنف من فهارس وأثبات للمخطوطات العربية شرقاً وغرباً ، وطبعاه فى باريس سنة ١٩٤٩ (٢) .

وأعقبهم المستشرق الهولندى هويسمان ، فوضع فهرساً واسع النطاق ، أكمل من سابقيه . وطبعه فى ليدن سنة ١٩٦٧ (١) .

ولابد من أن ننوه فى هذا الصدد بثلاثة مؤلفات عظيمة الشأن ، تدخل هذا المدخل . أعنى أن مؤلفيها قد ذكروا فى تضاعيف مصنفاتهم ، طائفة كبيرة من مخطوطات العراق . وإن كان ما ذكروه قد تشتت وتناثر فى مختلف صفحات مؤلفاتهم . هذه الكتب الثلاثة هى :

---

(١) نوه بشىء مما نشر من فهارس المخطوطات فى العراق ، فى الصفحات ٣٨ و ٣٩ و ٥٢ .

(٢) VAJDA (GEORGES); DURANTET (MADELINE) : REPERTOIRE DES CATALOGUES ET INVENTAIRES DE MANUSCHITS ARABES. (PARIS, 1949 , 48.r).

وقد نوها ببعض الفهارس العراقية ، فى الصفحة ٢٤ الرقم ١٨٧ والصفحة ٣٦ الرقم ٢٢ — ٢٥ .

(١) HUISMAN (A.J.W.) , LES MANUSCRITS ARABES DANS LE MONDE : UNE BIBLIOGRAPHIE DES CATALOGUES. (LEIDEN 1967; 99 p.

وقد نوه بما وقف عليه من فهارس عراقية ، فى الصفحات ٤٤ — ٤٦ .

١ – تاريخ الأدب العربى (١) : تأليف المستشرق الألمانى كارل بروكلمان ، المتوفى سنة ١٩٥٦ .

طبع متن الكتاب ثانية فى مجلدين (ليدن ١٩٤٣ – ١٩٤٩) . وطبع « الذيل » عليه فى ثلاثة مجلدات ضخام (ليدن ١٩٣٧ – ١٩٤٢) :

٢ – الذريعة إلى تصانيف الشيعة : تأليف الشيخ أغا بزرك الطهرانى ، المتوفى سنة ١٩٧٠ . وقد طبع منه عشرون جزءاً تقع فى ثلاثة وعشرين مجلداً . (النجف – طهران ١٩٣٦ – ١٩٦٩) ، ولم يكمل طبعه :

٣ – تاريخ الآداب العربية (٢) تأليف العالم التركى فؤاد سزكين : صدر مجلده الأول فى ليدن سنة ١٩٦٧ ، ويشتمل على علوم القرآن والحديث والتاريخ والفقه والعقائد والتصوف .

لقد حاولنا فى هذا البحث ، أن نستقصى ذكر ما ألف من « فهارس » المخطوطات التى تحوزها مكتبات العراق . فأصبنا منها بالبحث المتواصل ، شيئاً لا يستهان به . ورأينا ، تسهيلا لرجوع القارىء ، أن نبوب بحثنا هذا ، على وفق السياقة الهجائية لمظان تلك المخطوطات المفهرسة .

والمواطن العراقية التى تدخر جانباً من هذه المخطوطات ، هى : البصرة ، بغداد ، تلكيف ، دير السيدة ، دير مار بهنام ، دير مارمتى ، زاخو ، سامراء ، عقرة ، قرة قوش ، الكاظمية ، كربلاء ، كركوك ، مندلى ، الموصل ، النجف :

---

(١) BROCKEMANN (CARL) ; GESCHICHTE DER ARABISCHEN LITTERATUR. (5VOLS, LEIDEN, 1937. 1949).

(٢) SESGIN (FUAT), GESCHICHTE DES ARABISCHEN SCHCHRITTTUMS. (VoL. I., LEIDEN, 1967).

البصـــرة

تزخر مدينة البصرة بجملة مكتبات ، عامة وخاصة ، ولا يخلو بعضها من مخطوطات ، وقد اشتهرت من بينها بمخطوطاتها :

١ ـ المكتبة العباسية :

وهى خزانة أسرة باش أعيان العباسى المعروفة . تعد من أوسع مكتبات البصرة وأبعدها شهرة . فيها نحو من (١٥٠٠) مخطوط ، لم يصدر فى وصفها جميعاً فهرس كامل ، وإنما نشر بعض الباحثين نبذاً ومقالات فى التعريف بجملة صالحة من تلك المخطوطات وهذا ما وقفنا عليه منها :

١ ـ أشارت مجلة العرفان (١) ، إلى ست من نفائس مخطوطات هذه المكتبـة .

٢ ـ وصف على الخاقانى ، فى خمس مقالات نشرها فى مجلة الغرى (٢). (٤١) مجلداً من مخطوطات هذه المكتبة .

٣ ـ فى مقالنا الموسوم « مدينة البصرة : مكتباتها ومخطوطاتها » ، المنشورة سنة ١٩٥٥ (١) . نوهنا بسبع عشرة مخطوطة تحرزها هذه المكتبة .

٤ ـ أعاد على الخاقانى الاهتمام بمخطوطات هذه المكتبة ، فأمضى فى

---

(١) العرفان : (٢٧) صيدا ١٩٣٧ (ص ٢٣٣) .

(٢) الغرى (٨) النجف ١٩٤٦ — ١٩٤٧ (ص ٥٩ — ٦٠ ، ٩٣ — ٩٤ ، ١٢٣ — ١٢٤ ، ١٤٩ ، ١٦٩ — ١٧٠) .

(١) مجلة معهد المخطوطات العربية . (١) القاهرة ١٩٥٥ (٣٦٣ — ١٦٩) . المراجعة فى الصفحة ١٦٥ — ٦٦ .

أرجائها أكثر من شهرين ، عرف فى أثنائها بما وقف عليه من مخطوطات ، وهى تناهز (١٥٠٠) مخطوط بين كبير وصغير ، منها ما قد طبع ومنها ما لم يطبع . وقام من هذه الدراسة كتاب يقع فى ٣٢٢ صفحة كبيرة ، طبع منه قسمان تضمنا وصف ٧٩١ مخطوطة (٢) .

٥ — نوه مصطفى مرتضى الموسوى ، بثمانى عشرة مخطوطة من هذه المكتبة ، فى جملة ما صورته اليونسكو من مكتبات العراق (٣) :

٢ — مكتبة محمد أحمد المحامى :

كان فى هذه المكتبة مجموعة من المخطوطات العربية والفارسية ، عندى فيها فهرس مخطوط تاريخه ٢٠ آذار ١٩٦٣ ، منقول عن نسخة مكتوبة بالآلة الكاتبة لدى الأستاذ حسين الشيخ خزعل . ويتضمن التنويه بـ (٤٩٤) مخطوطة ، منها (٤٠٠) مخطوطة عربية و(٩٤) فارسية .

وكنا قد نوهنا بست عشرة مخطوطة فى مقالنا المذكور آنفاً (٤) .

وقد اقتنت جامعة البصرة هذه المجموعة الخطية ، وضمتها إلى مكتبتها المركزية (٥) .

وأشار مصطفى مرتضى الموسوى إلى (١٤) مخطوطة من هذه المكتبة ،

---

(٢) مخطوطات المكتبة العباسية فى البصرة . (مجلة المجمع العلمى العراقى ٨ (١٩٦١) ص ٢١٨ — ٣١٣ ، ٩ (١٩٦٢) ص ٣٦٥ — ٤٢٨) . وقد أفرد ذلك فى رسالتين طبعتا فى مطبعة المجمع العلمى العراقى . (بغداد ١٩٦١ — ١٩٦٢ ، ٩٨ و ١٣٦ ص) .

(٣) فهرست المخطوطات العربية المصورة فى العراق من قبل اليونسكو . (مطبوع بالرونيو — بغداد ١٩٦٨ ، ص ٦١ — ٦٢) .

(٤) مجلة معهد المخطوطات العربية (١ : ١٦٦ — ١٦٧) .

(٥) أصدرت هذه المكتبة ثبتاً مطبوعاً بالرونيو ، نوهت فيه بمخطوطات هذه المجموعة المقتناة .

وهى مما صورتها أيضاً اليونسكو (١) .

٣ — المكتبة المركزية لجامعة البصرة :

فيها أيضاً (٦٣) مخطوطة ، وضعها صباح محمد على كاظم ، فى فهرست طبعته المكتبة بالرونيو (٢) .

وذكر مصطفى مرتضى الموسوى (١٢) مخطوطة صورت من هذه المكتبة (٣) .

٤ — مكتبة آل القزوينى :

أنشأها السيد محمد مهدى الكاظمى القزوينى ، المتوفى سنة ١٩٣٩ . وقد آلت إلى ولده السيد أمير محمد مهدى القزوينى . فيها نحو من مئة مخطوطة ، ذكرنا منها (٢٥) مخطوطة فى بحثنا المشار إليه عن مكتبات البصرة (٤) .

٥ — مكتبة اللواء المركزية العامة بالبصرة :

فيها شىء من المخطوطات ، نوه مصطفى مرتضى الموسوى بثلاث منها (٥) .

---

(١) فهرست المخطوطات العربية المصورة فى العراق . (ص ٦٥) .

(٢) فهرست المخطوطات العربية فى خزانة المكتبة المركزية لجامعة البصرة (البصرة ، تموز ١٩٦٨ ، ١٨ ص) .

(٣) فهرست المخطوطات العربية المصورة . (ص ١٩٦٣) .

(٤) مجلة معهد المخطوطات العربية (١ : ١٦٨ — ١٦٩) .

(٥) فهرست المخطوطات العربية المصورة فى العراق . (ص ٦٤) .

بغداد

لا ريب أن مدينة بغداد ، أغنى مدن العراق بمكتباتها المختلفة ، وبالثروة الخطية العظيمة التى تحرزها تلك المكتبات . وسنتناول بالبحث مجاميعها المخطوطة التى وضع لها فهارس وأثبات . وقد صنفنا تلك المجاميع الخطية إلى صنفين أساسيين .

الأول : المخطوطات العائدة إلى المكتبات العامة وشبه العامة والتابعة لسائر المؤسسات العلمية والثقافية والدينية ؛

الثانى : المخطوطات العائدة إلى المكتبات الخاصة . وهى التى يحرزها جماعة من الناس المعنيين بشؤون المخطوطات ، المكلفين باستجماعها .

وقد رتبنا مجاميع كلا الصنفين على وفق السياق الهجائى لأسماء أصحابها .

أولا : فهارس مخطوطات المكتبات العامة وما إليها :

١ ـ مكتبة الآثار :

وتعرف بـ « مكتبة المتحف العراقى » التابعة لمديرية الآثار العامة . بلغ مجموع ما فيها اليوم من مخطوطات (٦٤٨٢) مخطوطة ، بينها نوادر ونفائس مختلفة . ويدخل فى ضمنها ، مجموعة مخطوطات مكتبة كل من الأب أنستانس مارى الكرملى ، ويعقوب سركيس ، ورشيد عالى الكيلانى ، والملا صابر ، وأحمد نيازى ، وغيرهم ممن آلت مكتباتهم إلى هذه المكتبة . هذا إلى ما اقتنته الآثار من مخطوطات طوال السنوات الأربعين الماضية ، وإلى ما توارد إليها من هدايا وهبات خطية متفرقة .

ولم يتأت نشر فهارس كاملة تستوعب ذكر مخطوطاتها كافة : على أن لجميع هذه المخطوطات سجلا عاماً مخطوطاً ، هذا إلى فهرس مكتوب على بطاقات ومصنف وفقاً لأسماء المؤلفين ، ولعناوين الكتب ، وللموضوعات .

أما المنشور من « فهارس » و « أثبات » جزئية لمخطوطات هذه المكتبة ، ففي وسعنا التنويه به في ما يأتي :

١ — فهرس المخطوطات العربية في مكتبة المتحف العراقي ببغداد : من تأليفنا . صدر منه الأجزاء الآتية :

أولا : المخطوطات التاريخية : نشرناه في مجلة « سومر » (١٣)١٩٥٧ (ص ٤٠ — ٨٢) . ثم أفردناه في رسالة . . (مطبعة الرابطة — بغداد ١٩٥٧ ، ٤٤ ص) . وقد وصفنا فيه (٢٠٤) مخطوطات تبحث في التاريخ والأخبار والتراجم والسير .

ثانياً : المخطوطات الأدبية : نشرناه في سومر (١٤ (١٩٥٨) ص ١٢٧ — ١٧٩) . ثم أفردناه في رسالة على غرار سابقة . (مطبعة الرابطة بغداد ١٩٥٨ ، ٥٣ ص) . وصفنا فيه (٢٨١) مخطوطة تتناول دواوين الشعر والمجاميع الشعرية وسائر كتب الأدب المنثور .

ثالثاً : مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة : نشرناه أيضاً في سومر ١٥ (١٩٥٩) ص ٢٥ — ٥٢) . ثم أفردناه في رسالة كالقسمين السابقين . (مطبعة الرابطة — بغداد ١٩٥٩ ، ٢٨ ص) . وقد وضعنا فيه (١١٧) مخطوطة في الطب والتشريح والمواد الطبية والبيطرة .

فمجموع ما فهرسناه في هذه الأقسام الثلاثة من مخطوطات مكتبة الآثار ، قد بلغ ستمائة ومخطوطتين .

٢ — وفي مقالنا « مخطوطات مكتبة المتحف العراقي » المنشور في مجلة معهد المخطوطات العربية (١ (١٩٥٥) ص ٣٧ — ٤٨) ، نوهنا بنحو من سبعين مخطوطة منوعة مما في هذه المكتبة .

٣ — ومثل ذلك ، ما صنعنا في بحثنا الموسوم بـ « مكتبة المتحف العراقي

فى ماضيها وحاضرها (١) . فقد ذكرنا فيه (سومر ١١) (١٩٥٥) ص ١٣٥ - ١٣٩) من نفائس مخطوطات هذه المكتبة (٥٩) مخطوطة حرية بالعناية والتحقيق .

٤ - وكنا نشرنا بحثاً بعنوان « مخطوطات الكرمليين فى خزانة المتحف العراقى » (سومر ٧)١٩٥١(ص ٢٧٨ - ٢٨٣) ، ونوهنا فيه بست وعشرين من أمهات تلك المخطوطات .

٥ - ونشر عبد الحميد الدجيلى (٢) ، بحثاً بعنوان « مخطوطات ثمينة فى خزانة المتحف العراقى » (سومر ٧) (١٩٥١) ص ٢٨٤-٢٩٣) ، وصف فيه إحدى عشرة مخطوطة نادرة من مكتبة الأب أنستاس مارى الكرملى ، المهداة ، بعد وفاته ، إلى مكتبة المتحف على ما ذكرنا .

٦ - وله أيضاً (سومر ٦) (١٩٥٠ ص ٢٢٠ - ٢٢٣) وصف لكتاب « التاريخ الغياثى » وهو أحد مخطوطات هذه المكتبة .

٧ - ونشر بحثاً آخر فى التعريف ببعض مخطوطات هذه المكتبة ، عنوانه « رسائل إسماعيلية قديمة نادرة » (٣) ، وصف فيه ستة مجاميع خطية تدخل فى هذا الموضوع .

٨ - ووصف عبد الكريم الدجيلى ، نسخة خطية من « ديوان أبى الأسود الدؤلى » تحرزها هذه المكتبة ، وذلك فى المقدمة التى صدر بها طبعته لهذا الديوان (٤) .

---

(١) أفردناه فى رسالة طبعت فى بغداد سنة ١٩٥٥ .

(٢) توفى سنة ١٩٦١ .

(٣) مجلة المجمع العلمى العراقى (٣ (١٩٥٥) ص ٤٠٥-٤٢١ ؛ ٤ (١٩٥٦) ص ٢٥١ - ٢٦٤) .

(٤) ديوان أبى الأسود الدؤلى . . (بغداد ١٩٥٤ , الصفحة في - رمن المقدمة) .

٩ - وللدكتور حسين على محفوظ ، مقالة بالفارسية ، عنوانها « كتب خطى فارسى دركتا بخانه موزة عراق در بغداد » (مجلة دانش ٣ طهران ١٩٥٥ ص ٦٢٨ - ٦٣٦) ، أشار فيها إلى (٩٤) مخطوطة فارسية تحرزها مكتبة المتحف العراقى :

١٠ - ونوه السيد ناصر النقشبندى (١) فى بحثه الموسوم بـ « المصاحف الكريمة فى صدر الإسلام » (سومر ١٢ (١٩٥٦) ص ٣٣ - ٣٧) ، بأربع قطع قديمة من المصاحف المكتوبة بالخط الكوفى ، وهى من مكنونات هذه المكتبة .

١١ - ووصف خضر الطائى ورشيد العبيدى ، ثلاث نسخ خطية من « ديوان العرجى » فى هذه المكتبة ، وذلك فى المقدمة التى صدرا بها طبعتهما لهذا الديوان (٢) :

١٢ - ووصف المستشرق ولهلم هونرباخ ، فى بحث له بالألمانية ، جملة مخطوطات فى خزائن كتب بغداد وتطوان ، منشور فى مجلة الشرق (أوريانس) (٣) التى كان يصدرها المستشرق هلموت ريتر . ومن تلك المخطوطات ، ست فى هذه المكتبة ، وهى على التوالى ، ذوات الأرقام ٦٨٤ ، ٦٢٨ ، ٤٦٢ ، ٦ ، ٣٤٠ ، ٥٤٥ .

١٣ - وفى سنة ١٩٣٨ ، نشرنا وصفاً لنسخة خطية من « تاريخ واسط »

---

(١) توفى سنة ١٩٦٢ .

(٢) ديوان العرجى . (بغداد ١٩٥٦ . الصفحة ٤٠ - ٤٤ من المقدمة) .

(٣)

HOENERBACH (WILHIM), UBER EINIGR ARABISHE HANDSCHRIFTN INBAGDAD UND TETUAN, (ORIENS; VIII; LEIDEN 1955; PP.96 - II9).

تأليف أسلم بن سهيل الرزاز الواسطى المعروف ببحشل (١) ، دخلت هذه المكتبة ، وهى منقولة عن نسخة فريدة قديمة فى مكتبة الأزهر .

١٤ — وهنالك « فهرست » بأسماء مخطوطات أحمد عبد الوهاب نيازى ببغـــداد ، التى آلت إلى مكتبة المتحف العراقى . وقد وضعته المحكمة الشرعية ببغداد وطبعته بالرونيو فى ١٩ صفحة . وقد ذكر فيه (٢٩٣) مخطوطة .

١٥ — ونوه مصطفى الموسوى ، بـ (١٨٦) مخطوطة فى هذه المكتبة مما صورته اليونسكو من أمهات مكتبات العراق . (٢) .

١٦ — ووضعنا « قائمة بما يحسن تصويره من مخطوطات مكتبة المتحف العراقى » مما وقع عليه اختيارنا ، وتم تصويرها من قبل بعثة اليونسكو . وعددها (١٤٩) مخطوطة تعد من الأعلاق النفيسة فى هذه المكتبة ، وقد طبعت القائمة بالرونيو سنة ١٩٦٨ .

١٧ — وهنالك « دليل معرض المخطوطات العربية فى مكتبة المتحف العراقى » وقد طبع بالرونيو (بغداد ١٩٦٩ ، ١٩ ص) . يحتوى على ذكر (٥٧) مخطوطة .

١٨ — ونشر عادل كامل الآلوسى ، مقالة بعنوان المختار من مخطوطات

---

(١) عواد (كوركيس) : مخطوطة فى تاريخ واسط مدينة الحجاج . (الأخبار الأسبوعية مجلة كان يصدرها روفائيل بطى فى بغداد) . الأعداد ٧ و٨ و٩ الصادرة فى ٨و٢٢ تشرين الأول و ٥ تشرين الثانى ١٩٣٨ ص ١٨ — ١٩ ، ١٧ — ١٨ ، ١٨ — ١٩) . وقد لخصنا وصف هذه المخطوطة ، والنسخة المصورة عن الأصل ، فى مقدمة طبعتنا لتاريخ واسط (بغداد ١٩٦٧ ، ص ٥ — ٩ من المقدمة) .

(٢) فهرست المخطوطات العربية المصورة فى العراق . (ص ١ — ١٢) .

خزانة الكرملي فى مكتبة المتحف العراقى (١) ، نوه فيها بـ (٥٥) مخطوطة كانت فى مكتبة الأب أنستاس مارى الكرملى ، المهداة إلى مكتبة المتحف على ما أسلفنا .

١٩ — ومن أحدث ما وضع من فهارس لمخطوطات هذه المكتبة ، الفهرس الموسوم بـ « المخطوطات اللغوية فى مكتبة المتحف العراقى » (٢) . تأليف أسامة ناصر النقشبندى . وقد وصف فيه (٥٠٣) مخطوطات تدور حول النحو ، والصرف ، وفقه اللغة ، ومعجماتها ، والبلاغة ، والعروض والقوافى .

٢٠ — بعد أن توفى يعقوب سركيس فى سنة ١٩٥٩ ، أهدى ذووه مكتبته ، إلى جامعة الحكمة فى بغداد . وقد عهدت إلى رئاسة تلك الجامعة بفرسة ما فى تلك المكتبة من مخطوطات فصنفت فهرساً مفصلا تولت تلك الجامعة نشره (٣) . وقد تضمن صفة (٣٢٧) مجلد مخطوطاً ، أكثرها باللغة العربية ، وأقلها بلغات شرقية أخرى : التركية والفارسية والسريانية . وبعد إلغاء جامعة الحكمة ، لبثت تلك المكتبة مخزونة فى موضعها ، حتى استقر الرأى على نقلها برمتها إلى مكتبة المتحف العراقى . وقد تم ذلك فى سنة ١٩٧١ ، فأصبحت جزءاً منها .

٢١ — وكانت تلك الجامعة ، قد نشرت لنـــا أيضاً ، فهرساً مقتضباً

---

(١) مجلة « الأقلام » (٦ بغداد : آذار ١٩٧٠ الجزء ٦ ص ٦٤ — ٨٠) .

(٢) نشرته مديرية الآثار العامة . (مطابع دار الجمهورية — بغداد ١٩٦٩ ، ١٩٠ص — ١٦ لوحا) .

(٣) فهرست مخطوطات خزانة يعقوب سركيس المهداة إلى جامعة الحكمة ببغداد . (مطبعة العانى — بغداد ١٩٦٦ ، ص ٢٢٤) .

بأسماء مخطوطات خزانة سركيس ، رتبنا فيه تلك المخطوطات على السياق الهجائى (١) .

٢ — مكتبة الأوقاف العامة :

تضم هذه المكتبة اليوم ، (٥٢٠٠ مخطوطة (٢) ، وفيها جملة صالحة من المؤلفات النفيسة ذوات الخطوط القديمة . وقد استجمعت فى سنة ١٩٢٨ من مكتبات بغدادية كانت مدخرة فى بعض الجوامع والمدارس والتكايا البغدادية ، وهى :

١ — جامع الكهيــا .

٢ — جامع الحيدرخانة .

٣ — جامع الـــرواس .

٤ — جامع الباجه جى .

٥ — جامع الإمام الأعظم أبى حنيفــة

٦ — مدرسة نائلة خاتون (وتسمى أيضاً المدرسة المرادية)

٧ — المدرسة السليمانية .

٨ — المدرسة المرجانيــة .

٩ — التكية الخالدة النقشبندية

---

(١) فهرست مجموعة مخطوطات يعقوب سركيس فى مكتبة جامعة الحكمة . (مطبوع بالرونيو . بغداد ١٩٦٣ ، ١٢ ص) .

(٢) مجلة « الـــرسالة الإسلامية » (٤ (بغداد ١٩٧١) العدد ٣٨ — ٣٩ ، ص ٩٠)

ثم أضيفت إليها ، فيما بعد ، مكتبات أخـــرى على ما سيجىء بنا .

وقد نشر فى مخطوطات هذه المكتبة جملة فهارس ، وهى :

١ ـ كانت مديرية الأوقاف العامة ، قد عهدت إلى كاتب هذه السطور فى سنة ١٩٤٧ ، بتنظيم هذه المكتبة وتنسيقها ، فأتاح لنا هذا العمل ، الاطلاع على ما فيها من مخطوطات ، وهيأ لنا وضع « فهرس » بأقدم ما تضمه منها ، نشرناه فى مجلة « سومر » وقد استغرق منها (٩١) صفحة كبيرة بعنوان « أقدم المخطوطات فى خزانة الأوقاف العامة ببغداد » . وقد ظهر فى ثلاثة أقسام على النحو الآتى :

١ ـ مخطوطات المئة الخامسة والسادسة والسابعة للهجرة (١) .

٢ ـ مخطوطات المئة الثامنة للهجرة (٢) .

٣ ـ مخطوطات المئة التاسعة والعاشرة للهجرة (٣) .

وقد وضعنا فى هذا الفهرس (٢٢٦) مخطوطة أثرية ، كتبت قبل سنة ١٠٠٠ للهجرة . وهو أول فهرس ينشر فى التعريف بطائفة من مخطوطات هذه المكتبة . وقد ازدان قسمه الأول باثنتى عشرة صورة تمثل أنموذجات من أقدم الخطوط فى هذه المجموعة . وكانت مجلة« الأندلس » التى تصدر بالإسبانية فى مدريد ، قد نوهت مرتين بهذا الفهرس (٤) وأشارت إلى ما فيـه من مؤلفات أندلسية وهى (١٢) كتاباً .

---

(١) سومر (٣ (١٩٤٧) ص ٢٣٦ — ٢٦٩) .
(٢) سومر (٤ (١٩٤٨) ص ١١٣ — ١٣٥) .
(٣) سومر (٤ (١٩٤٨) ص ٢٢٠ — ٢٥٣) .
(٤)
AL-ANDALUS. (XIII, (19-48); P.227-228, XIV (1949), P. 219-22. (38) .

٢ — وعنى الدكتور محمد أسعد طلس (١) ، فى أثناء مكثه فى العراق بمخطوطات هذه المكتبة ، فوضع لها فهرساً شاملا بعنوان « الكشاف عن مخطوطات خزائن كتب الأوقاف (٢) . وصف فيه (٣٦١٤) مخطوطة ، وصدره بمقدمة فى التعريف بالمعاهد التى استجمعت منها خزائن كتب الأوقاف ، وألحقه بفهارس هجائية للأعلام ، وأسماء الكتب ، والأماكن والموضوعات .

٣ — واهتم عبدالله الجبورى ، أمين مكتبة الأوقاف السابق ، بفهرسة ما أضيف إلى هذه المكتبة من مخطوطات ، من بعد طبع الفهرس السابق ، فصنف كتاب « المستدرك على الكشاف عن مخطوطات خزائن كتب الأوقاف »(٣) . . وقد وصف فيه (٤٠٧) مخطوطات ، جىء بهامن المواضع الآتيـــة :

١ — جامع المصـــرف .

٢ — جامع القبـــلانية .

٣ — جامع الآصفيـة .

٤ — خزانة محمد سعيد الطبقجلى (المتوفى سنة ١٨٤٩) .

٥ — خزانة عبد الحليم الخاقانى (المتوفى سنة ١٩٤٣) .

٦ — خزانة على حيدر الباجه جى (المتوفى سنة ١٩٥١) .

ومن مزايا هذا الفهرس ، أن صاحبه أصلح (ص ٣٧٣ — ٣٨٢)

---

(١) توفى سنة ١٩٥٩ .

(٢) تولت نشره مديرية الأوقاف العامة . (مطبعة العانى — بغداد ١٩٥٣ ، ٣٢٩ ص)

(٣) مطبعة المعارف — (بغداد ١٩٦٥ ، ٤١٢ ص) .

ما وقع فى « الكشاف » من هنات وأوهام . وقد ساعد المجمع العلمى العراقى على طبع هذا الفهرس .

٤ — ولم تقف الهمة بعبد الله الجبورى عند وضع « المستدرك » بل صنف فهرساً آخر وسماه بـ « فهرس مخطوطات حسن الأنكرلى المهداة إلى مكتبة الأوقاف العامة ببغداد » (١) وصف فيه (١٥٦) مخطوطة كانت سابقاً فى مكتبة حسن بن محمد بن رجب الموصلى البغدادى ، الشهير بالأنكرلى ، المتوفى سنة ١٣٤٤ هـ . وقد ساعد المجمع العلمى العراقى على طبع هذا الفهرس .

٥ — ووصف هونرباخ ، فى بحثه المنشور فى مجلة « أوريانس » وقد سبقت الإشارة إليه ، مخطوطتين من مكتبة الأوقاف .

٦ — وفى القائمة التى وضعناها فى ما يحسن تصويره من مخطوطات ، وقد مر ذكرها (٤٨) مخطوطة نادرة وقع اختيارنا عليها من مخطوطات هذه المكتبة .

٧ — ونوه مصطفى الموسوى ، بـ (٤٣) مخطوطة من هذه المكتبة . (٢) .

٨ — ونوه عبدالله الجبورى فى بحثه الموسوم « بمكتبة الأوقاف ونوادر مخطوطاتها » بثمانية كتب مخطوطة نادرة (٣) .

٣ — مخطوطات جامع السيد سلطان على :

تولى عماد عبد السلام رؤوف ، فهرسة مخطوطات هذا الجامع ، فى

---

(١) مطبعة الآداب — (النجف ١٩٦٧ ، ٣٤٣ ص) .

(٢) يستثنى من ذلك ثلاث مخطوطات : إحداها مصوره أهداها أحمد تيمور باشا . والثانية صورت عن مخطوطة فى مكتبة كوبرلى باستانبول . والثالثة أهداها مكى الجميل ببغداد .

(٣) فهرست المخطوطات العربية المصورة فى العراق . (ص ١٣ — ١٥) .

بحثه المرسوم بـ « الآثار الخطية فى جامع السيد سلطان على ببغداد » (١) مجموع ما وضعه (٨٥) مخطوطة .

٤ — المكتبة القادرية :

وهى فى جامع الشيخ عبد القادر الكيلانى ببغداد . فيها مجموعة كبيرة من المخطوطات ، تولى الشيخ إبراهيم عبد الغنى الدروبى ، فهرسة (٦٥٨) منها . وعندى نسخة مخطوطة من هذا الفهرست . ولم يطبع .

ونوه مصطفى الموسوى بـ (٢١) مخطوطة صورت من هذه المكتبة ، فى الفهرست الذى صنفه ، وقد أشرنا إليه سابقاً (٢) .

٥ — مكتبة الكرمليين ببغداد :

فى سنة ١٩٤٩ ، أهدى الآباء الكرمليون ، إلى مكتبة المتحف العراقى ، معظم القسم العربى من « مكتبة الآباء الكرمليين » فى بغداد ، التى كان قد جمعها للدير ، الأب أنستاس مارى الكرملى (٣) ، وفيها المخطوط والمطبوع . وللمخطوطات ، قبل أن تهدى ، فهرس قديم لم يعرف واضعه ، يقع فى ثلاثة أجزاء لم تطبع ، حوى ذكر ما اشتملت عليه تلك المكتبة ، وكان

---

(١) مجلة « الأقلام » (١ (بغداد ١٩٦٥) الجزء ٧ ص ٨٥ — ٩٦) .

(٢) مجلة « المكتبة » التى تصدرها مكتبة المثنى ببغداد . (٧ (١٩٦٧) العدد ٥٧ ص ٢٢ — ٢٣ ، ٨ (١٩٦٧ — ١٩٦٨) العدد ٥٨ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ وصفحاتها على التوالى ٢٢ — ٢٣ ، ٢٤ — ٢٥ ١٦ — ١٧ ، ٢٨ — ٢٩ ، ٢٠ — ٢١ ، ٩ (١٩٦٨) العدد ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ وصفحاتها على التوالى ٣٤ — ٣٥ ، ٣٠ — ٣٢ ، ١٦ — ١٧ ، ١٠ (١٩٧٠ العدد ٦٨ ص ١٦ — ١٧) .

(٣) فهرست المخطوطات العربية المصورة (ص ٢٣ — ٢٤) .

(٤) توفى سنة ١٩٤٧ .

عددها نحوا من (١٥٠٠) مجلد مخطوط . وفيه — على ما بان لنا — أوهام وأغلاط مختلفة . ثم إن بعض ما ذكر فيه قد بيع أو فقد قبل وفاة الأب أنستاس .

بلغ عدد المخطوطات المهداة إلى مكتبة المتحف العراقى (١٣٣٥) . وقد سبقت إشارات إليها فى كلامنا على « مكتبة الآثار » ولا سيما ما جاء فى الفقرات ٤ و ٥ و ٦ و ٨ .

وكان الأب أنستاس ، قد نشر فهرساً لمخطوطات ، لم تهد فيما أهدى إلى مكتبة الآثار ، تلك هى المخطوطات العربية النصرانية . فظهر وصفها فى نيف وعشرين مقالة قصيرة ، فى « نشرة الأحد » المجلة الأسبوعية التى كانت تصدر فى بغداد (٢) .

وصنف حكمت رحمانى « فهرست مخطوطات دير الآباء الكرمليين » ببغداد وهو يتضمن وصف (٤٢) مخطوطة ، مما لم تفهرس من قبل ، وبينها ما كان بخط الأب أنستاس ، ومنها بخط غيره ، وقد أخبرنى مؤلف هذا الفهرس أنه سينشره عما قريب .

٦ — مكتبة كلية الآداب — بجامعة بغداد :

لم تكن هذه المكتبة تحرز شيئاً من المخطوطات . ولكن ما فيها منها الآن، إنما انتقل إليها من « مكتبة معهد الدراسات الإسلامية العليا » الذى ألغته جامعة بغداد سنة ١٩٦٩ .

تتألف هذه المخطوطات من بضع مجموعات ، كانت فيما مضى تعود إلى بعض الباحثين ، ثم اقتناها منهم المعهد المذكور ، فاجتمع لديه منها (١٤٨٣) مخطوطة . وفى ما يأتى إحصاء إجمالى بهذه المجموعات :

---

(٢) نشرة الأحد . (المجلدات ٨ و ٩ و ١٠ الصادرة سنة ١٩٢٩ — ١٩٣١) .

١ ــ مجموعة كوركيس عواد : وعددها (٥٨٦) مخطوطة(١)

٢ ــ مجموعة يوسف مسكونى : وعددها (٢٥٤) مخطوطة (٢) .

٣ ــ مجموعة ميخائيل عواد : وعددها (٣٤٩) مخطوطة (٣)

٤ ــ مجموعة حسين على محفوظ : وعددها (٢٠١) مخطوطة (٤)

٥ ــ مخطوطات متفرقة اقتناها المعهد بصورة فردية : وعددها (٩٣) مخطوطة (٥) .

٧ ــ مكتبة كلية الطب ــ بجامعة بغداد :

فى هذه المكتبة جملة مخطوطات تبحث فى الطب ، صنعنا لها فهرساً بعنوان « فهرس المخطوطات الموجودة فى مكتبة كلية الطب » وفيه صفة ٢٣ مخطوطة (٦) .

٨ ــ مخطوطات كنيسة أم الأحزان فى بغداد :

فى هذه الكنيسة ، عشرات المخطوطات باللغة الكلدانية ، عندى فهرس باثنتى عشرة مخطوطة منهـــا .

---

(١) المخطوطات العربية فى معهد الدراسات الإسلامية العليا ببغداد . تقديم الدكتورصالح أحمد العلى . (مطبوع بالزيروكس . بغداد . ص ١ ــ ٥٢) .

(٢) المصدر السابق . (ص ٥٣ ــ ٧٧) . وقد توفى صاحبها سنة ١٩٧١ .

(٣) المصدر السابق . (ص ٧٨ ــ ١١١) .

(٤) المصدر السابق .(ص ١١٢ ــ ١٢٥) .

(٥) المصدر السابق . (ص ١٢٦ ــ ١٢٩) .

(٦) نشرته مكتبة تلك الكلية بالرونيو . (بغداد ١٩٧٠ ، ١٦ ص) .

٩ — مخطوطات مكتبة المجمع العلمى العراقى :

معظمها مصور بالفوتستات أو بالميكروفيلم . ويبلغ مجموعها (٦٢٥) مخطوطة وضع فيها صبيح رديف ، أمين المكتبة السابق ، فهرساً ، ولم يطبع.

١٠ — المكتبة المركزية — جامعة بغداد :

أحرزت هذه المكتبة مجموعة كاملة من أفلام المخطوطات التى صورتها بعثة اليونسكو التى قدمت إلى العراق . وقد عنيت الآنسة زاهدة إبراهيم ، رئيسة قسم الفهرسة العربية فى هذه المكتبة ، بفهرسة هذه المصورات فى كتابها « فهرست المخطوطات العربية المصورة فى العراق والموجودة فى المكتبة المركزية لجامعة بغداد » . وقد تولت المكتبة المركزية طبعه بالرونيو سنة ١٩٧٠ ، فى ١٣٣ صفحة .

١١ — مكتبة معارف بغداد :

عندى فهرس مخطوط ، بخط السيد محمود شكرى الآلوسى (١) ، ولعله من وضعه ، عنوانه « سجل خزانة كتب معارف بغداد » ، قال إن تلك المخطوطات المذكورة فيه ، وقد جمعت من مدارس شتى ، وذلك فى أيام ولاية صاحب الدولة تقى الدين باشا ، سنة ١٣٠٠ هـ » . وهو يقع فى أربع صفحات كبيرة . ولا نعلم شيئاً عن مصير تلك المخطوطات .

ثانياً : فهارس مخطوطات المكتبات الخاصة فى بغداد :

١ — مخطوطات إبراهيم الدروبى (٢) :

---

(١) توفى سنة ١٩٢٤ .

(٢) قلنا أنه توفى سنة ١٩٥٩ .

فى مكتبته (٧١) مخطوطة ، وضع فى التعريف بها فهرساً ، عندنا نسخة منه ، ولم يطبع .

٢ — مخطوطات ابراهيم الواعظ (١) :

احتوت مكتبته على (١٠٣) مخطوطات ، صنع لها صاحبها — تلبيــة رغبتنا — فهرساً حسناً لم يطبع . وعندنا نسخة منه .

٣ — مخطوطات سعيد النقشبندى :

فى مكتبته (١١٠٠) مخطوطة عربية ، صنع لها إبراهيم الدروبى ، فهرساً لم يطبع . وبين هذه المخطوطات جملة نوادر . وعندنا نسخة منه .

٤ — مخطوطات آل السهروردى :

وهم : محمد محسن السهروردى ، وعبد الرحمن السهروردى ، ومحمد صالح السهروردى . عندهم (٢٥٤) مخطوطة . صنع لها إبراهيم الدروبى ، فهرساً لم يطبع . وعندنا نسخة منه .

٥ — مخطوطات السويدى :

كانت فى مكتبة يوسف السويدى ، ثم انتقلت من بعده إلى أولاده ، ولا نعلم ما مصيرها اليوم . فيها طائفة من المخطوطات ، وصف عز الدين التنوخى (١٣) مخطوطة منها ، فى بحثه « خزائن الكتب العربية : بقية مؤلفات الأسرة السويدية العباسية » (٢) .

---

(١) توفى سنة ١٩٥٨ .

(٢) مجلة المجمع العلمى العربى (٨ (١٩٢٨) ص ٤٤٩ — ٤٥٣) .

٦ ــ مخطوطات ضياء الدين شكارة :

حين كان صاحب هذه المخطوطات موظفاً إدارياً فى الشطرة من بلدان جنوبى العراق ، أطلع على الخاقانى على ما عنده من مخطوطات ، فوصف تسعا منها فى بحثه « النوادر المخطوطة فى الشطرة (١) . وحين كان صاحبها فى مدينة العمارة ، نوه حسين على محفوظ بـ (٨٤) مخطوطة (٢) .

٧ ــ مخطوطات عباس العزاوى (٣) :

لا ريب فى أن مكتبة عباس العزاوى ، تضم أعظم مجموعة شخصية من المخطوطات المتنوعة بالعربية والتركية والفارسية . ولا يعرف عددها على وجه التحقيق (٤) . وعندنا ثبت يتضمن ذكر (٢٣٨) من مخطوطاتها الأثرية . وتدرس الحكومة العراقية مصير هذه المكتبة بعد وفاة صاحبها .

٨ ــ مخطوطات عبد الباقى الطيار وابنه هاشم الطيار :

وضع الدكتور حسين على محفوظ ، ثبتاً بمخطوطات هذه المكتبة ، نوه فيه بـ (٦٠) مخطوطة (٥) .

٩ ــ مخطوطات عبد الوهاب ملوكى :

كان صاحبها إمام وخطيب جامع الخاصكى ببغداد : وهى (١٤) مخطوطة فهرسها إبراهيم الدروبى . وعندنا نسخة من هذا الفهرست .

---

(١) مجلة « البيان » (٣ النجف ١٩٤٩) ص ٤٠٧ ، ٤٣٣ – ٤٣٤) .

(٢) مجلة معهد المخطوطات العربية (٤ (١٩٥٨) ص ٢٠٠ – ٢٠٧) .

(٣) توفى سنة ١٩٧١ .

(٤) فى مجلة « الرسالة الإسلامية » (بغداد ١٩٧١) العدد ٣٨ – ٣٩ ، ص ٨٨) أن ما فى هذه المكتبة من مخطوطات ، يبلغ (٧٠٠٠) مخطوط .

(٥) مجلة معهد المخطوطات العربية ٤ ص ٣–٦ (١٩٥٨) ص ١٩٥ – ٢٠٠ .

١٠ — مخطوطات عبد الوهاب النائب :

وهى (٢٩٦) مخطوطة . وضع لها إبراهيم الدروبى فهرساً لم يطبع ، وعندنا منه نسخة .

١١ — مخطوطات عزيز بطرس (١) :

لديه (٣٣) مخطوطة بالعربية والكلدانية. عندنا فهرس بها بخط صاحبها .

١٢ — مخطوطات على أبو السعد (٢) :

وهى (١٩٦) مخطوطة . صنع لها إبراهيم الدروبى فهرساً لم يطبع . وعندنا نسخة منه .

١٣ — مخطوطات على الخاقانى :

لديه (٩٨) مخطوطة ، عندنا منها فهرست لم يطبع . وهو بخط صاحبها .

١٤ — مخطوطات عماد عبد السلام رؤوف :

فى مكتبته شىء من المخطوطات ، وصف صاحبها واحدة منه تتألف من أربعة تآليف ، فى مقالة له بعنوان « آثار للشيخ ابن عربى ضمن مجموع خطى قديم » (٣) .

١٥ — مخطوطات فنسان مارينى :

وهو ابن أخى الأب انستاس مارى الكرملى . لديه (٦٦) مخطوطة ، صنعنا لها فهرساً ، ولم يطبع .

---

(١) توفى سنة ١٩٦٥ .
(٢) توفى سنة ١٣٧٤ هـ .
(٣) المكتبة (١٠ (١٩٧٠) العدد ٧٣ ص ٣ — ٦) .

١٦ ـ مخطوطات قاسم محمد الرجب :

يعد صاحب هذه المخطوطات ، أعظم الكتبيين العراقيين ، وفى طليعة الكتبيين فى العالم العربى (١) .

اقتنى طائفة صالحة من المخطوطات ، بلغ عددها (٥٦٥) مخطوطة ، صنعنا لها فهرساً بعنوان « فهرست المخطوطات العربية فى خزانة قاسم محمد الرجب ببغداد » . وقد طبع فى ثلاثة أقسام :

الأول : نشر فى مجلة المجمع العلمى العراقى (١٢ (١٩٦٥) ص ١٦٥ — ١٩١) . ثم أفرد فى رسالة مستقلة . وقد نوهنا فيه بـ (١٦٥) مخطوطة (الرقم ١ — ١٦٥) .

الثانى : مطبعة الإرشاد — بغداد ١٩٦٥ ، ٣٢ ص . وقد نوهنا فيه بـ (١١٨) مخطوطة (الرقم ١٦٦ — ٢٨٣) .

الثالث : مطابع لبنان — بيروت ١٩٧١ ، ٣٠ ص . وقد نوهنا فيه بـ (٢٨٢) مخطوطة (الرقم ٢٨٤ — ٥٦٥) .

١٧ ـ مخطوطات كمال الدين الطائى :

فى مكتبته بضع مئات من المخطوطات العربية . عندى فهرس بـ (٥٨) مخطوطة منها . ولم يطبع .

١٨ ـ مخطوطات محمد رضا الشبيبى (٢) :

فى داره بالكرادة الشرقية من بغداد ، (٥٩) مخطوطة ، وقفنا عليها ، وصنعنا لها ثبتاً . لم يطبع .

---

(١) توفى سنة ١٩٧٥ .

(٢) توفى سنة ٢٩٦٥

١٩ — مخطوطات محمد العسافى :

نجل الحاج محمد العسافى ، مدرس وإمام وخطيب الزبير . فى مكتبته ببغداد (٢٦) مخطوطة فهرسها إبراهيم الدروبى . وعندى نسخة من هـذا الفهرس .

٢٠ — مخطوطات موسى الصائغ :

وهى (٢٢) مخطوطة . وعندنا فهرس بها لم ينشر . وهى اليوم لدى ابنه المحامى نجيب الصائغ .

٢١ — مخطوطات متفرقة فى بغداد :

فى الفهرس الموسوم بـ « الآثار المخطوطة فى بغداد (١) » لعلى الخاقانى ، وصف لثمانى عشرة مخطوطة تحرزها بعض المكتبات البغدادية .

تلكيف

فى مكتبة كنيسة تلكيف ، مجموعة من المخطوطات الكلدانية ، تبلغ السبعين عدا ، نوه القس ميخائيل ججوبزى ، باثنتى عشرة مخطوطة منها(٢) فى مؤلفه الذى وضعه فى تاريخ هذه البلدة .

---

(١) الغرى (٢ (١٩٤٠ — ١٩٤١) ص ١٢٢٧ — ١٢٣٠ ، ١٢٤٨ — ١٢٥١) .

(٢) بلدة تلكيف : ماضيها وحاضرها . (مطبعة الجمهورية — الموصل ١٩٦٩ ، ص ٨٤ — ٨٥) .

دير السيـــدة

يقوم هذا الدير على مسافة ٣١ ميلا شمال الموصل . وفى مكتبته مجموعة من المخطوطات الكلدانية استرعت اهتمام المطران أدى شير (١) . فوضع لها فهرساً باللغة الفرنسية ، نشره فى المجلة الآسيوية بباريس سنة ١٩٠٦ (٢) ، طبعه فى تلك السنة نفسها فى رسالة تقع فى ٦٥ صفحة أتى فيها على وصف (١٥٣) مخطوطة (٣) .

وفى سنة ١٩٢٩ — ، وضع المستشرق البلجيكى الأب يعقوب فوسنى الدومنكى (٤) ، فهرساً مجدداً باللغة الفرنسية أيضاً ، سار فيه على غرار ما صنعه أدى شير . وهو أكمل من سالفه ، لأن فوسنى ، وصف فيه (٣٣٠) مخطوطة وصفاً حسناً . وقد طبعه فى رومه سنة ١٩٢٩ . فى ١٣٠ صفحة (٥) .

وكنا فى بعض تآليفنا (٦) ، قد عنينا بذكر (٢٧) مخطوطة من نفائس ا تحرزه هذه المكتبة .

---

(١) ولد فى شقلاوة من أعمال أربيل سنة ١٨٦٧ ، وقتل فى سعرت سنة ١٩١٥ .

(٢)
JOURNAL ASIATIQUE. (MAI-JUIN I9o6, PP. 479-512, ETJU - ILLETAOUT PP. 22-56 .

(٣)
SCHER (MGR. ADDAI), NOTCE SUR LES MANUSCRITS SYRIAQUES CONSERVES DANS LA BIBLIOTHEQUE DU COUVENT DES CHALDEENS DE NOTRE-DANS-DES-SEMENCES. (PARIS, 19o6, 65P.).

(٤) توفى سنة ١٩٤٨ .

(٥)
VOSTE (5J), CATALOGUE DE LA BIBLIOTHQUE SYRO-CHALDEENNE DU COUVENT DE NOTRE-DAME SEMENCES. (ROME, 1939;143P.

(٦) عواد (كوركيس) : أثر قديم فى العراق : دير الربان هرمزد . (الموصل ١٩٣٤ ص ٥٦ — ٥٨) .

دير مار بهنــام

يقوم هذا الدير على مسافة ٣٥ كيلو متراً جنوب شرقى الموصل . فى مكتبته مجموعة من المخطوطات ، نوه بطائفة منها الخورى أفرام عبدال (١)، فى المؤلف الذى أفرده لتاريخ هذا الدير (٢) .

دير مار متى

ويعرف بين أهل الموصل بدير الشيخ . وهو يقوم فى أعالى جبل مقلوب من جبال شرقى الموصل . فيه مجموعة من المخطوطات العربية والسريانية عنى البطريرك أغناطيوس أفرام برسوم(٣) بوضع فهرست لها بالعربية، عنوانه « فهرست مخطوطات دير مار متى وكنائس القرى التابعة له » وقفنا عليه فى حمص سنة ١٩٥٦ حين زرنا المؤلف . ولم يطبع . وقد أشار إليه فى بعض مؤلفاته (٤) .

زاخــــو

فى مكتبة المطران يوسف بابانا ، طائفة من المخطوطات بالكلدانية . عندنا فهرس يضم أسماء عشر منها .

ســـامراء

١ — مكتبة مدرسة الشيرازى :

أنشأها فى سامراء ، الميرزا محمد حسن الشيرازى ، المتوفى سنة

(١) توفى سنة ١٩٦٦ .
(٢) اللؤلؤ النضيد فى تاريخ ديرمار بهنام الشهيد . (مطبعة الاتحاد الجديدة الموصل ١٩٥١ ، ص ١٠٢ — ١٠٦) .
(٣) توفى سنة ١٩٥٧ .
(٤) اللؤلؤ المنثور فى تاريخ العلوم والآداب السريانية (حمص ١٩٤٣ ، ص ١٢ الرقم ٢٥)

١٨٩٤ (١) ، ذكر الشيخ أغا بزرك ، أنه كتب فهرساً لهذه المكتبة ولم ينشر . قال أنها تشتمل اليوم على أكثر من ألف مجلد ، خمسها مخطوط (٢).

٢ — مكتبة الميرزا محمد الطهرانى :

قال أغا بزرك : أنها مكتبة عامرة بسامراء ، تربو على ألفى مجلد ، خمسها مخطوط (٣) . فهرس منها الدكتور حسين على محفوظ (٢١) مخطوطة (٤) وقد سماها « مكتبة الإمام المهدى العامة فى سامراء » ، وهى مما وقفه ميرزا محمد الطهرانى سنة ١٣٧١ هـ .

٣ — وعنى الشيخ يونس إبراهيم السامرائى ، بوضع كتاب عنوانه « المخطوطات فى سامراء » ولم يطبع . وصف فيه (٦١٣) مخطوطة فى المكتبات الآتيــة :

١ — مكتبة مدرسة الشيرازى .

٢ — مكتبة الشيخ أحمد الراوى .

٣ — مكتبة الإمام المهدى العامة لنجم الدين الحيدرى .

٤ — مكتبة الإدارة المحلية .

عقــرة

فى خزانة كتب المطرانية الكلدانية فى بلدة عقرة ، مخطوطات كلدانيـة نفيسة ، وقفنا عليها . وقد تولى المستشرق فوستى فهرستها ، فى فهرس

---

(١) الذريعة إلى تصانيف الشيعة للشيخ أغا بزرك (٦ : ٤٠٢) .

(٢) الذريعــة (٦ : ٤٠٤) .

(٣) الذريعة (٦ : ٤٠٢) .

(٤) مجلة معهد المخطوطات العربية (٤ (١٩٥٨) ص ٢١٠ — ٢١٤) .

نشره بالفرنسية فى مجلة الشرق المسيحى الصادرة فى رومة سنة ١٩٣٩ (١) ، وقد وصف المؤلف فى هذا الفهرست (٦٧) مخطوطة .

قره قوش

فى الكتاب الذى ألفه عبد المسيح بهنام فى تاريخ هذه البلدة (٢) التى تقوم فى شرقى الموصل ، تنويه بإحدى وستين مخطوطة سريانية تفرقت فى بعض خزائن قرة قوش .

وأشار الخورى أفرام عبدال ، فى مؤلفه عن تاريخ دير مار بهنام ، إلى (١٩) مخطوطة سريانية من مخطوطات كنائس قره قوش (٣) .

الكاظمية

فى هذه البلدة مكتبات عامة وخاصة ، فهرس الدكتور حسين على محفوظ (٢٢٧) من مخطوطاتها ضمن مقاله « المخطوطات فى العراق (٤) ، وفى ما يأتى ثبت بأسماء هذه المكتبات مع عدد مخطوطاتها المفهرسة :

---

(١)

VOSTE (J), CTALOGUE DES MANUSCRITS SYRO- CHALDEENS CONSERVES DANS LA BIBLIOTHE EPISCOPALE D AQTA, I RAQ. (ORIENTALIA CHRISTIANA PERIOCICA, 1939, PP. 368-406).

(٢) قرة قوش فى كفة التاريخ (مطبعة الأديب — بغداد ١٩٦٢ ، ص ٧٩ — ٨١ ، ١٠٥ — ١٣٦) .

(٣) اللؤلؤ النضيد . (ص ١٠٦ — ١١٣)

(٤) مجلة معهد المخطوطات العربية ٤ (١٩٥٨) ص ٢٣٨ — ٢٥٨) .

المكتبة	صفحة المقال	المخطوطات
مكتبة حسن الصدر	٢٣٨—٢٤٢	٤٢
مكتبة عبد الرازق العاملي الكاظمي	٢٤٢—٢٤٥	٢٩
مكتبة عبد الصاحب الكاظمي الخطيب	٢٤٥—٢٤٦	١٦
« الإمام الكاظم العامة	٢٤٦	٢
« عبد الحسن الأسدي	٢٤٧—٢٥٠	٢٩
« محمد رضا الخالصي	٢٥٠	٥
« الإمام الصادق العامة	٢٥٠ — ٢٥١	١٢
« الحوادين العامة	٢٥١—٢٥٣	١٨
« علي بن الحسين الهاشمي الخطيب	٢٥٣—٢٥٥	٣٦
« جامعة مدينة العلم	٢٥٥—٢٥٨	٣٨

وجدير بالذكر ، أن مكتبة جامعة مدينة العلم ، التي أنشأها الإمام الخالصي الكبير ، تضم اليوم (٦٩٠) مخطوطة ، وضع فيها حميد هدو ، فهرساً يقع في ١٦٧ صفحة ، وقفنا عليه ، ولم يطبع .

ولنا أن نقول أن مكتبة السيد حسن الصدر ، المتوفى سنة ١٩٣٥ ، تحتوي على نحو من (٦٠٠) مخطوطة ، صنع لها منشئها فهرساً بعنوان « الإبانة عن كتب الخزانة » (١) .

---

(١) الذريعة (١ : ٥٦ الرقم ٢٨٦) . ومقدمة تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام : لحسن الصدر (ص ٢٢) .

وكان الشيخ أغا بزرك ، قد تصدى ، فى حياة حسن الصدر ، لما فى فى هذه المكتبة من تآليف خطية صنفها رجال الشيعة فى مختلف العصور الإسلامية ، فأثبت عناوينها فى « الذريعة » . ولو جردت أسماء تلك المخطوطات من الذريعة ، لقام منها » فهرس لا يستهان به .

وصنف الدكتور حسين على محفوظ فهرساً فى مخطوطات مكتبته (١) ، أشار فيه إلى (٣٤٦) مخطوطة ، باع منها إلى جامعة بغداد (٢٠١) مخطوطة ، وقد ذكرنا ذلك فى كلامنا على « مكتبة كلية الآداب — بجامعة بغداد »

ولدينا « ثبت » مكتوب بالآلة الكاتبة ، بما تضمه مكتبة الإمام الصادق العامة فى الكاظمية من مخطوطات ، وعددها (٣٢٩) مخطوطة .

كربــلاء

فى هذه المدينة مكتبات عديدة لا تخلو إحداها من مخطوطات ، بعضها مفهرس . ومن الفهارس التى وقفنا عليها :

١ — فهرست مخطوطات الروضة الحسينية : وهو ثبت بأسماء (٢٧٢) مخطوطة ، كلها مصاحف فيها القديم والنفيس الذى يمتاز بجودة خطه وجمال زخرفته وتجليده ، وهذا الثبت لم يطبع . ومنه نسخة مكتوبة بالآلة الكاتبة فى مكتبة المتحف العراقى . وعندنا نسخة منقولة عنه .

٢ — عنى السيد منير القاضى ، بوضع بحث عنوانه « خزانة العتبة الحسينية المقدسة » . وصف فيه (٧٢) مخطوطة (٢) من نفائس المصاحف التى تزخر بها هذه الخزانة .

٣ — فهرست مخطوطات الروضة العباسية : وفيه أسماء (١٠٩) مخطوطات كلها مصاحف .

---

(١) مجلة معهد المخطوطات العربية (٦ (١٩٦٠) ص ١٥ — ٥٨) .

(٢) مجلة المجمع العلمى العراقى (٥ (١٩٥٩) ص ١٦ — ٣٧ ، المراجعة ص ١٩ — ٣١).

وما قيل عن قدم ونفاسة مخطوطات الروضة الحسينية يقال أيضاً عن مخطوطات هذه الروضة وهذا الثبت لم يطبع . ومنه نسخة فى مكتبة المتحف العراقى مكتوبة بالآلة الكاتبة ، نقلنا عنها بخطنا نسخة لخزانتنا .

٤ — ونوه السيد ناصر النقشبندى ، بثلاث قطع قديمة من المصاحف المكتوبة بالخط الكوفى ، مما تحرزه هذه الخزانة (١) .

٥ — مخطوطات مكتبة السيد عباس الحسينى الكاشانى فى كربلاء : لحميد مجيد هدو . صدر منه القسم الأول (٢) ، وفيه يصف (١٦٥) مخطوطة .

٦ — وعنى سلمان هادى الطعمة ، بفهرسة مخطوطات مكتبات كربلاء فنشر فى ذلك مقالات ونبذا بعنوان « الآثار المخطوطة فى كربلاء » ظهرت فى أعداد شتى من مجلة المكتبة (٣) ، وقد استمدها من كتاب له فى هذا الشأن أطلعنى على الجزء الأول منه . ولم ينشر .

كـــركـــوك

تضم مكتبة مطرانية الكلدان بكركوك ، طائفة من المخطوطات الكلدانية تصدى لفهرستها المستشرق فوستى . فصنف فهرساً باللغة الفرنسية ونشره

---

(١) سومر ١٢ (١٩٥٦) ص ٣٣ — ٣٧ .

(٢) مطبعة أهل البيت — كربلاء ١٩٦٦ ، ٣٠٥ ص) .

(٣) المكتبة (٣ (١٩٦٢ — ١٩٦٣) العدد ٧و٨و٩ و١٠ — صفحاتها على التوالى ٣٠ — ٣١ ، ٣٨ — ٣٩ ، ٣٨ — ٣٩ ، ٣٤ — ٣٥ ، ٤ (١٩٦٣ — ١٩٦٤) العدد ٣٣و٣٤ و٣٥ و ٣٦ و٣٧ و٣٩ و٤٠ و٤١ و٤٢ وصفحاتها على التوالى ٣٤ — ٣٦ ، ٢٧ ، ٢٦ — ٢٨ ، ٤٤ — ٤٥ ، ٢٤ — ٢٥ ، ٣٤ — ٣٥ ، ١٨ — ١٩ ، ١٧ ، ٥ (١٩٦٤ — ١٩٦٥) العدد ٤٣ و ٤٤ و٤٥ وصفحاتها على التوالى ١٤ — ١٥ ، ٨ — ٩ ، ١٦ — ١٧ ، ٦ (١٩٦٥ — ١٩٦٦) (العدد ٤٦ و٤٧ و ٤٨ و ٤٩ و ٥٠ وصفحاتها على التوالى ٢٠ — ٢١ ، ٦ — ٧ ، ١٦ ، ١٤ — ١٥ ، ٢٤ ، ٧ (١٩٦٦) العدد ٥١ ص ٢٦ — ٢٧) .

فى مجلة الشرق المسيحى الصادرة فى رومة سنة ١٩٣٩ . وقد وصف المؤلف فى هذا الفهرس (٤٩) مخطوطة (١) .

مندلى

فى مكتبة الملا جميل بندى الروزبيانى ، التى كانت سابقاً فى مندلى(١٢٣) مخطوطة ، عندى ثبت بها بخط صاحبها ، ولم ينشر .

الموصـــل

تزخر مدينة الموصل بالمكتبات : فى المساجد والمدارس الدينية والمؤسسات الثقافية ، وفى البيوتات . مما أهاب بالدكتور داود الجلبى (٢) ، أن ينشر كتاباً عظيم الشأن فى ما فى تلك المكتبات من كتب خطية وسمه بـ « مخطوطات الموصل » (٣) ذكر فيــه الكتب العربية ، والمكتوبة بحروف عربية ، ما وقف عليه فى مدارس الموصل الدينية وجوامعها ، ذلك إلى مجاميع يملكها بعض الباحثين والشراة وغيرهم من أبناء الموصل .

بلغ عدد المخطوطات التى تطرق المؤلف لذكرها أو وصفها ، قرابة أربعة آلاف مخطوطة مفرقة بين نيف وخمسين خزانة ، وهى :

---

(١)

VOSTE (J), CATALOGUE DES MANUSCRITS-SYRO CHALDEENS CONSERVES DANS LABIBLIOTHEQUE DE L'ARCHEVCHE CHALDEEN DE KERKOUK, IRAS (ORIENTALIA CHRISTIANA PERODIC, 1939; PP. 72-102) .

(٢) توفى سنة ١٩٦٠

(٣) مخطوطات الموصل : وفيه بحث عن مدارسها الدينية ومدارس ملحقاتها . (مطبعة الفرات – بغداد ١٩٢٧ ، ٣٨٩ ص) .

المكتبـــة	صفحة الفهرست	عدد المخطوطات
المدرسة الأحمـــدية	٢٢—٤٠	٢٦٠
المدرسة الإســـلامية	٤١ —٤٥	٦٨
مدرسة جامع الأغوات	٤٥	١
« جامع الباشـــا	٤٦ —٧١	٣٦٨
« جامع بكر أفندى	٧١ —٧٧	١١٥
« جامع حمـو القـــدو	٧٨ —٧٩	١٦
« جامع الخـــاتون	٧٩ —٧٢	٥٥
« جامع خـــزام	٨٢ —٨٤	٢٢
« جامع عبدالله بك	٨٤ —٨٥	١٩
« جامع العراقدة	٨٥	٩
« مدرسة الجامع الكبير	٨٦ —٩١	٦٨
« جامع المحمودين	٩١ —٩٣	٢٨
« جامع الحاج حسين بك فى جامع السلطان أويس	٩٣ —٩٨	١١٥
« الحجيـــات	٩٩ —١٢٠	٣٠٦
المدرسة الحسنية	١٢٠—١٣٩	٣١٧

«	عبدالله بن أحمد آل رئيس العلماء	٢٩٠	٥
«	عبدالله بن الحاج على العمرى	٢٩٠—٢٩٢	٦
«	عبدالله الحلبى	٢٩٢—٢٩٣	١٤
«	عبد الغنى النقيب	٢٩٣—٢٩٤	١٣
«	على بن داود الصائغ	٢٩٤	٤
«	كتب فاروق الدملوجى	٢٩٤—٢٩٥	٥
«	القس سليمان الصائغ	٢٩٥	٦
«	القس يوسف يعقوب	٢٩٥	١
«	محمد أسعد بن أمين	٢٩٦	٣
«	محمد على بن الخليفة	٢٩٦—٢٩٧	١
«	محي الدين أبى الخطاب	٢٩٧—٢٩٨	٤
«	مصطفى بن محمود العمرى	٢٩٨	٧
«	نشأة الفيضى	٢٩٨—٢٩٩	١٩
«	نشأة بك بن عبدالله آل ياسين المفتى	٢٩٩	٢

وقد استخرج الدكتور حسين على محفوظ ، من كتاب « مخطوطات الموصل » أسماء المخطوطات المؤلفة باللغة الفارسية ، وهى (٢٤٦) مخطوطة (١) .

وحين قدمت بعثة اليونسكو إلى العراق ، لتصوير المخطوطات المهمة من مكتباته ، أتيح لها . أن تصور (٢٢١) مخطوطة من جملة مكتبات موصلية (٢) .

---

(١) كتب خطى فارسى درموحل (طهران ١٩٥٣ ، ٦ ص)
(٢) فهرست المخطوطات العربية المصورة فى العراق (ض ٦٧ — ٩١)

وهذا ثبت بتلك المكتبات وما صور من كل منها :

المكتبة	صفحة الفهرست	عدد المخطوطات
مكتبة آل الخطيب	٦٧	٥
« الأوقاف	٦٨ ٧٠	٤٠
« مدرسة مريم خاتون	٧١	٣
« الدكتور محمد صديق الجليلي	٧٢	١١
« المدرسة النعمانية	٧٣	٥
« مدرسة الحاج حسين بك	٧٤	٣
« مدرسة الحجيات	٧٥—٧٧	٢٦
« جامع الباشا	٧٨—٧٩	٢٤
« مدرسة يحيي باشا الجليلي	٨٠—٨٢	٣٤
« سعيد الديوه جى	٨٣—٨٤	٢٠
« المدرسة الأحمدية	٨٥—٨٧	٢٤
« عبد الكريم حديد	٨٨	٢
« جامع النبي شيت	٨٩	٥
« الجامع النورى (الجامع الكبير)	٩٠	٢
« عبد المجيد شوقى البكرى	٩١	٧

مكتبة البطريركية الكلدانية :

كان المطران أدى شير ، وقد سبق ذكره ، قد وضع فهرساً للمخطوطات

الكلدانية المحفوظة فى مكتبة الدار البطريركية الكلدانية بالموصل (١) ، وعددها يوم ذاك (١١٦) مخطوطة . وقد طبعه باللغة الفرنسية فى باريس سنة ١٩٠٧ (٢) ، ونسخه اليوم نادرة جداً .

وقد نقل إسحق ميسكو ، بمعاونة القس (هو اليوم المطران) يوسف بابانا. وهذا الفهرست إلى العربية ، ولم يطبع .

كما عنى أيضاً بوصف هذه المكتبة والتنويه ببعض مخطوطاتها فى بحثه الموسوم « المكتبة الكدانية البطريركية بالموصل » (٣) .

ووصف المطران سليمان الصائغ ، إحدى مخطوطات هذه المكتبة وهى كتـــاب « الأسياميذ » بالكلدانية ، كما أتيح له أن ينشر فى تلك المجلة ، وصفاً لمعجم القس خدر الموصلى .

وضع المطران أسطيفان كجو (٤) ، ثبتاً بالمخطوطات التى أضيفت إلى هذه المكتبة بعد طبع فهرست أدى شير المنوه به . ويبدأ هذا الثبت بالرقم (١١٧) وينتهى بالرقم (٢٤٧) ولم يطبع .

---

(١) لما كان مقر الدار البطريركية فى الموصل ، كانت المكتبة فى الموصل تبعاً لذلك. وبانتقالها إلى بغداد فى سنة ١٩٦٠ ، انتقلت المكتبة إليها أيضاً .

SCHER (ADDAI), NOTICE SUR LES MANUSCRITS SYRAQUES CONSERVES DANS LA BIBLIOTHEQUE DU PATRIARCAT CHALDEN DE MOSSOUL. (PARS, 1907, 38P.).

وهومستل من مجلة .

REVUE DES BIBLIOTHESUES; (VOL. 17; PARIS, 1907; PP. 237- 60)

(٢) النجم (١١ (الموصل ١٩٥١) ص ٢١٧ — ٢٢١ ، ٣٩٩ — ٤٠٢ ، ٦٠١ — ٦٠٧) .

(٣) النجم (١٠ (١٩٣٨) ص ٢ — ٤) .

(٤) توفى سنة ١٩٥٣ .

ثم أضيف إلى المكتبة (٢٢) مخطوطة جاءتها من آمد (ديار بكر) . وقد تولى القس توما حنونا ، فهرسة هذه المخطوطات سنة ١٩٣٢ ، ولم يطبع هذا الفهرس .

وفى هذه المكتبة سبع مخطوطات عربية فهرسها الدكتور داود الجلبى (١) ، على ما سبقت الإشارة إليه .

ثم كلف كل من المطران روفائيل بيد اويد ، والمطران أسطيفان بابكا وإسحق عيسكو ، بوضع فهرست جديد متكامل لمخطوطات البطريركية حين كانت فى الموصل . فأنجزوا العمل ، وكانت النسخة الوحيدة لهذا الفهرست الذى وضعوه ، لدى المطران بيداويد . ولكنها أحرقت فى حوادث العمادية ، حين كان مطراناً للكلدان فى تلك البلدة ، كما أحرقت سائر مكتبته وكانت حافلة بنفائس الكتب .

مكتبة مطرانية الموصل وكنائسها السريانية :

صنف البطريرك أغناطيوس أفرام الأول برصوم ، وقد سبق ذكره ، فهرساً بالعربية عن مخطوطات هذه المكتبة ولم يطبع . وكنا وقفنا عليه فى حمص سنة ١٩٥٦ حين زيارتنا لمؤلفه هناك . وقد أشار إليه فى بعض مؤلفاته (٢) .

المكتبة المركزية فى الموصل :

وهى المكتبة العامة الكبرى فى الموصل ، فيها (٢٠٣) مخطوطات ، عنى سعيد الديوه جى بفهرستها ونشر هذا الفهرست سنة ١٩٦٧ (٣) .

---

(١) مخطوطات الموصل . (ص ٢٤٧ — ٢٤٩) .
(٢) اللؤلؤ المنثور . (ص ١٢ الرقم ٢٤) .
(٣) الديوه جى (سعيد) : مخطوطات المكتبة المركزية فى الموصل . (بغداد ١٩٦٧ ، ٣٦ ص) . وهو مستل من « مجلة المجمع العلمى العراقى » المجلد ١٥ .

ويبدو لى أن هذا الفهرست المنشور لا يشمل سائر ما تحتويه هـذه المكتبة من مخطوطات ، بل يقتصر على ذكر المخطوطات العربية ، فإن أوراقاً بخط الحاج أحمد نيلة ، أمين المكتبة السابق ، يقول فيها أن عدد مخطوطات هذه المكتبة (٦٢٢) مخطوطة . وهذا تصنيفها بحسب اللغات المكتوبة بها :

اللغـة	عدد المخطوطات
العـربية	٢٣٠
التركيـة	٢٠
الفـارسية	٥
الإنكليزية	٥
العـبرية	٣٦٢
	٦٢٢

مكتبة الدكتور داود الجلبى :

سبقت الإشارة إلى (٧٦) مخطوطة كانت فى هذه المكتبة سنة ١٩٢٧ حين فهرسها صاحبها فى كتابه « مخطوطات الموصل » (١) وقد ازدادت هذه المخطوطات من بعد ذلك ، حتى بلغت (٢٧٥) مخطوطة ، عنى الدكتور فيصل دبدوب ، بفهرستها سنة ١٩٦٧ ، وقد نشر هذا الفهرست (٢) .

---

(١) ص ٢٦٦ — ٢٨٦ .

(٢) الدكتور داود الجلبى : حياته ومخطوطات خزانته (مجلة معهد المخطوطات العربية ١٣ (١٩٦٧) ص ص ٣ — ٤٠) .

مكتبة سعيد الديوه جى :

فيها (٢٢٠) مخطوطة ، فهرسها صاحبها فى فهرس نشره سنة ١٩٦٣(١) وعندى فهرس بأسماء هذه المخطوطات ، نقلته عن أوراق بعث بها إلى سعيد الديوه جى سنة ١٩٥٦ ويختلف الاثنان من حيث الترتيب .

النجــف

لكثير من أدباء النجف وعلمائها ، عناية ظاهرة بالمخطوطات ، حملت على الخاقانى على أن يضع فهرساً بجملة كبيرة مما فيها من مخطوطات ، وقد وقفنا على مسوداته (٢) .

نشر منه وصفاً لـ (٢٤) مخطوطة انتشرت فى بعض مكتباتها ، فى مجلة الاعتدال (٣) ، كما نشر وصفاً لطائفة أخرى من تلك المخطوطات ، بعنوان النوادر المخطوطة فى النجف » (٤) .

هذا ما يقال عن فهارس مخطوطات النجف بوجه عام ، أما فهارس مخطوطات كل مكتبة على انفراد ، فسنتكلم عليها فيما يأتى :

---

(١) مخطوطات خزانة سعيد الديوه جى . (مجلة معهد المخطوطات العربية ٩ (١٩٦٣) ص ٢٠٣ — ٢٣٠) . وقد أفرد فى رسالة .

(٢) دليل الآثار المخطوطة فى العراق : لعلى الخاقانى . وقد سجل فيه كثيراً من مخطوطات النجف والبصرة وبغداد والموصل . يقع فى ثمانية أجزاء . انظر مجلة المكتبة (٢ (١٩٦١) العدد ٥ ص ١٠) .

(٣) الاعتدال (٥ النجف (١٩٣٨ — ١٩٤١) ص ٥٧ ، ١١٣ ، ١٧٤ ، ٤٧٣ ، ٥٣٣ ، ٥٧٤ ، ٦ (١٩٤٦) ص ٧٥ ، ، ١٥٥ ، ٢٣٨) .

(٤) الغرى النجف ١٩٤٠ — ١٩٤١ (ص ١٢٦٣ ، ١٢٩٧ ، ١٣٣٧ ، ٣ (١٩٤٢) ص ١٨٧ ، ٢١١ ، ٢٨٨ ، ٤٣٢ ، ٥ (١٩٤٣ — ١٩٤٤) ص ٧٤٢) .

١ ــ مخطوطات الخزانة الغروية :

وهى خزانة الروضة الحيدرية ، وتعرف بمكتبة الصحن الشريف فى نجف . كنا قد فصلنا القول فى تاريخ هذه المكتبة ، فى مؤلفنا عن تاريخ مكتبات العراق (١) ، وقد نوهنا فى تضاعيف كلامنا بـ (٢٠) مخطوطة تعد من نوادر مكنونات هذه الخزانة .

وكان كاظم الدجيلى (٢) ، طليعة من تصدى للبحث عن مخطوطات هذه الخزانة ، فوصف فى مجلة « لغة العرب » التى كان يصدرها فى بغداد الأب أنستاس مارى الكرملى ، طائفة من نفائس مخطوطات هذه الخزانة (٣).
كما وصف فى بحثه الموسوم بـ « وصف كتب خزانة الأمير » (١٧) مخطوطة أيضاً(٤) . فى هذه الخزانة اليوم ، زهاء (٥٠٠) مخطوطة عربيــة ، معظمها مصاحف ، ومن هذه المصاحف ما كان قديماً جداً مكتوباً على الرق بالخط الكوفى . ومنها ما كتبه أشهر الخطاطين المعروفين فى العصور الإسلامية ولهذه المخطوطات ثبت بأسمائها ، لم يطبع . ومنه نسخة مطبوعة بالآلة الكاتبة ، محفوظة فى مكتبة المتحف العراقى ، وقد نقلنا عنها نسخة لخزانتنا .

ووضع الدكتور حسين على محفوظ ، مقالا نوه فيه بـ (٨٢) من مخطوطاتها النادرة وعنوانه « فهرس الخزانة الغروية بالنجف فى مشهد أمير المؤمنين الإمام على بن أبى طالب عليه السلام » (٥) .

وكان الشيخ أغا بزرك ، ممن زار هذه الخزانة منذ سنوات بعيدة ، فوضع فى مخطوطاتها فهرساً لم ينشر (٦) .

---

(١) عواد (كوركيس) : خزائن الكتب القديمة فى العراق . ص ١٣٠ – ١٣٧) .
(٢) توفى سنة ١٩٧٠ .
(٣) لغة العرب (٣ (١٩١٤) ص ٥٩٣ – ٦٠٠) .
(٤) لغة العرب (٤ (١٩١٤) ص ٤٠ – ٤٥) .
(٥) مجلة معهد المخطوطات العربية (٥ (١٩٥٩) ص ٢٣ – ٣٠) .
(٦) المصدر السابق . ص ٢٣ .

كما نوه الشيخ جعفر محبوبة (١) ، ببعض مخطوطات هذه الخزانة فى الفصل الذى عقده عن المكتبة الحيدرية « فى كتابه المطبوع عن تاريخ النجف » (٢) .

٢ — مكتبة آل كاشف الغطاء :

وقفها الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء على مدرسته فى النجف . فيها (٦٦٦) مخطوطة . وللمكتبة فهرس يقع فى تسعة دفاتر ، يشمل المطبوع والمخطوط ، رأيته حين زرت المكتبة . ولم يطبع .

وكان على الخاقانى ، قد أفرد بحثاً بعنوان الآثار المخطوطة فى النجف : مكتبة الإمام كاشف الغطاء » (٣) ، وقد وصف فيه (٢٢٣) مخطوطة .

كما ذكر الدكتور حسين على محفوظ ، (٣٣) مخطوطة مما فى هذه المكتبة (٤) .

٣ — مخطوطات مكتبة آية الله الحكيم العامة :

أنشأها فى سنة ١٩٥٧ ، السيد محسن الطباطبائى الحكيم ، فى جامع الهندى بالنجف ، وكان فيها سنة ١٩٦٢ ، (١٥٣٦) مخطوطة ، عنيت إدارة المكتبة بإصدار الحلقة الأولى من فهرست هذه المخطوطات ، وهى تقع فى مجلد يصف (٤٤) من نوادر هذه المخطوطات (٥) .

---

(١) توفى سنة ١٩٥٧ .

(٢) محبوبة (جعفر) : ماضى النجف وحاضرها . (١ (ط ٢ : النجف ١٩٥٨) ص ١٤٨ — ١٥٢) .

(٣) الأقلام (١ (بغداد ١٩٦٤ — ١٩٦٥) الجزء الثانى ، ص ٩٤ — ١٠٦ ، الجزء الرابع . ص ٩٨ — ١٠٧ ، الجزء السادس . ص ٩٩ — ١١٢ ، الجزء الحادى عشر . ص ١٣٤ — ١٥٠) .

(٤) مجلة معهد المخطوطات العربية (٤ (١٩٥٨) ص ٢٠٧ — ٢١٠) ، .

(٥) من نوادر مخطوطات آية الله الحكيم العامة . (مطبعة النجف ١٩٦٢ ، ١٥٨ ص) .

ووصف محمد هادى الأمينى ، أربع مجاميع شعرية نادرة تضمها هذه المكتبة (١) .

٤ — مخطوطات مكتبة السيد محمد البغدادى الحسنى النجفى :

فهرس محمد هادى الأمينى ، بعضاً من نوادرها . ولم يتعين عندنا مقدار ما تحتويه هذه المكتبة (٢) .

٥ — مخطوطات مكتبة محمد السماوى :

أنشأها الشيخ محمد السماوى (٣) ، رأينا ها غير مرة ، فوجدناها حسنة التنسيق ، وفيها نفائس ونوادر ، كانت تحتوى على (٤٧٢) مخطوطة ، عندى ثبت بها . ولكنها بيعت وتشتتت كتبها بعد وفاة صاحبها (٤) .

٦ — مخطوطات مكتبة محمد على البلاغى :

فيها طائفة من المخطوطات ، عنى محمد على هادى الأمينى بوصف مجموعة رسائل تضم (١٤) مؤلفاً مخطوطاً مما فى هذه المكتبة (٥) .

٧ — مخطوطات مكتبة محمد على اليعقوبى :

ذكر حسين على محفوظ ، خمسة كتب خطية (٦) مما احتوته هذه المكتبة التى آلت بعد وفاة صاحبها فى سنة ١٩٦٥ ، إلى نجله الشيخ موسى اليعقوبى .

---

(١) المكتبة (٤ (١٩٦٣) العدد ٣٧ ص ٣٤ — ٣٦) .

(٢) مخطوطات مكتبة آية الله السيد محمد البغدادى فى النجف الأشرف . (مطبعة القضاء — النجف ١٩٦٤ ، ١٨٩ ص) .

(٣) توفى سنة ١٩٥٠ .

(٤) اقتنت مكتبة المتحف العراقى ، فى حياة صاحبها ، سنة ١٩٤٩ ، جملة مخطوطاتها .

(٥) المكتبة (العدد ٥٢ ص ١٠ ، العدد ٥٣ ص ١٢ — ١٣ ، العدد ٥٤ ص ١٤ — ١٥)

(٦) مجلة معهد المخطوطات العربية (٤ (١٩٥٨) ص ٢١٤ — ٢١٥) .

٨ — مخطوطات مكتبة صالح الجعفرى :

قوامها (١٢١) مخطوطة . عندى ثبت بها مكتوب سنة ١٩٦٠ ، ولم يطبع .

كلمة ختامية

ولنا أن نقول قبل أن ننفض يدنا من هذا البحث ، أن فى العراق مكتبات تحتضن كميات وافرة من المخطوطات التى تنتظر من يفهرسها ويعرف الناس مكنوناتها على ما أسلفنا .

ففى بغداد والنجف وكربلاء والموصل والبصرة وكركوك وأربيل وغيرها من المدن ، مخطوطات ينبغى الالتفات إليها . وليس من سبيل لتيسير هذا الأمر وتقريبه من جمهرة العلماء والمتتبعين إلا بالإقبال على فهرستها فهرسة علمية ، ثم العناية بنشر تلك الفهارس الموضوعة فيها .

إن ما مر ذكره فى تضاعيف هذا البحث من فهارس وأثبات ، ليس كله من غرار واحد ، من حيث الدقة العلمية وصحة المعلومات التى أدرجت فيها . فهى تتفاوت تفصيلا وإيجازاً ، وتختلف ضبطاً واضطراباً .

كوركيس عواد

التعريف بالمخطوطات

الصغانى

أبو الفضائل رضى الدين

بقلم : عبد الستار أحمد فراج

إنه صاحب المؤلفات التى تعد مراجع لكثير من الباحثين عنى بتأليفها أعظم العناية ، وتحرى الصحيح من النصوص ، مع الخط الواضح المضبوط بعناية حين يكتب بنفسه أو يراجع نسخة له بعض تلاميذه من مؤلفاته .

وإنه لعالم من خيرة العلماء ، ترك وراءه آثاراً مشهورة من الكتب ذات الطابع الموثوق به ، المعترف بدقته وصحته وأمانته ، وكلها تنبىء عن جد متلاحق ، وفهم عميق ، وعزيمة لا يعتريها ضعف ، ولا يلحق بها فتور .

وإنها لحياة تبعث فى الناطقين بلغة القرآن الكريم شعوراً بالرضا والسعادة إذ كانت أقطار المسلمين عامرة بخزائن الكتب . وبلادهم حافلة بحلقات الدروس ، ليست هناك حدود حاجزة ، ولا موانع عائقة أمام البحث والتحصيل ، وحيث التبجيل لكل من برع فى فنه النافع ، والتقدير لكل من ظهر فضله باهراً بالعلم والعرفان ، وإنه لمثل يحتذى .

هو رضى الدين أبو الفضائل الصغانى ، اقتبس أنوار معارفه من كثير من البقاع ، وجعل يطوف فيرسل مما اقتبس أشعة تنير الحالك . وتجلو الظلمات ، وتهدى من يريد سلوك الطريق القويم .

والبلاد الإسلامية الشاسعة المترامية الأطراف تستقبل فى إجلال كل من لمست فى علمه وعمله الإخلاص والصفاء .

وإذا نظرنا إلى البلاد التى تنقل بينها فى عهده ، ثم عرفنا مواقعها الآن

نجد الهند والسند ولكن أيام أن كان اللسان العربى المبين يتردد بين أرجائها . وتسمع اسم لاهور ، كما تسمع اسم غزنه التى هى الآن من أفغانستان . واسم عبادان التى نعلم أنها من بلاد إيران .

كما نجد اسم مكة وجدة يترددان . وبغداد والعراق وتعز وزبيد وعدن وغيرها مما يكون جزءاً من اليمنين القائمين الآن .

والصغانى أو الصاغانى نسبة إلى صغانيان إحدى البلاد المشرقية ، وقد ترجمت له مراجع كثيرة . والذى كتب فيها عنه إنما هو قليل ، مأخوذ بعضه من بعض ، أو يكاد ما ورد فى كتاب يماثل النص الذى جاء فى الكتاب الآخر .

وأوسع ما ذكر عن اسمه ما جاء فى أول كتابه « العباب » بعد بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين هو « الحسن بن محمد بن الحسن ابن حيدر بن على بن إسماعيل العمرى . . » ويراد بالعمرى أن نسبه ينتهى إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه أمير المؤمنين . وقد يضاف إلى اسمه كلمتا : العدوى القرشى ، ويراد بهما أنه من قبيلة عدى القرشية التى ينتمى إليهـا جده الأعلى عمر بن الخطاب .

* * *

وننقل بعض النصوص التى وردت ترجمة له فى بعض المؤلفات .

١ — يقول عنه السيوطى فى « بغية الوعاة » قال الذهبى : « ولد بمدينة لاهور سنة ٥٧٧ هـ ، ونشأ بغزنة ، ودخل بغداد سنة ٦١٥ وذهب فيها بالرياسة الشريفة إلى صاحب الهند ، فبقى مدة وحج ، ودخل اليمن ، ثم عاد إلى بغداد ، ثم إلى الهند ، ثم إلى بغداد » .

ومثل هذا النص حرفياً فى كتاب « روضات الجنات » .

٢ — وياقوت فى معجم الأدباء — وقد عاصر جزءاً من حياة الصغانى —

يقول : « قدم العراق . ، وحج ، ثم دخل اليمن ، ونفق له بها سوق ، وكان وروده إلى عدن سنة ٦١٠ . . . وكان يقرأ عليه بعدن « معالم السنن » للخطابى.وفى سنة ثلاث عشرة وستمائة كان بمكة وقد رجع من اليمن ، وهو آخر العهد به » .

٣ – وفى معجم المؤلفين ، اعتماداً على « الحوادث الجامعة » لابن الفوطى و « كشف الظنون » وفهرس المخطوطات المصورة ، يذكر أنه ولد فى ١٠ صفر ، ونشأ بغزنة وتوفى ببغداد فى رمضان سنة ٦٥٠ هـ .

٤ – أما العبر فيذكر فيه أنه توفى فى شعبان سنة ٦٥٠ وحمل إلى مكة فدفن فيها .

٥ – وفى فوات الوفيات يقول : قال الدمياطى – وهو أحد تلاميذ الصغانى المشهورين : قرأت عليه وحضرت دفنه بداره بالحريم الطاهرى ببغداد ، ثم نقل بعد خروجى من بغداد إلى مكة ودفن بها ، وكان قد أوصى بذلك ، وأعد خمسين ديناراً لمن يحمله .

٦ – وفى شذرات الذهب « حوادث سنة ٦٥٠ » وفيها العلامة رضى الدين العدوى العمرى الهندى اللغوى نزيل بغداد ، وذهب فى الرسائل غير مرة ، وسمع بمكة من أبى الفتوح بن الحصرى ، وببغداد من سعيد بن الرزاز وكان إليه المنتهى فى معرفة اللغة ، له مصنفات كبار فى ذلك ، وله بصر فى الفقه ، مع الدين والأمانة ، توفى فى شعبان وحمل إلى مكة فدفن بها .

٧ – وفى كتاب « مفتاح السعادة » نجد نصاً عن الدمياطى تلميذ الصغانى يقول فيه :

كان شيخاً صدوقاً صموتاً عن فضول الكلام ، إماماً فى اللغة والحديث ، حمل لأصحابه طعاماً . . . وفارقناه وعديت إلى الشط ، فلقينى شخص أخبرنى بموته ، فقلت له : الساعة فارقناه . فقال : والساعة وقع الحمام . يخبر بموته فجأة . وذلك سنة خمسين وستمائة .

٨ - وفى مقال للدكتور محمد إسماعيل الندوى عن الصغانى ، نشر فى مجلة العربى بالعدد ١٣٦ ذو الحجة ١٣٨٩، مارس (آذار) ١٩٧٠ حديث عن الصغانى يذكر من حياته كلاماً مجملا غير دقيق . نستفيد منه أنه ولد فى مدينة « لاهور » عاصمة باكستان الغربية الآن ، حيث تربى فيها وترعرع ودرس إلى أن صار شابا . ثم قام بعدة رحلات فى طلب العلم إلى غزنة والحجاز واليمن وعدن والعراق . . . ارتحل أولا إلى غزنة بعد استكمال دراسته فى الهند ثم دخل العراق وأخذ من علمائها ، ثم رحل إلى بغداد سنة ٦١٥ هـ فى أيام الناصر لدين الله الخليفة العباسى ، فطلبه وخلع عليه ، وأرسله بالرسالة الشريفة إلى ملك الهند شمس الدين التمشى سنة ٦١٧ فبقى بها مدة ، ثم خرج من الهند سنة ٦٢٤ فحج ودخل اليمن ، ثم عاد إلى بغداد ، فلما توفى الناصر أعاده الخليفة المستنصر بالله سفيراً له فى بلاط السلطان التمشى فى ٦٢٦ هـ . ولقد أمضى الصغانى فى هذه المرة مدة كبيرة فى الهند . ثم سافر إلى اليمن وقضى بها زمناً يسيراً ، ثم عاد إلى بغداد ثم بعثه الخليفة المستنصر بالله مرة أخرى سفيراً له إلى الملكة رضية بنت التمشى فى ٦٣٤ ومكث عندها ثلاث سنوات . وتوفيت الملكة . وتولى الحكم أخوها فى ٦٣٧ فعاد الصغانى إلى بغداد سنة ٦٣٧ هـ .

ومن العجب أن الصغانى لم ينسب نفسه إلى « لاهور » . ولم ينسب نفسه إلى غزنة ، وإنما حرص كل الحرص أن تكون لفظة « الصغانى » هى التى تميز بها نفسه . حتى فى معجميه التكملة والعباب لم يذكر اسم « لاهور » لا فى مادة « لهر » ولا فى مادة « لهور » ولا فى مادة « لوهر » .

وجاء فى تاج العروس فى مستدركاته بعد مادة « لهر » وقبل مادة « مأر » ما يأتى « لهور ، كجعفر ، ويقال : لاهور ، كساجور ، ويقال أيضاً « لهاور » : مدينة عظيمة بالهند ، بها ولد الصاغانى صاحب العباب .

أما « صغانيان » التى ينسب نفسه إليها دائماً فقد ذكر فى كتابه التكملة فى مادة « صغن » . . . وكثير من الصغانيين منسوبون إلى بلد يسمى

جغانيان بما وراء النهر كثير الخير مخصب . فى كل دار من دورهم ماء جار . وقال البشارى : به ستة عشر ألف قرية ، وأبدلت الجيم صاداً » .

وهناك صغانى آخر اسمه أبو بكر محمد بن إسحاق بن جعفر الصغانى ، ذكره ياقوت فى معجمه فى رسم صغانيان فقال : نزيل بغداد ، أحد الثقات.. روى عنه مسلم بن الحجاج القشيرى وأبو عيسى الترمذى ومات سنة ٢٧٠ هـ »

على أن خير ما يكون مترجماً لحياة الصغانى ما يذكره هو فى أثناء كلامه فى مؤلفاته استطراداً . ومؤرخاً لما يذكره .

١ — يقول فى مادة « بيض » من العباب بعد أن يروى البيت الذى من قصيدة بشانه النهشلى فى الحماسة وهو :

بيض مفارقنا تغلى مراجلنـــا　　نأسو بأموالنا آثار أيدينـــا

سمعت والدى — ألبسه الله حلل رضوانه ، وأسكنه بحبوحة جنانه — فى شهور سثة نيف وثمانين وخمسمائة ، وأكبر ظنى أن ذلك كان بغزنة .

يقول : كنت أقرأ فى صباى فى كتاب الحماسة لأبى تمام على شيخى بغزنة ففسر لى هذا البيت ، وأول قوله : « بيض مفارقنا » مائتى تأويل ، فاستغربت ذلك ، حتى وجدت الكتاب الذى بين فيه هذه الوجوه ببغداد ، فى حدود سنة أربعين وستمائة ، والحمد لله على نعمه .

فهذا النص يفيد أنه كان بغزنة وعمره لم يتجاوز العاشرة ، وأن أباه أيضاً تعلم بغزنة فى صباه ، وكان محباً للأدب . ولعله كان من المقيمين فيها والعاملين بها .

٢ — وفى مادة « لبخ » : قال الصغانى مؤلف هذا الكتاب — أى العباب : رأيت ثمر هذه الشجرة بزبيد سنة خمس وستمائة . ورأيت ثمرتها أيضاً . والثمرة مثل المشمشة الخضراء ، وأهل زبيد يطبخونها مع اللحم .

٣ — وفى مادة « كنس » : والكنيسة مرسى من مراسى بحر اليمن مما يلى زبيد للجائى من مكة حرسها الله تعالى . قال الصغانى مؤلف هـــذا الكتاب : أرسيت بها سنة خمس وستمائه .

٤ — وفى مادة « عنبر » : وقيل للترس عنبر لأنه يتخذ من جلد سمكة بحرية يقال لها العنبر . قال الصغانى مؤلف هذا الكتاب : « رأيت أهل جدة منصرفى من الحجاز إلى اليمن سنة ست وستمائة يحتذون أحذية من جلد العنبر ، فتكون أقوى وأبقى وأمتن وأرصن ما تتخذ منه . وقد اتخذت أنا حذاء من جلده » وقريب من نص العباب ما جاء فى التكملة له أيضاً ولكن بدون تاريخ ، ونقله الزبيدى فى كتابه تاج العروس .

٥ — وفى مادة « فرس » : وفرسان مثال غطفان جزيرة مأهولة من جزائر بحر اليمن . قال الصغانى مؤلف هذا الكتاب : أرسيت به أياماً سنة خمس وستمائة . وعندهم مغاص الدر ، والنص أيضا فى تاج العروس .

٦ — وفى مادة « كوز » : قال الصغانى مؤلف هذا الكتاب : وبهذه الصفة الذملوة ، قلعة من قلاع اليمن ، مررت بها مجتازاً إلى تعز من عدن أبين وهى تناغى أعنان السماء ، وتماس منكبى الجوزاء » ولم يذكر تاريخ مروره .

فمن هذه النصوص نتبين أنه كان متنقلا وعمره على الأكثر خمسة وعشرون عاماً إلى الثلاثين ما بين مكة واليمن وأنه كان يتلقى العلم وبخاصة الحديث فى مكة . ثم يملى فى اليمن ، واستمر على هذه الصفة قرب سنة ٦١٥ هجرية .

ويؤيده قول ياقوت الحموى الذى عاصر بعض عمره إذ قال كما سبق : قدم العراق وحج ثم دخل اليمن ونفق له بها سوق ، وكان وروده إلى عدن سنة ٦١٠ . . . وكان يقرأ عليه بعدن معالم السنن للخطابى وفى سنة ٦١٣ كان بمكة وقد رجع من اليمن وهو آخر العهد به » .

ويبدو من نص ياقوت أن الصغانى دخل العراق قبل أن يذهب إلى الحج ثم دخل اليمن .

٧ — ومن النص التالى نعرف أنه عاد إلى مكة . وتلقى فيها معالم السنن » ثم ذهب إلى عدن وحدث بها .

فى مكتبة فيض الله باستامبول نسخة من معالم السنن للخطابى صورها معهد المخطوطات . عليها إجازة من الصغانى لتلاميذه ، مؤرخ فيها تلقيه بمكة ومؤرخ فيها تاريخ التدريس ومكانه . وهذا هو النص .

« قرأ هذه المجلدة — من أولها إلى آخرها وهى الأولى — كتب فوقها : الثانية — من معالم السنن للخطابى رحمه الله ، على سيدنا الفقيه الأجل الإمام الأوحد الصدر الكبير المحدث المتقن المتبحر ملك الكلام ، الزاهد الورع . العامل الموفق الأمين ، المحرم المكين . رضى الدين الحسن بن محمد بن الحسن الصغانى ، أناله الله مناه ، وأتم مغزاه — أبو بكر بن على بن محمد بن أبى الكمائب الفارقى الأصل ، العدنى المولد والمنشأ عفا الله عنه . بحق قراءته لها — أى قراءة الصغانى لها — على الشيخ الإمام المحدث الثقة الأمين المتقن ، بقية السلف الصالح . برهان الدين أبى الفتوح نصر بن أبى الفرج بن على الحصرى ، بمكة حرسها الله تعالى ، فى شهر ذى الحجة من سنة تسع وستمائه ، وسمع القراءة الفقية حسين بن محمد الجبرى والفقيه محمد بن عمر الجبرى والفقيه حسين بن على بن حسين القدسى — الحروف غير واضحة النقط — وصح لهم ذلك ، وأجاز لهم الشيخ الإمام رضى الدين أن يرووه كما سمعوه بالسند المذكور فيه . ووافق الفراغ منها عشية الخمس والعشرين من صفر سنة عشر وستمائة ٦١٠ بمسجد الشيخ ياسر بن بلال المحمدى بمدينة عدن . عمرها الله بالصالحين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم . .

ووقع الصغانى بقوله :

هذا صحيح . وكتب الحسن بن محمد بن الحسن الصغانى . . فى التاريخ المذكور .

٨ — فى مادة « ربض » : أخبرنا نصر بن أبى الفرج بن على الحصرى رحمه الله تعالى بقراءتى عليه بمكة حرسها الله تعالى ، فى الحرم الشريف زاده الله شرفاً . قبالة الكعبة المعظمة ، زادها الله تعظيما ، فى شهر رجب ، من شهور سنة ثلاث عشرة وستمائه . . . » .

هذا وابن الحصرى شيخ الصغانى يقول عنه الزبيدى فى تاج العروس فى مادة « حصر » : والإمام برهان الدين أبو الفتوح نصر بن على بن أبى الفرج بن الحصرى المحدث ، حدث عن النقيب أبى طالب العلوى وأبى زرعة المقدسى . . . وانتقل إلى مكة ، وولى إمامة المقام بها ، ثم رحل عنها إلى المهجم باليمن لنشر العلم وبها توفى .

وفى البداية والنهاية حوادث سنة ٦١٩ : وفيها توفى إمام الحنابلة بمكة الشيخ نصر ابن أبى الفرج المعروف بابن الحصرى ، جاور بمكة مدة لم يسافر ، ثم ساقته المنية إلى اليمن . فمات بها فى هذه السنة .

٩ — فى سنة ٦١٥ ذهب الصغانى إلى بغداد ، يقول فى العباب فى مادة « قرط » وأما قول النبى صلى الله عليه وسلم « ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم» ويروى : «إلا راعى غنم » . قالوا : وأنت يا رسول الله ؟ قال : «وأنا كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة » فالمراد بها قراريط الحساب . قال الصغانى مؤلف هذا الكتاب : قدمت بغداد سنة خمس عشرة وستمائة وهى أول قدمة قدمتها فسألنى بعض المحدثين عن معنى القراريط فى هذا الحديث فأجبته بما ذكرت » فقال : سمعنا الحافظ الفلانى أن القراريط اسم جبل أو موضع . فأنكرت ذلك كل الإنكار .

ونلاحظ هنا أنه ينص على وروده بغداد أول مرة فى سنة ٦١٥ وسبق قول ياقوت « قدم العراق وحج ثم دخل اليمن ونفق له بها سوق وكان وروده إلى عدن سنة ٦١٠ » فلعل قدومه هنا إلى العراق هو غير دخوله إلى بغداد فى سنة ٦١٥ فالعراق قطر كبير وبغداد مدينة .

هذا وسبق أن نقلت عن « شذرات الذهب » أن الصغانى سمع بمكة من أبى الفتوح بن الحصرى وببغداد من سعيد بن الرزاز . . .

وسبق الكلام عن ابن الحصرى ، أما سعيد بن الرزاز فقال عنه ابن العماد فى « شذرات الذهب » : توفى سنة٦١٦ وهو أبو منصور ابن الرزاز سعيد ابن محمد ابن العلامة المفتى سعيد بن محمد بن عمر البغدادى ، روى البخارى عن أبى الوقت وحضر أبا الفضل الأرموى .

وقد يكون الصغانى ذهب سفيراً للخليفة فى المدة ما بين سنة ٦١٥ و ٦٢٤ وأنه صار ملزماً بالخضوع لما يؤمر به ، ويؤيد ذلك ما ذكره هو نفسه فى كتابه «العباب» فى مادة « عبد » إذ يقول : وعبادان جزيرة . . . معبد العباد ، وملقى عصا الزهاد ، وفيها مشاهد تدعو زوارها بلسان الحال إلى الانقطاع إلى الله تعالى ، والإعراض عن الدنيا الدنية . قال الصغانى مؤلف هذا الكتاب : وردتها سنة أربع وعشرين وستمائة . فأردت إلقاء الجران بها فلم أمكن من ذلك ، إذ لم يكن زمام أمرى بيدى ، فغلبنى البكاء والعويل ، وأردفت الأنين بالأليل ، وأنشأت أقول :

جرتْ نَفْسى معَ الأهواءِ دهراً ولاتَجرِي إلى الطاعاتِ جَرْيَهْ
فلمّا جئت عبّادان أَرْستْ وليس وراءَ عبّادانَ قريَهْ
ولو ترك القطا ليلاً لنام

ويبدو أن الصغانى ضاق ذرعاً بأن يشغل بالسفارات ، وهو الرجل المحب للعلم ، يطلبه ويؤلف فيه ، ويقارن بين النسخ المكتوبة ، ليظفر بأحسنها ضبطاً ، وأحسنها إتقاناً ، فذهب إلى مكة المكرمة ملتجئاً ، وظل يطلق على نفسه هذا الوصف وإن لم يكن موجوداً بها . لكى يصون نفسه من أن تناله أيدى المتسلطين .

يقول فى آخر كتابه « التكملة » : « قد يسر الله تعالى الفراغ من تأليفه صبيحة يوم الجمعة وقت فتح باب بيت الله الحرام العاشر من صفر سنة خمس وثلاثين وستمائه » .

ثم لزم بغداد بعد أسفاره أو أنه ألزم بالبقاء فيها ، ولكنه وجد مكتبات حافلة بالكتب القيمة ، فانصرف إلى التأليف ، مع اعتباره نفسه ملتجئاً إلى بيت الله الحرام . وقد يكون هناك أو تكون فى الطريق ظروف قاهرة هى التى حالت دون رجوعه إلى مكة ، وليس لأصحاب السلطان فيها شأن ، ولعلنا نعثر على تلك العوامل التى منعته . بل إننا سنلحظ بعضاً منها فيما يأتى عابراً فى المؤلفات التاريخية .

ففى كتاب البداية والنهاية فى حوادث سنة ٦٢٨ فى الجزء الثانى عشر صفحة ١٢٩ « وحج الناس فى هذه السنة من الشام ، ثم لم يحج الناس بعد هذه السنة أيضاً ، لكثرة الحروب والخوف من التتار والفرنج » .

وفى البداية والنهاية أيضاً فى الجزء الثالث عشر فى صفحة ١٨٢ « ثم دخلت سنة خمسين وستمائة هجرية ، وفيها حج الناس من بغداد ، وكان لهم عشر سنين لم يحجوا من زمن المستنصر » .

ومن هذين النصين قد يتبين لنا السبب فى إحصار الصغانى الذى اعتبر نفسه ملتجئاً إلى مكة ، فى حين أنه لم يرجع إليها إلا بعد وفاته محمولا كما أوصى ليدفن هناك .

* * *

تتوالى فى النسخة التى بخط الصغانى من كتابه « العباب » جملة « الملتجىء إلى حرم الله تعالى » ففى الجزء الذى يبدأ من مادة صبر وينتهى بمادة سيس يقول : تأليف الملتجىء إلى حرم الله تعالى . وفى آخر هذا الجزء : فرغ

من تحريره يوم الخميس السابع عشر من شهر المبارك ذى القعدة من شهور سنة ثمان وأربعين وستمائة » .

وفى آخر حرف الطاء : تأليف الملتجىء إلى حرم الله تعالى . . . صنفه وهو محصر عن الإلمام ببيت الله الحرام ، وتعظيم المشاعر العظام ، وهو يسأل الله فكه وإطلاقه ، وتيسيرة اندفاعه وانطلاقه » .

وفى آخر الظاء : « تأليف الملتجىء إلى حرم الله تعالى . . ألفه وهو ممنوع من العود إلى أشرف البقاع ، ودموعه هامعة دائمة التهماع ، وهو يجأر إلى الله فى تجليته عنه هذا الغبار ، ونعشه من هذا العثار ، فقد نيف على السبعين بثلاث سنين ، ولم يحل بصاف معين ، ولا مصاف معين » .

وفى آخر المجلد الرابع عشر وهو بخطه « على يدى مؤلفه الملتجىء إلى حرم الله تعالى ، بلغه الله قواصى مباغيه ، وهى إعادته إلى حرمه ، وملكه نواصى ما يناغيه وهى أن يقبره هنالك بكرمه ، يوم السبت الثالث عشر من ذى القعدة من شهور سنة تسع وأربعين وستمائة » .

وفى آخر المجلد الخامس عشر : « على يدى مؤلفه الملتجىء إلى حرم الله تعالى . . طول الله حبل أمله ، قبل أن يطوى حبل أجله ، ضحوة يوم السبت لست ليال بقين من شهر الله المحرم سنة خمسين وستمائة » .

ولم أظفر ببقية الأجزاء التى بخطه حتى مادة بكم التى انتهى إليها تأليفه للعباب . ومعلوم أن الصغانى توفى سنة ٦٥٠ هجرية ببغداد وكان ذلك فى شهر شعبان — على الأصح — وحج الناس بعد ذلك ، فأخذوا جثمانه ودفنوه فى مكة ، حيث أوصى بذلك وجعل لمن يحمل جسده خمسين ديناراً .

* * *

كان الصغانى ينتقى أحسن النسخ من المخطوطات ويشير إلى ذلك فى ثنايا

ما ألفه ، غير ما يكتبه فى مقدماته أو فى نهاية مؤلفاته من مراجع كثيرة جداً ، هى من خيرة المراجع فى موادها ولعظماء المؤلفين السابقين ، كما يشير إلى بلاد مر بها أو أقام فيها وانتفع بما فيها من مؤلفات .

يقول فى مقدمة كتابه «العباب» حين ذكر الصحاح للجوهرى : وقد صحح نسخته وحشاها من قرأ على هذا الكتاب بالهند والسند واليمن والعراق ، وقد صححت نسخة وحشيتها بخطى بمدينة السلام حماها الله تعالى .

وعند ذكر ديوان ذى الرمة يقول : فى نسختى من ديوانه التى قابلتها وصححتها باليمن والعراق .

ويذكر لنا نسخة من التهذيب فيقول فى مادة قفص : رأيت فى نسخة من التهذيب للأزهرى موقوفة بالمدرسة النظامية ببغداد وهى فى غاية الوضوح ضبطاً وشكلا .

وفى مادة شوش يذكر الهيثم بن كليب بن شريح الشاشى صاحب المسند الكبير ويقول : مسنده عندى وهو سماعى ، ولم أجد ببغداد نسخة سوى ما عندى .

وفى مادة عطرس: قال الصغانى مؤلف هذا الكتاب : « لم أجد للخنساء قصيدة ولا قطعة على قافية السين المضمومة من بحر البسيط مع كثرة ما طالعت من نسخ ديوان شعرها » .

وفى مادة صنغ : « هذا التركيب مهمل فى كتب اللغة التى سميتها فى صدر هذا الكتاب ، وإنما حملنى على ذكره أنى رأيت ابن العصار السلمى الرقى وخطه فى الصحة والإتقان حجة فى مزال المعضلات ومعاميها ، ومضال المشكلات ومواميها . محجة فى رجزرؤبة ولم يتعرض فى الشرح لمعناه ، وكذا فى سائر تسخ موجودة ببغداد من أراجيز رؤبة . ورأيت فى نسخة مقروءة على ابن دريد من أراجيزه برواية أبى حاتم وتاريخ الفراغ من

نسخها ذو الحجة سنة سبع وستين ومائتين . . . ولم يخطر ببالى الفحص عن هذا اللفظ إبان إلبابى ببلاد الهند وأوان ترددى إليها . فإن بها نسخاً متقنة لهذا الديوان ولسائر دواوين العرب » .

* * *

الحق أن الحديث عن الصغانى وكتبه يحتاج إلى كثير من الصفحات ، وكذلك استقصاء ما يرويه عرضاً من أماكن وتواريخ وطرائف ، رحمه الله رحمة واسعة جزاء ما قدم للعلم من خدمات .

عبد الستار أحمد فرج

الرسالة العرشية

للشيخ الرئيس ابن سـينا
(أبو علي الحسين بن عبدالله بن سينا)
المتوفى سنة ٤٣٨هـ سنة ١٠٣٧ م

تحقيق وتقديم
الدكتور إبراهيم هـلال

مقــدمة التحقيق

(أ)

التعريف بالرســالة

قد وصف ابن سينا هذه الرسالة بنفسه عندما قال فى بدئها بعد الحمد لله :

« أما بعد فقد سألنى بعض من ينتمى إلى أن أذكر له رسالة مشتملة على حقائق علم التوحيد على الوجه الذى يجب أن يعتقد فى الله وصفاته وأفعاله ، مجانباً جانب التقليد مائلا إلى محض التحقيق على سبيل الاختصار ، فأجبته إلى ملتمسه مستعيناً بالله ربنا » .

فهى رسالة تدور حول إثبات التوحيد لله سبحانه ، وقد استدعى ذلك منه أن يتكلم فيها عن ثلاثة موضوعات :

الأول : عن صفات الله سبحانه .

الثانى : عن صدور الأفعال عنه .

الثالث : عن قضاء الله وقدره . ومعرفة هذه الثلاثة هو حقيقة التوحيد وبيانها هو بيانه . وقد نهج فى معالجته لهذه الموضوعات نهج مفكر معتمد على نفسه ، وعلى ما يوصله إليه بحثه الخاص ، ونظره فى كتاب الله سبحانه الذى أنزل على محمد نبيه صلى الله عليه وسلم ، كما أشار إلى ذلك فيما تقدم : « . . مجانباً جانب التقليد ، مائلا إلى محض التحقيق » .

وقد جعلته هذه الأصالة الفكرية يقيم منهجه على أصول ثلاثة أشار إليها فى قوله : « وهذه الرسالة مشتملة على ثلاثة أصول :

الأصل الأول : فى إثبات واجب الوجود . الثانى : فى وحـــدانيته . الثالث فى نفى العلل عنه . أى عدم وجود علة أو سبب لوجوده ، كما أنه ليست هناك علة غائية لأعماله تجبره على إصدار هذه الأعمال .

وهى فى الواقع أصول عقلية فكرية من نتاج نظره فى القرآن الكريم وعقيدته الدينية كمفكر مسلم ، وإن كان قد غلبه التفكير الفلسفى الذى استقاه من مصادر أخرى غير إسلامية فى بعض المواضع كما سيأتى :

وبهذا يتبين لنا أن ابن سينا فى هذه الرسالة ، شأنه فى بقية كتبه ورسائله يمتح من معينين : معين الكتاب والسنة ، والمعين الآخر : معين التفلسف الأجنبى على مختلف ألوانه (١) . وكلاهما له نتائجه فى أفكاره ، وغايته التى تدل على بدايته .

وهو الذى جعل الإمام ابن تيمية (أحمد بن عبد الحليم) يقول فيه : « وصنف ابن سينا كتباً زاد فيها بمقتضى الأصول المشتركة : أشياء لم يذكرها المتقدمون ، وسمى ذلك العلم الإلهى ، وتكلم فى ذلك بكلام فيه شرف ورفعة ، بالنسبة إلى كلام المتقدمين ، وإن كان عند العلوم الإلهية النبوية فيه من القصور والتقصير ما لا يخفى على من له أدنى بصيرة بالعلم والإيمان ، وإنما راج على من سلك طريق المتفلسفة ، لأنه قرب إليهم معرفة الله والنبوات والمعجزات والولاية بحسب أصول الصابئة الفلاسفة ، لا بحسب الحق فى نفسه .

ولهذا فإن الفلاسفة الباقين على محض كلام المشائين يرون أن ابن سينا صانع المليين لما رأوا من تقريبه ، وجهلوا فيما قالوا ، وكذبوا ، لم يصانع . ولكن قال بموجب الحق ، وبموافقة أصولهم العقلية — ما قاله من الحق الذى أقرَّ به » (٢) .

---

(١) انظر : كتابى (نظرية المعرفة الإشراقية جـ ١ ص ٤١ — ٤٨) . نشر دار النهضة العربية بالقاهرة .

(٢) انظر : مجموعة فتاوى ابن تيمية جـ ٢ (كتاب توحيد الربوبية) ص ٨٤ طبعة الملك سعود سنة ١٣٨١ هـ .

فكما قال ابن سينا عن نفسه إنه يتكلم فى هذه الرسالة « مجانباً جانب التقليد ، مائلا إلى محض التحقيق . . » ، نجد ابن تيمية يرى فيه هـذه الصورة أيضاً ، ويقول عنه : إنه قال ما قال بموجب الحق الذى أقر به .

وهذا الجانب الإسلامى أو السنى عند ابن سينا قد برز قوياً مبهراً فى كلامه عن صفات الله وبيانها كالآتى بشكل مطرد وبصفة شاملة . فبعد أن تكلم عن الأصول الثلاثة المتقدمة وأثبتها بالطريقة العقلية السنية بدأ يتكلم فى الصفات فيقول : « اعلم أنه لما ثبت أنه واجب الوجود ، وأنه واحد من كل وجه ، وأنه منزه عن العلل ، وأنه لا سبب له بوجه من الوجوه ، وثبت أن صفاته غير زائدة على ذاته ، وأنه موصوف بصفات المدح والكمال لزم القول بكونه عالماً حياً مريداً قادراً متكلماً بصيراً سميعاً ، وغير ذلك من الصفات الحسنى » .

وهكذا يخوض هذا الموضوع بقوة ، ويأتى بكلام فيه شرف ورفعة كما قال ابن تيمية حتى ينتهى إلى إرساء التوحيد فى النفوس على هذا الوجه : « فإذا عرفت هذه الصفات ، وعلمت أنه واجب الوجود وأنه لا علة له داخلة ، ولا خارجة ، يسهل عليك معرفة بقية الأشياء والصفات التى أطلقت عليه تعالى ، فإنه إذا قيل حق فمعناه راجع إلى وجوب وجوده .

وإذا قيل إنه جواد فمعناه أنه يفيد الوجود من غير عوض ولا غرض للمدح والتخلص من مذمة ، ولا لقصد ينتفع به من الغير .

وإذا قيل ملك فهو المستغنى الذى يستغنى عن كل شىء ، ولا يستغنى عنه شىء .

وإذا قيل أول فهو باعتبار ذاته هو الذى لا تركيب فيه وأنه المنزه عن العلل . . .

فإذا ثبت أنه واجب الوجود ، وأنه لا علة له وأنه تام الوجود ولايفوت

منه كمال . فإذا عرفت هذا فيعلم أن جميع ما سواه هو فعله ، وأنه صدر عنه لذاته . . » .

فإذا جئنا إلى قوله فى قضاء الله وقدره وجدناه من هذا الطراز وبهذا القول الفصل . فنراه يوضح لنا فكرة الخير والشر ويبين حقيقة الشر ، وما هو الخير ، وأنه قد يكون من كمال الخير وجود الشر ، وعلى هذا فليس الشر شراً إلا من وجهة نظرنا أو لسوء استعمالنا . ومما قاله فى هذا الموضوع : « وأما الشر المطلق والغالب والمساوى فلم يوجد ، لأن احتمال الشر الكثير لأجل أن يحصل خير يسير شر كثير . . . وأما الشر المطلق فممتنع الوجود أصلا ، فلا تقتضى الحكمة إيجاده . وأما الخير الغالب فيجب فى الحكمة إيجاده ، ولا يليق بالجود إهماله لأنه نتيجة العلم السابق بنظام الكل على الوجه التام ، فهو لازم للوجود ، ولأن احتمال الشر اليسير لأجل أن يحصل خير كثير ، خير كثير » .

وابن سينا فى أثناء هذا ، وفى غضون ذاك يستعين بالآيات القرآنية موضحاً بها ، أو شارحاً ، أومستدلا ، فجاء بيانه فى هذه الرسالة قائماً على الحجج العقلية النابعة من الوجهة القرآنية السامية حتى إننا وجدناه يأخذ من المعتزلة جانباً ويوجه إليهم لوماً فى مسألة (وجوب الصلاح والأصلح على الله) فيقول : « . . . وأنه لا يجب عليه رعاية الأصلح والصلاح كما هذى به جماعة من الصفاتية ، إذ لو كان ما يفعله من الصلاح واجباً عليه لما استوجب بذلك الفعل شكراً ولا حمداً ، لأنه يكون قاضياً لما وجب عليه ، ويكون فى الشاهد كمن قضى دينه ، ، فإنه لا يستوجب به شيئاً بل أفعاله منه وله » .

هذا هو امتداد الخط القرآنى عنده ، ونتيجة الاتجاه السنى ، أما نتيجة الاتجاه الفلسفى فقد ظهر فى استخدامه لنظرية المعرفة الإشراقية ، أو نظرية العقول ، فى تفسير الوحى والنبوة . كما ظهر فى استخدامه أيضاً لنظرية الفيض فى تفسير وجود الكون عن الله أو خلق الله للكون .

أما بالنسبة للأمر الأول فنراه يصف كلام الله سبحانه وتعالى أو وحيه إلى أنبيائه بأنه « فيضان العلوم منه على لوح قلب النبي صلى الله عليه وسلم بواسطة القلم النقاش الذى يعبر عنه بالعقل الفعال ، والملك المقرب (١) الخ » وكلمة العقل الفعال هذه كلمة لا تعهد إلا فى مجال الفلسفة ، وليس لهـا وجود فى العلم الإسلامى علم الكتاب والسنة ، لا لفظاً ، ولا معنى ، وإنما المعروف أن جبريل هو الملك الموكل بالوحى ، والذى ينزل به على الرسول ﷺ ويتنزل معه لمستوى بشريته فيلقيه إليه بلسان عربى مبين ، كما قال تعالى : (وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين » (٢) .

وأما بالنسبة للأمر الثانى ، وهو أخذه بنظرية الفيض فى تفسير الوجود والكون فقد أودع ذلك فى الفصل الخاص بصدور الأفعال عنه سبحانه ، ومن قوله فى ذلك : « . . . فإذا الصادر الأول منه غير جسم ، فهو إذاً جوهر ، وهذا هو العقل الأول . . فالأول عقل ثم نفس ، ثم جرم السماء ، ثم مواد العناصر الأربعة . . . » . وتفصيل ذلك فى موضعه من الرسالة .

وهذا تفسير خاطىء قد جره إليه غلوه فى تنزيه الله سبحانه ، وهو أنه بما أنه واحد وغير مركب ، فلايصدر عنه جسم ولامركب ، وكذلك تصوره للخلق بأنه ولادة على طريقة الغنوصيين . ونسى أن الخلق عند الله إنما هو أمر كما قال : (. . . ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لهـا وللأرض ، ائتيا طوعاً ، أو كرهاً ، قالتا : أتينا طائعين . فقضاهن سبع سموات فى يومين ، وأوحى فى كل سماء أمرها الآية) .

وكما قال : (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) . وقد رد ابن تيمية عليه فى أكثر من كتاب ، وفند رأيه هذا (٣) .

---

(١) انظر الصفة السابعة .

(٢) سورة الشعراء : ١٩٢ — ١٩٥ .

(٣) انظر : بغية المرتاد لابن تيمية . ونقض المنطق، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، والنبوات وغيرها ، لابن تيمية . ونظرية المعرفة الإشراقية لكاتب هذه السطور .

وإذا غضضنا النظر عن هذه الهنات ، فإننا نجد الرسالة بعد ذلك فى موضوعها وطريقة المعالجة جاءت مساهمة كبيرة فى إثبات حقائق التوحيد بالطريقة العقلية الإيمانية المقنعة ، والتى اشتملت على القوة ، وعلى حرارة الإيمان والحماس الإسلامى .

وقد رأينا صداها هذا بعد ذلك عند ابن رشد ، ومحيي الدين بن عربى فى جانبه السنى القرآنى وخاصة فى فكرة الخير والشر .

والله الموفق .

د. إبراهيم إبراهيم هلال
الجمعة ٢٠ من رمضان سنة ١٤٠٠ هـ
١ من أغسطس سنة ١٩٨٠ م

النسخ التى أخرجت عليهـــا

هـذه الرسالة

والنسخ التى أخرجت عليها هذه الرسالة نسختان :

(أ) الأولى مصورة على ميكروفيلم فى معهد إحياء المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية بالقاهرة — عن مكتبة مجلس شورى طهران ، وقد التقطت على الفيلم ضمن مجموعة رسائل أخرى أو كتب . ولكنها فصلت عن هذه المجموعة ، وأخذت صفحات من ١٦ — ٣٠ فعدد أوراقها خمس عشرة ورقة ، وصورت فى مقاس ١٨—٢٤ سم . وهى مكتوبة بخط نسخ حسن فى القرن العاشر الهجرى وهى على الفيلم بعنوان :

رسالة مشتملة على حقائق علم التوحيـد

وكاتبها سماها فى النهاية (الرسالة العرشية) حيث قال فى نهايتها : (تمت الرسالة العرشية والحمد لله على آلائه الخ . .) . ولم يذكر اسمه .

ورغم جودة الخط والعناية به ، إلا أن فيها تصحيفا كثيرا لبعض الكلمات . وسقط للبعض الآخر .

ورقم هذه الصورة فى فهرس مخطوطات المعهد (١٤٠) فلسفة .. ورقم الفيلم : ٣٠٠٠٦ .

ورقم المخطوطة التى أخذت عنها فى مكتبة مجلس شورى طهران : ٥/٧٨٥١ (الرسالة الخامسة) ضمن مجموعة .

وقد بدئت بقول ابن سينا : (الحمد لله والحمد من نعمه ، وأعول فى جميع أحوالى على كرمه . أما بعد . . فقد سألنى بعض من ينتمى إلى أن أذكر له رسالة مشتملة على حقائق علم التوحيد الخ) .

وقد رمزت لهذه النسخة فى التحقيق برمز (أ) .

[وصف خط هذه النسخة إملائيا]

تسير فى مجملها على الإملاء الحديث العام غير أنها لا تزال تحتفظ من اصطلاحات الإملاء القديم بما يلى :

١ — يضع الناسخ نقطة تحت الحروف المهملة أو فوقها مثل متحدة : متجدة . عالم : غالم .

٢ — يختصر حروف بعض الكلمات ويشير إلى هذا الاختصار بوضع مدة فوق الحرف الأخير مثل : محال : محـ̃ . يخلو : يخـ̃ . يقال يقـ̃ . .

٣ — فى حالات كثيرة يضع ياء المضارعة مكان التاء : يقبل : تقبل .

٤ — الأسلوب تعتريه الركاكة فى بعض الحالات مثل (لبرائها) . مكان لبراءتها .

٥ — يهمل كثيراً من الحروف المنقوطة ، فلا ينقطها مثل : العوارض العوارص .

٦ — يبدل الحاء بالعين فى بعض الكلمات : مثل : العوارض : الحوارض .

٧ — يصل الكلمات التى من شأنها أن تفصل مثل (كل ما) : كلما.

٨ — يكتب التاء المفتوحة مربوطة مثل العبارات : العباراة . وجدتُ وجدةُ .

٩ — يسهل الهمزة فى بعض الأحيان .

وقد التزمت فى التحقيق بالإملاء الحديث .

(ب) النسخة الثانيـة

والنسخة الثانية (ب) : مطبوعة فى حيدر آباد الدكن بالهند بدائرة المعارف فى ٢٤ من ربيع الثانى سنة ١٣٥٣ هـ . ضمن مجموعة رسائل أخرى لابن سينا . وهذه النسخة بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم ٢٩٤٥٠ وهى مطبوعة بعنوان الرسالة العرشية .

وقد بدئت بنفس البدء الذى بدئت به النسخة (أ) .

وقد جاء فى آخر هذه النسخة : «وقد نقلنا هذه الرسالة عن النسخة القديمة المحفوظة فى مكتبة رامبور من الهند تحت رقم (٨٢) فى الحكمة — وقابلناها على نسخة المكتبة الآصفية بحيدر آباد الدكن . . وقد اعتنى بمقابلتها وتصحيحها . . . مولانا السيد عبدالله بن أحمد العلوى » .

السيد زين العابدين الموسوى

رفيق دائرة المعارف

وفى هذه النسخة أيضاً سقط استعنا عليه بما ثبت فى النسخة : (أ) ، وبالاجتهاد فى إقامة السياق وتعديله .

وعلى هذا فهذه النسخة المطبوعة بحيدر أباد (ب) مراجعة على نسختين أخريين ..

وقد نسقت فيها العناوين وبوبت فى الوقت الذى لم تبوب فيـه النسخة(أ)

منهـج التحقيق

١ — اعتبرت النسختين : (أ) و (ب) أصلين لهذا التحقيق ، إذ أنهما متساويتان بما تحملان من سقط وإن كانت أماكنه تختلف بين النسختين ، لذلك جعلت كلتاهما تـكمل الأخرى .

٢ — عند الاختلاف بين النسختين أشير إلى ذلك فى الهامش . وكذلك عند وجود سقط فى إحدى النسختين أو اضطراب فى الأسلوب .

٣ — قد تسقط من النسختين معاً كلمة أو حرف ، فأراه لازماً لاستقامة الأسلوب فأضعه بين معقوفتين [ ] هكذا وأنبه عليه ، وإن كان ذلك قليلا جداً .

٤ — علقت بعض التعليقات فى الهامش ، لإيضاح غموض فى بعض المصطلحات أو الكلمات ، أو لإبداء الرأى الذى أراه صحيحاً فى قبالة رأى المؤلف ، أو لإيضاح بعض آرائه الصحيحة والتى يقدمها فى اختصار كما هو منهجه فى هذه الرسالة — حيث أرى أن هذا الرأى يحتاج إلى إيضاح ؛ إلى جانب المقدمة التى بدأت بها التحقيق وعرفت فيها بالرسالة .

٥ — بوبت الرسالة بعناوين المؤلف على طريقة النسخة المطبوعة .

٦ — وبمقارنة النسختين بعضهما ببعض تبين لى أن النساخ كانوا يتصرفون فى التعبير فى بعض الكلمات التى لا تضر كثيراً أولا تؤثر فى المعنى مثل عليه السلام فى (أ) وصلى الله عليه وآله وسلم (ب) ، والعكس بالعكس فأبقيت مثل هذا على ماهو عليه فى (أ) ، وكذلك الكلمات الأخرى ما دام المعنى يستقيم .

كذلك قد تصرف النساخ فى ختام النسختين بما راق لهم كما أشرت إلى ذلك فى نهاية الرسالة ، وقد أبقيت على ما جاء فى (أ) بهذا الصدد . والله أسأل أن يثيبنى على هذا العمل وأن ينفع به فى مجال الدراسات الإسلامية والدعوة إلى الله .

د. إبراهيم إبراهيم هـلال

الرسالة العرشية

لابن سينا

بسم الله الرحمن الرحيم

مقــدمة

الحمد لله والحمد من نعمه ، وأعول فى جميع أحوالى على كرمه .

أما بعـد .

فقـد سألنى بعض من ينتمى إلى أن أذكر له رسالة مشتملة على حقائق علم التوحيد على الوجه الذى يجب أن يعتقد فى الله وصفاته وأفعاله *

(١٧ أ) مجانباً جانب التقليد ، مائلا إلى محض التحقيق على سبيل الاختصار فأجبته إلى ملتمسه مستعيناً بالله تعالى ربنا .

وهذه الرسالة الوجيزة (١) مشتملة على ثلاثة أصول :

الأصل الأول : فى إثبات الواجب الوجود .

الأصل الثانى : فى وحدانيتـــه .

الأصل الثالث : فى نفى العلـل عنـه .

(الأصل الأول فى إثبات واجب الوجود)

اعلم أن الموجود إما أن يكون له سبب فى وجوده أولا سبب له فإن كان له سبب فنسميه (٢) ممكن الوجود سواء كان قبل الوجود إذا فرضناه

---

* هذا الجزء فى غلاف الرسالة .

(١) لا توجد فى :(ب) .

(٢) فى (ب) : (فهو الممكن سواء قبل الوجود . . . الخ) .

فى الذهن أو فى حالة الوجود لأن ما يمكن وجوده فدخوله فى الوجود لا يزيل عنه إمكان الوجود .

وإن لم يكن له سبب * فى وجوده بوجه من الوجوه فنسميه (١) واجب الوجود . فإذا تحققت هذه القاعدة فالدليل على أن فى (٢) الوجود موجوداً لا سبب له فى وجوده (٣) ما قوله(٤) .

فهذا الوجود إما ممكن الوجود ، وإما واجب الوجود ، فإن كان واجب الوجود فقد ثبت ما طلبناه ، وإن كان ممكن الوجود ، فممكن الوجود لا يدخل فى الوجود إلا بسبب يرجح وجوده على عدمه ، فإن كان سببه أيضاً ممكن الوجود ، فهكذا تتعلق الممكنات بعضها ببعض فلا يكون موجوداً ألبتة لأن هذا الوجود الذى فرضناه لا يدخل فى (١٧ ب) الوجود ما لم يسبقه وجود ما لا يتناهى وهو محال ، فإذا الممكنات ينتهى بواجب الوجود .

(الأصل الثانى فى وحدانيته جل وعلا)

اعلم أن واجب الوجود(٥) لا يجوز أن يكون اثنين بوجه من الوجوه .
وبرهانه أنه لو فرضنا واجب وجود (٦) آخر فلا بد أن يتميز أحدهما عن الآخر حتى يقال هذا (٧) وذاك .

والتميز (٨) إما أن يكون بذاتى أو عرضى ، فإن كان التميز بينهما

---

(١) فى (ب) : (فهو) .
* هذا يقابل فى تعبير اليونانيين (علة) فيسمون الله علة العلل ، أى السبب فى كل شىء حيث إنه لا سبب له ، أى هو الموجد لكل شىء فلا يحتاج لمن يوجده .
(٢) سقطت فى (أ)
(٣) (أ) فى (وجود) فقط .
(٤) فى (أ) سقطت : (أقوله) .
(٥) فى ب : (واجب الوجود تعالى) .
(٦) فى (ب) : (الوجود) .
(٧) فى (ب) : (أو ذاك) .
(٨) سقطت من (ب) .

بعرضى ، فهذا العرضى ، لا يخلو إما أن يكون فى كل واحد منهما أو فى أحدهما ، فإن كان فى كل واحد منهما عرضى يتميز به عن الآخر فكل واحد منهما (١) معلول. لأن العرضى (٢) ما يلحق الشىء بعد تحقق ذاته . وإن كان العرضى (٣) من قبل ما يلزم الوجود ، ويكون فى أحدهما دون الآخر فيكون الذى لا عرضى له واجب الوجود ، والآخر لا يكون واجب الوجود ، وإن كان التميز بينهما بذاتى ، فالذاتى ما يتقوم به الذات .

وإن كان لكل واحد منهما ذاتى غير ما للآخر يتميز به عنه ، فيكون كل واحد منهما مركباً ، والمركب معلول ، فلا يكون كل واحد منهما واجب الوجود .

وإن كان هذا الذاتى لأحدهما ، والآخر واحد من كل وجه لا تركيب فيه بوجه من الوجوه ، فالذى ليس له ذاتى هو واجب الوجود والآخر لا يكون واجب الوجود .

(١٨ أ) فإذا ثبت بهذا أن واجب الوجود (ليس له ذاتى) (٤) ، فإن (٥) واجب الوجود لا يجوز أن يكون اثنين ، بل كل حق فإنه من حيث حقيقته الذاتية التى هو بها حق فهو متفق واحد لا يشاركه فيه غيره ، فكيف ما ينال به كل حق وجود به .

(الأصل الثالث فى نفى العلل عنه)

وهو نتيجة الأصل الأول .

---

(١) سقط هذا الجزء من (أ) .

(٢) فى أ (العرض) .

(٣) فى أ (العرض) .

(٤) سقطت من : (ب) .

(٥) فى أ (إن) .

اعلم (١) أن واجب الوجود لا علة له ألبتة . والعلل أربع :

ما منه وجود الشىء ، وهو العلة الفاعلية . وما لأجله وجود الشىء وهو العلة الغائية التمامية . وما فيه وجود الشىء ، وهى العلة المادية . وما به وجود الشىء وهو العلة الصورية .

ووجه حصر هذه العلل فى هذه الأربع أن السبب للشىء إما أن يكون داخلا فى قوامه ، وجزءاً من وجوده ، أو يكون خارجاً عنه .

فإن كان داخلا : فإما أن يكون الجزء الذى يكون فيه الشىء بالقوة لا بالفعل وهو المادة . وإما أن يكون الجزء الذى يصير فيه الشىء بالفعل وهو الصورة .

وإن كان خارجاً فلا يخلو إما أن يكون ما منه وجود الشىء ، وهو الفاعل ، وإما أن يكون ما لأجله وجود الشىء وهو المقصود والغاية .

٨(١ ب) فإذا ثبت أن هذه هى الأصول فليعطف عليها ولنبين (٢) المسائل التى هى متشعبة عنها فنقول :

برهان أنه لا علة فاعلية ظاهر ، وهو أنه لو كان له سبب فى الوجود لكان هذا حادثاً ، وذاك واجب الوجود .

وإذا ثبت أنه لا علة له فاعلية ، فبهذا الاعتبار لا تكون ماهيته غير إنيته أى غير وجوده ، ولا يكون جوهراً ، ولا يكون عرضاً ، ولا يجوز أن يكون اثنان كل واحد منهما مستفاد الوجود (٣) من الآخر ، واجب الوجود من وجه وممكن (٤) الوجود من وجه آخر .

---

(١) سقطت من : (أ) .
(٢) فى (أ) : (ونبين) .
(٣) فى (أ) : (الوجوه) وهو تصحيف .
(٤) فى (أ) : (يمكن) .

(بيان) أنه(١)لاتكون ماهيته غير إنيته، بل يتحد (٢)، (وجوده) (٣) فى حقيقته ، لأنه إذا لم يكن وجوده نفس حقيقته ، فيكون الوجود عارضاً لحقيقته (٤) ، وكل عارض فمعلول وكل معلول محتاج إلى السبب .

فهذا السبب إما أن يكون خارجاً عن ماهية ، أو يكون(٥) هو ماهية . فإن كان خارجاً فلا يكون واجب الوجود ، ولا يكون منزهاً عن العلة الفاعلية .

وإن كان السبب هو الماهية ، فالسبب لابد وأن يكون موجوداً تام (٦) الوجود حتى يحصل وجود غيره منه . والماهية قبل الوجود ، لا وجود لها ولو كان لها وجود قبل هذا لكان مستغنياً عن وجود ثان . ثم كان السؤال .

(١٩ — أ) عائداً فى ذلك الوجود ، فإنه إن كان عرضياً فيها ، فمن أين عرض ولزم ؟ فثبت أن واجب الوجود إنيته ماهيته ، وأنه لا علة له فاعلية . وكان وجوب الوجود (له كالماهية لغيره ، ومنه يظهر أن واجب الوجود) (٧) لا يشبه غيره بوجه من الوجوه * ، لأن كل ما سواه ، فوجوده غير ماهيته .

وبيان أنه ليس بعرض ، لأن العرض هو الموجود فى موضوع

---

(١) (بأن) : وهو تصحيف .

(٢) فى (أ) : (يحد) .

(٣) فى (أ) : (وحذوه) وهو تصحيف .

(٤) فى (ب) اضطراب فى العبارة هكذا (فيكون وجوده نفس حقيقته وقد صححها مراجع هذه النسخة فى الهامش ص ٤ بما يقرب من هذا المعنى .

(٥) فى (أ) (أو ما هو) .

(٦) فى أ (أيام) وهو تصحيف .

(٧) سقط هذا الجزء من (أ) فأفسد المعنى .

* وهذا قوله تعالى : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) .

فيكون (١) الموضوع متقدما عليه ، ولا يمكن وجوده دون الموضوع ، وقد ذكرنا أن واجب الوجود لا سبب له في وجوده .

وبيان أنه لا يجوز أن يكون واجباً وجود كل واحد منهما مستفاد الوجود من الآخر ، لأن كل واحد منهما من الوجه الذي يكون مستفيد الوجود من الآخر يكون متأخراً عنه . ومن الوجه الذي يكون (٢) هو مفيد الوجود يكون متقدماً عليه .

والشيء الواحد لا يكون متقدماً متأخراً بالنسبة إلى وجوده . وأيضاً لو فرضنا عدم ذلك الآخر فهل هذا يكون واجب الوجود أم لا ؟ .

فإن كان واجب الوجود فلا تعلق له بالآخر ، وإن لم يكن واجب الوجود فهو ممكن الوجود فيحتاج إلى غير واجب الوجود .

فإذاً واجب الوجود واحد غير مستفيد الوجود من أحد ، فهو واجب الوجود من كل الوجوه وغير مستفيد الوجود من الآخر . وبيان أنه لا يجوز أن يكون واجب الوجود (٣) من وجه ممكن الوجود من وجه ،

(١٩ ب) أنه (٤) من الوجه الذي هو ممكن الوجود يكون متعلق الوجود بالغير ، ويكون له سبب .

ومن الوجه الذي هو واجب الوجود يكون منقطع العلائق ، فيكون الوجود له ، ولا يكون له ، (٥) وهو محال .

---

(١) في (أ) : ليكون .
(٢) في (ب) سقطت (هو) .
(٣) سقط هذا الجزء كله من (أ).
(٤) في (أ) (لأنه) .
(٥) في (ب) (وهذا) .

وبرهان أنه لا علة له مادية قابلية لأن العلة القابلية هى العلة لحصول المحل المقبول له أى هو المستعد لقبول وجود أو كمال وجود ، فواجب الوجود كمال بالفعل المحض لا يشوبه نقص ، وكل كمال له ومنه ومسبوق لذاته وكل نقص ، ولو بالمجاز منتف عنه ، ثم كل كمال وجمال من وجوده بل من آثار كمال وجوده . فكيف يستفيد كمالا من غيره . وإذا ثبت أنه لا علة له قابلية ، فلا يكون له شىء بالقوة ، ولا يكون له صفة منتظرة ، بل كماله حاصل (١) بالفعل ، ولا يكون له علة مادية .

وقولنا : بالفعل : لفظ مشترك ، أى كل كمال يكون لغيره معدوم ومنتظر ، وهو له وجود حاضر . فذاته الكاملة المتقدمة على جميع الاعتبارات واحدة

وبهذا يظهر أن صفاته لا تكون زائدة على ذاته ، لأنها لو كانت زائدة على ذاته لكانت الصفات بالنسبة إلى الذات تكون بالقوة ، وتكون الذات (٢٠ أ) مسببة لتلك الصفات فإن تلك الذات (٢) تكون متقدمة عليها ، فتكون من وجه فاعلة ، ومن وجه قابلة .

وجهة (٣) كونها فاعلة غير جهة كونها قابلة فيكون فيه جهتان متباينتان ، وهذا مطرد فى كل شىء ، فإن الجسم إذا كان متحركاً ، فيكون التحريك من وجه والتحرك من وجه آخر .

« فإن قيل إن صفته غير زائدة على الذات بل هى داخلة فى تقويم الذات ، والذات لا يتصور وجودها دون تلك الصفات ، فتكون الذات مركبة فتتجزأ به الوحدة » .(٤) .

---

(١) فى (أ) (حاضر) .
(٢) فى (ب) (الصفات) ، وهو خطأ .
(٣) سقطت من (ب) .
(٤) هذا الجزء غير مفيد المعنى ومضطرب العبارة ، وأرى أنه لا داعى له .

ويظهر أيضاً من نفى العلة القابلة أنه يستحيل عليه التغيير لأن التغيير معناه زوال صفة وثبوت أخرى (١) . فيكون فيه بالقوة زوال وثبات . وهذ محال فتبين منه أنه لا ضد له ، كما لا ند له ، لأن الضدين هما الذاتان المتعاقبتان على محل واحد بينهما غاية الخلاف ، وهو عز وجل(٢) غير قابل للأعراض فضلا عن الأضداد .

وإن جعل الضد عبارة عن المنازع فى الملك فتبين أيضاً أنه لا ضد له وتبين أنه يستحيل عليه العدم ، لأنه لما ثبت وجوب وجوده استحال عدمه ، لأن كل ما يكون بالقوة لا يكون بالفعل ، فيكون فيه جهتان ، وكلما يكون قابلا لشىء (٢٠ ب) فإذا حصل القبول لا يرتفع القابل فيؤدى إلى ارتفاع الوجود والعدم وهو محال وهذا مطرد فى كل ذات ، وفى كل حقيقة متحدة كالملائكة والأرواح البشرية فإنها لا تقبل العدم أصلا لبراءتها عن لواحق الأجسام . وأما برهان أنه لا علة له صورية أن العلة الصورية الجسمية إنما تكون وتتحقق إذا كانت له (٣) مادة فيكون للمادة شركة فى وجود الصورة ، كما أن للصورة حظاً فى تقويم المادة فى الوجود وبالفعل ، فيكون معلولا ، ويظهر من انتفاء هذه العلة عند انتفاء جميع العوارض الجسمانية من المكان والزمان ، والجهة والاختصاص بمكان ، وعلى الجملة فكل ما يجوز على الأجسام يستحيل عليه .

وأما بيان لا علة له غائية وكمالية . لأن العلة الغائية ما يكون لأجلها الشىء . والحق الأول جل وعلا لا يكون لأجل شىء ، بل كل شىء لأجل كمال ذاته وتابع لوجوده ، ومستفاد (٤) من وجوده * .

---

(١) فى (أ) زيادة (فيكون أخرى) .
(٢) فى (ب) : (وهو تعالى) .
(٣) سقطت فى (أ) .
(٤) (أ) مستفادة .
* وهذا هو قوله تعالى : (له مقاليد السموات والأرض) . (ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها) . (إليه يرجع الأمر كله) .

ثم العلة الغائية ، وإن كانت فى الوجود متأخرة عن سائر العلل فهى فى الذهن متقدمة على سائر العلل . والعلة الغائية تصير العلة الفاعلية بالفعل أعنى فيما يكون له علة غائية ، وإذا ثبت أنه منزه عن هذه العلة . (٢١ أ) أيضاً فتبين أنه لا علة لصفته ، وبه يظهر أنه جواد محض وأنه كمال حق وبه يظهر معنى غنائه ، وأنه لا يستحسن شيئاً ولا يستقبح شيئاً ، لأنه لو استحسن شيئاً ، أو استقبح شيئاً ، لوجد ذلك المستحسن ودام ولا نعدم، ذلك المستقبح وبطل .

وباختلاف هذه الموجودات تبطل هذه القضية ، لأن الشىء الواحد من كل وجه لا يستحسن الشىء وضده ، وأنه لا يجب عليه رعاية الصلاح والأصلح كما هذى به جماعة * من الصفاتية إذ لو كان ما يفعله من الصلاح واجباً عليه لما استوجب بذلك الفعل شكراً ولا حمداً لأنه يكون قاضياً لما وجب عليه ، ويكون فى الشاهد ** كمن قضى دينه ، فإنه لا يستوجب بذلك شيئاً . بل أفعاله منه وله كما سنبين بعد .

القول فى الصفات على الوجه الذى تلقيناه من هذه الأصول الممهدة

اعلم أنه لما ثبت أنه واجب الوجود وأنه واحد من كل وجه ، وأنه منزه عن العلل ، وأنه لا سبب له بوجه من الوجوه ، وثبت أن صفاته غير زائدة على ذاته ، وأنه موصوف بصفات المدح والكمال لزم القول بكونه عالماً قادراً حياً مريداً

---

* وهم المعتزلة الذين قالوا بوجوب الصلاح والأصلح على الله : . فهذا أحد أصولهم الخمسة . ويسميهم ابن سينا صفاتية من تسمية الأضداد ، لأنهم ينفون الصفات عن الله مبالغة فى التنزيه ، فبهذه المبالغة أو الغلو وقعوا فى التعطيل فسماهم خصومهم أيضاً معطلة .

** الشاهد : الناس المشاهدون مقابلة مع الاسم (الغائب) الذى يوصف به الله فى هذا المقام لأنه يغيب عن أبصار الخلق فى الدنيا .

(٢١ ب) متكلماً سميعاً بصيراً وغير ذلك من الصفات الحسنى ، ووجب أن يعلم أن صفاته ترجع إلى سلب أو إضافة (أو)(١) مركب منهما .

وإذا كانت الصفات على هذه الصفة ، فهى ، وإن تكثرت لا تخرم الوحدة (و) (١) لا تناقض وجوب الوجود .

أما السلب ، فكالقدم ، فإنه يرجع إلى سلب العدم عنه أولا وإلى نفى السببية ونفى الأول عنه ثانياً (٢) . وكالواحد فإنه عبارة عما لا ينقسم بوجه من الوجوه لا قولا ولا فعلا ، وإذا قيل واجب الوجود فمعناه أنه (٣) موجود ولا علة له ، وهو علة لغيره ، فهو جمع بين سلب وإضافة .

وأما الإضافة فلكونه خالقاً بارئاً مصوراً ، وجميع صفات الأفعال .

وأما المركب منهما فكالمريد ، والقادر ، فإنهما مركبان من العلم والإضافة إلى الخلق .

وإذا عرفت هذا ، فنحن نذكر بعض صفاته لنهتدى بمعرفتها إلى ما لم نذكره :

الصفة الأولى : وفيه بيان أنه عالم بذاته وأن علمه ومعلومه وعالميته شيء واحد ، وأنه عالم بغيره ، وأنه عالم بجميع المعلومات بذاته وأنه يعلم الجميع بعلم واحد، وأنه يعلمه على وجه لا يتغير علمه بوجود المعلوم[أو] (٤) عدمه .

وبيان أنه عالم بذاته ما ذكرناه أنه واحد ، وأنه منزه عن العلل ، فإن معنى العلم (٢٢ أ) هو حصول حقيقة مجردة عن الغواشى الجسمانية. وإذا ثبت

---

(١) سقطت من (أ) .
(٢) سقطت من (أ) .
(٣) فى (أ) (فيه) وهو تصحيف .
(٤) غير موجودة فى (أ) ، ولا فى (ب) ولكن السياق يقتضيها .

أنه واحد مجرد عن الجسم وصفاته فهذه الحقيقة على (هذا) الوجه حاصلة له وكل من يحصل له حقيقة مجردة فهو عالم ، ولا يقتضى أن يكون هذا ذاته أو غيره ، لأنه لا تغيب (١) عنه ذاته فهو عالم بذاته .

وبيان أنه علم وعالم ومعلوم ، أن العلم عبارة عن الحقيقة المجردة ، فإذا كانت هذه الحقيقة مجردة فهو علم ، وإذا كانت هذه الحقيقة المجردة له وحاضرة لديه وغير مستورة عنه فهو عالم .

وإذا كانت هذه الحقيقة المجردة لا تحصل إلا به فهو معلوم بعبارات مختلفة .

وإلا فالعلم والعالم والمعلوم بالنسبة إلى ذاته واحد . ونفسك قابل ، فإنك إذا علمت نفسك فمعلومك غيرك أو أنت .

فإن كان معلومك غيرك فما علمت نفسك ، وإن كان معلومك نفسك ، فيكون العالم والمعلوم هو النفس . وإذا كانت صورة نفسك مرتسمة فى نفسك كانت النفس هى العلم ، فإنك إذا رجعت [إلى] (١) نفسك بالتأمل فلا تجد من نفسك ارتسام حقيقتها وماهيتها فيها مرة أخرى حتى يحصل لك الشعور بتعددها .

فإذا ثبت أنه يعقل ذاته وعقله ذاته لا يزيد على ذاته كان علماً وعالماً (٢) ومعلوماً . (٢٢ ب) من غير تكثر يلحقه بهذه الصفات ، ولا فرق بين عاقل (٣) وعالم ، لأنهما عبارة عن سلب المادة مطلقاً .

وبيان أنه عالم بغيره أن كل من يعلم نفسه فبعد ذلك إن لم يعلم غيره

---

(١) فى (أ) (لا يعذب عن ذاته) وهو تصحيف .

(٢) لا توجد فى النسختين ، ولكنها لازمة لاستقامة الأسلوب .

(٣) فى (ب) تقديم وتأخير بين هاتين الكلمتين .

فيكون لمانع . والمانع إن كان قائماً فيجب أن لا يعلم نفسه أيضاً ، وإن كان المانع خارجاً فالخارج ممكن رفعه .

فإذا يجوز أن يكون عالماً بغيره بل يجب كما ستعلم من هذا الباب (١) . وبيان أنه عالم بجميع المعلومات أنه قد ثبت أنه واجب الوجود ، وأنه واحد ، وأن الكل منه يوجد ، وعن وجوده حصل ، وأنه عالم بذاته .

وإذا كان عالماً بذاته فعلمه على الوجه الذى هو عليه (٢) وهو أنه مبدأ لجميع الحقائق والموجودات ، فإذا لا يعزب عن علمه شيء فى الأرض ولا فى السماء ، بل جميع ما يحصل فى الوجود فإنما يحصل بسببه ، وهو مسبب الأسباب فيعلم ما هو مسببه وموجده ومبدعه .

بيان أنه يعلم الأشياء بعلم واحد وأنه يعلمها على الوجه (٣) الذى لا يتغير بتغير المعلوم :

أنه قد تبت أن علمه لا يكون زائداً على ذاته ، وهو يعلم ذاته ، وهو مبدأ لجميع الموجودات ، وهومنزه عن العرض والتغييرات . فإذاً يعلم الأشياء على الوجه . (٢٣ أ) الذى لا يتغير ، فإن المعلومات تبع لعلمه — لا علمه تبع للمعلومات حتى * يتغير بتغيرها لأن علمه الأشياء سبب لوجودها .

ومن هاهنا يظهر أن العلم نفسه قدرة ، وهو يعلم الممكنات كما يعلم الموجودات ، فإن كنا نحن لا نعلمها لأن الممكن بالنسبة إلينا يجوز وجوده

---

(١) فى (أ) (بيـان) .

(٢) فى (أ) : (هو) ، (وأنه) وهو تصحيف .

(٣) فى (أ) : الوجوه التى .

* هنا رد على ابن عربى ، حيث يجعل علمه سبحانه خاضعا أو تبعا لوجود الموجودات على ما هى عليه . وهذا هو القضاء عند ابن عربى فعنده أن الله لا يعلم الأشياء ولا يعلم أوصافها إلا بعد كونها على ما هى عليه ، فهى التى تخلق العلم عند الله فى رأى ابن عربى ، لا أن علم الله هو الذى يخلقها ، ويخلق أحوالها ويسبقها أيضاً . انظر فصوص الحكم : (الفص العزيرى) .

الصفة الثانية : (كونه حياً) :

قد ثبت أنه واحد وأنه لا علة لذاته ، وإذا عرفت أن حياته ليست صفة عارضة لذاته بل معنى الحى (١) هو العالم بنفسه على ماهو عليه . وإذ قد ذكرنا أنه واحد لا تعزب ذاته عن ذاته ، فإذاً هو حى لأنه العالم بذاته لذاته ، وكل ما سواه ، وإن كان عالماً به فعلمه به بواسطة علمه بذاته جل وعلا .

رأيضاً ، فالحى يعبر به عن المدرك والفاعل ، فمن له علم وإدراك وفعل فهو حى ، ومن يكون له جميع المعلومات ، وجميع المدركات ، وجميع الأفعال فهو أولى بأن يكون حياً .

الصفة الثالثة : (كونه مريداً) :

فقد ظهر أنه واجب الوجود ، وأنه واحد ، وأنه إليه (٢) تنتهى الموجودات فى سلسلة الترقى والتنزل . فمنه وجد الكل وإليه رجوع (٣) الكل ، وبه قوام الكل .

(٢٣ ب) فإذا كل ما سواه فهو فعله وهو فاعله وموجده . والفاعل لا يخلو إما أن يكون بالفعل الصادر منه له شعور أو لم يكن ، فإن لم يكن له شعور فلا يخلو إما أن يكون فعله مختلفاً ، أو متفقاً ، فإن كان فعله متفقاً ، ويجوز عدمه ، وبالنسبة إليه يكون أحد الطرفين معلوماً له فعله بالأجناس والأنواع الموجودات (٤) الممكنات والجلى والخفى واحد .

---

(١) فى (أ) (الخ) وهو تصحيف .

(٢) فى (أ) تقديم وتأخير .

(٣) فى (أ) (الرجوع) .

(٤) فى (ب) (والموجودات) .

فذلك المبدأ أو السبب هو الطبع ، وإن كان فعله مختلفاً فذلك المبدأ أو السبب هو النفس النباتى (١) .

وإن كان له بفعله شعور ، فلا يخلو إما أن يكون معه تعقل وعلم أو لم يكن ، فإن لم يكن فهو (٢) المبدأ الذى يصدر عنه الأفعال الحيوانية . وإن كان معه تعقل وعلم ، فلا يخلو إما أن يكون فعله متحداً ، أو مختلفاً .

فإن كان مختلفاً فهو المبدأ الذى يسمى النفس الإنسانية . وإن كان فعله متحداً لأنه لا يختلف علمه ، فهو النفس الفلكية .

فإذا عرفت هذا ، فتعرف أن (٣) فعل الله تعالى صادر عن العلم الذى لا يشوبه جهل ولا تغير . وكل فعل صادر عن العلم بنظام الأشياء وكمالاتها على أحسن ما يكون فذلك بإرادة ، فإذا هو من ذاته (٤) عالم بوجود الأشياء الصادرة منه على حسن النظام والكمال . وذلك الاختلاف الذى فيها لازم لذواتها . إذ لو فارق (٥) ذا الطبع طبعه لم يكن ذلك طبعاً وهو له ذاتى .

(٢٤ أ) فلا تكون الشمس شمساً مع أن الصورة الشمسية لها ذاتية ، وكذا الكلام فى النفس النباتى والحيوانى والإنسانى والفلكى إذ كل ما حصل لها من التغيير والاختلاف راجع إلى اختلاف موادها فهو ذاتى لها ، ورفع ما هو ذاتى محال .

فإذا الأول فارق الأشياء بعلمه الذى هو سبب الوجود جملة تامة كاملة على أحسن النظام من إحكام وإتقان ودوام واستمرار وهو المسمى بالإرادة

---

(١) فى (أ) (الثنائى) وهو تصحيف .
(٢) فى (أ) (فهذا) .
(٣) فى (أ) (فعله) .
(٤) سقطت من (أ)
(٥) فى (ب) (والطبع) .

لأن صدور هذه الأفعال من آثار كمال وجوده . فيلزم أن يكون مريداً لها . ومن هاهنا يعلم معنى العناية (١) من أنها لا ترجع (٢) إلى ميل وقصد بتخصيص واحد من الخلق بخير دون غيره . فإنا ذكرنا أنه منزه عن العلة الغائية . فإذاً العناية تصور نظام الخير فى الكل فيدخل فى الوجود على حسب ما علم .

فذلك التصور المتعالى عن التغير هو العناية ، وتلك الكمالات من آثار عنايته وإرادته .

الصفة الرابعة : كونه قادراً :

لأنا (٣) بينا أنه عالم ، وأن الفعل الصادر عنه على وفق العلم فيه وأن العلم بنظام الخير على وجه يعلم أنه من آثار كمال وجوده هو الإرادة ، فإذا عرفت ذلك فتعلم أن القادر هو الذى يصدر منه .

(٢٤ ب) الفعل على وفق الإرادة ، وهو الذى إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل. ولايلزم من هذا أنه لابد أن تكون(٤) مشيئته وإرادته مختلفة حتى يشاء تارة ولا يشاء أخرى ، لأن اختلاف الإرادات من (٥) اختلاف الأغراض(٦) ، وقد ذكرنا أنه لا غرض له فى فعله ، فإذا مشيئته وإرادته (٧) متحدة ، لأن هذه قضية شرطية . ولا يلزم من قولنا إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل أنه ولا بد وأن لا يشاء وأن لا يفعل كما يلزم من قولنا إن شاء فعل :

---

(١) فى (ب) الغاية .
(٢) فى (ب) (يحتاج) .
(٣) فى (ب) : (أنا) .
(٤) فى (أ) يكون .
(٥) سقطت فى (أ) وهى فى (ب) : (الاختلاف) .
(٦) فى (أ) : (الأعراض) .
(٧) سقطت من (أ)

أنه لابد وأن يشاء (١) وأن يفعل ، فإنه علم نظام الخير على الوجه الأبلغ الأكمل فلا تتغير إرادته ومشيئته .

الصفة الخامسة : والسادسة (سميعاً وبصيراً) :

وذلك أن الموجودات مختلفة فبعضها مسموع ، وبعضها مبصر ، وكونه عالماً بالمسموعات كونه سميعاً وكونه عالماً بالمبصرات (٢) ، هو كونه بصيراً ، فالعلم واحد ، وإنما اختلفت أسماؤه لاختلاف متعلقاته ، فإذا تعلق ببواطن الأشياء سمى خبيراً . وإذا تعلق بظواهر الأشياء سمى شهيداً ، وإذا تعلق بالمعدودات سمى محصياً ، وإذا تعلق بالمسموعات سمى سميعاً (وإذا تعلق بالمبصرات سمى بصيراً)(٣) وإذا تعلق بدقائق الأشياء مع حفظ تلك ورعايتها سمى لطيفاً ، وإذا جمع فيقال : (عالم الغيب والشهادة ، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء) .

٢٥ — (أ) **الصفة السابعة :** كونه متكلماً :

قد ذكرنا أنه واحد ، وأنه منزه عن العلل الأربع ، فوصفه بكونه متكلماً لا يرجع إلى ترديد العبارات ، ولا إلى أحاديث النفس والفكر المتخيلة (٤) المختلفة التى العبارات دلائل عليها .

بل (٥) فيضان العلوم منه على لوح قلب النبى عليه السلام بواسطة القلم النقاش الذى يعبر عنه بالعقل الفعال والملك المقرب ، هو كلامه .

---

(١) فى النسختين اضطراب فى إيراد هذه القضية .

(٢) فى (أ) هنا سقط

(٣) سقط هذا الجزء من (أ) فى هذا المكان ووضع بعد السطر التالى .

(٤) سقطت من (أ) .

(٥) سقطت من (أ) .

فالكلام عبارة عن العلوم (الحاصلة) (١) للنبي عليه السلام . والعلم لا تعدد فيه ولا كثرة ، (وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر) (٢) .

بل التعدد إنما يقع فى حديث النفس والخيال والحس . فالنبي عليه السلام (٣) يتلقى (٤) علم الغيب من الحق بواسطة الملك . وقوة التخيل تتلقى تلك العلوم (٥) وتتصورها بصورة الحروف والأشكال المختلفة ، وتجد لوح الحس (٦) فارغاً فتنتقش تلك العبارات ، والصور فيه ، فيسمع منها كلاماً منظوماً ويرى شخصاً بشرياً ، فذلك هو الوحى ، لأنه إلقاء الشىء إلى النبي عليه السلام بلا زمان فيتصور فى نفسه الصافية صورة الملقى ، والملقى ، كما تتصور فى العلوم صورة المقابل فتارة يعبر عن ذلك المنتقش بعبارة العبرية وتارة بعبارة العربية .

٢٥ — (ب) فالمصدر واحد والمظهر متعدد . فذلك هو سماع كلام الملائكة ورؤيتها .

وكلما عبر عنه بعبارة قد اقترنت بنفس التصور فذلك هوآيات الكتاب وكلما عبر عنه (بعبارة) (٧) نقشية فذلك هو إخبار النبوة .

فلا يرجع هذا إلى خيال بذهن محسوس مشاهد ، لأن الحس تارة يتلقى (٨) المحسوسات من الحواس الظاهرة وتارة يتلقاها من المشاعر الباطنة :

---

(١) فى (أ) و (ب) الخاصة .
(٢) سورة القمر : ٥٠ .
(٣) فى (ب) صلى الله عليه وسلم .
(٤) فى (أ) يبلغ .
(٥) سقطت من (ب) .
(٦) فى (ب) (النفس) .
(٧) سقطت من (أ) .
(٨) فى (أ) يبلغ .

فنحن نرى الأشياء بواسطة القوى الباطنة ، ونحن نرى ثم نعلم ، والنبي عليه السلام (١) يعلم ثم يرى .

فإذا عرفت هذه الصفات ، وعلمت أنه واجب الوجود وأنه واحد (٢) وأنه لا يتكثر ألبتة بوجه من الوجوه ، وأنه لا علة له ، لا داخلة ، ولا خارجة ، فيسهل عليك معرفة بقية سائر الأشياء والصفات التي تطلق على الله سبحانه وتعالى ، فإنه إذا قيل حق فمعناه راجع إلى وجوب وجوده فإن الشيء إما أن يكون واجب الوجود ، أو ممتنع الوجود ، أو ممكن الوجود . فواجب الوجود(٣) هو الحق المطلق . والممتنع الوجود(٤) هو الباطل المطلق .

والممكن الوجود هو باعتبار نفسه باطل ، وبالنظر إلى موجبه واجب وبالنظر إلى رفع سببه ممتنع فيمتنع ويعدم ، فيكون بالالتفات إلى السبب وعدم السبب ممكناً .

(٢٦ أ) وإذا قيل إنه جواد فمعناه أنه يفيد الوجود من غير عوض ولا غرض للمدح والتخلص من مذمة ، ولا لقصد ينتفع به من الغير . وإذا قيل ملك فهو المستغني الذي يستغني عن كل شيء ولا يستغني (٥) عنه شيء في شيء .

فإن الاستغناء يعتبر فيه ثلاثة أمور لا توجد في غيره أصلا : الأول : أنه لا تتوقف ذاته على الغير ، أنه لا تتوقف صفاته العرية عن الإضافة ، على الغير . (٦) . الثالث : أنه لا يتوقف على الغير صفاته التي تعرض لها

---

(١) في (ب) صلى الله عليه وسلم .
(٢) سقطت من (ب) .
(٣) في (أ) : (وهو) .
(٤) ب (ممتنع) .
(٥) سقطت من (أ) .
(٦) سقط هنا مقدار سطرين من (أ) .

الإضافات ، لأن ذاته مبدأ للمضافين ، فهى إذا متقدمة عليهم ، وإذا كانت متقدمة عليهم لم يكن سبحانه (١) فقيراً إلى ما به استغنى . فإذا غناه لذاته ، وليس لغيره عنه غنى .

وإذا قيل أول فهو باعتبار ذاته هو الذى لا تركيب فيه وأنه المنزه عن العلل . وبإضافته إلى الموجودات هو الذى يصدر عنه الأشياء ، وعلى الحملة هوالذى (يكون) (٢)* ولا يكون **لشىء ألبتة ولم يكن آخرٌ إلا وقد كان قبله . فهو لذلك الشىء أولٌ وبعد كونه *** آخرا .

فإذا كل كمال وجمال ووجود يكون لغير الحق فهو للحق الأول أول ومستفاد منه ، ولا يكون لما عداه وإذا قيل : آخر فهو الذى ترجع إليه الموجودات فى سلسلة الترقى فى سلوك السالكين .

وهكذا تطلق عليه جميع الصفات بشرط أن لا تتكثر ذاته ولا تنخرم وحدته . ولا تتطرق إليه علة من العلل . فإذا ثبت أنه واجب الوجود

(٢٦ ب) وأنه واحد وأنه لا علة له ، وأنه تام الوجود ولا يفوت منه كمال .

فإذا عرفت هذا فيعلم أن جميع ما سواه هو فعله ، وأنه صدر عنه لذاته وأنه لا يشترط أن يسبقه عدم وزمان، لأن الزمان تابع (٤) للحركات وهو من فعلها . نعم يشترط سبق العدم الذاتى لأن كل شىء هالك ومنعدم فى نفسه ،

---

(١) فى (أ) اختلاف فى العبارة لم يؤثر على المعنى .
(٢) سقطت من (أ) . والمعنى : يكون وجوده
* أى يوجـد .
** أى لا يوجد من أجل شىء .
*** أى وجوده أى أن الله سبحانه وتعالى آخر لهذه الأشياء بعد أن يوجدها ، كما كان أولا قبل إيجادها .
(٤) فى أ : (مانع) وهو تصحيف .

إنما ر جوده من الخالق جل وعلا ، والذى لذاته يكون(١) سابقاً على ما يستفيد من غيره .

فإذا كل شيء ما سوى البارى جل وعلا سبقه العدم على الوجود سبقاً ذاتياً لازماً ، والفاعل الذى يفعل لذاته أشرف وأجل من الفاعل الذى يفعل بسبب طارىء وعارض .

وتحقيق هذا هو أن الذات إذا لم يصدر منه شيء ، وبقى على ما كان فلا يصدر عنه إذا . وإذا صدر فلابد من تغير ذاته بحدوث إرادة وطبع شيء مما يشبه هذا وهذا محال . وهو كامل فى ذاته والأفعال صادرة عنه . فيعلم أنه لا يتوقف على زمان واستعلام وقت هو أولى بالفعل فيه وحدوث علة غائية وباعث وحامل . فإن الذات إذا لم يصدر منه شيء وكان يعرض أن يصدر فهو فى ٢٧ (أ) فاعليته ممكن الفعل والممكن لا يترجح أحد طرفيه إلا بسبب .

فإذا كل من لم يكن فاعلا ثم صار فاعلا ، فإنما يكون بسبب والسبب إما أن يكون خارجاً ، أو داخلا ، فلا جائز أن يكون خارجاً لأنه لا موجود إلا هو فلا يجوز أن يؤثر فيه غيره . وإن كان داخلا فيه فيكون تغير أو انفعال فى ذاته ، وكيف يكون قابلا للتغير والانفعال ؟ وهو الذى (يمحو ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب *) إشارة إلى (٢) محو الأشخاص النوعية بعضها بعضاً ، وإقامة غيرها مقامها حيث لم يكن دوامها أبداً .

وأم الكتاب هو تعلق عمله على الوجه الكلى العالى عن التغير والزوال .

---

(١) فى (أ) تقديم وتأخير .

(٢) فى (ب) (الحق) وهو تصحيف ، وقد صححها المراجع إلى محو أو محق .

* سورة الرعد : ٣٩ .

فهو الصانع الأزلى ، والقادر الأبدى الذى بيده مفاتيح الغيب ، ومنه عنصر الوجود (١) .

فإذاًقد ثبت أن وجوده الأزلى ضرورى. وعلمه ملازم لوجوده. وفعله ملازم لعلمه .

أما بالنسبة إليه ، فعلى سبيل الإيجاد . وأما بالنسبة إلى الموجودات (٢) فعلى سبيل الاعتبار* حتى لا يستدل بتغيرها على تغيره وبعدمها على عدمه فيكون الاستدلال بالكائن الفاسد على الباقى . بل هو الدليل إليه .

(٢٧ ب) أولا ** ، والمرشد إليه ثانياً : فتعالى الله عما يقول الظالمون والجاهلون علواً كبيراً . فإذن القديم هو الله تعالى بافتقار الموجودات إلى قديم ، كافتقار المعدومات إلى موجد .

وأما التغيرات المحسوسة فى الماديات دون الإبداعيات ، أو إذا كان هو الفاعل فيها على الحقيقة حالتى الوجود والدوام لزم من تلك الفاعلية على (٣) الحقيقة دوامه أبداً والمحدث كل ما سواه ، لأن وجوده ليس بذاته ، بل بالأول جل وعلا . فالكلام الملخص واللفظ المنقح أن يقال : إن الله تعالى هو القديم فحسب لأنه غير مسبوق بعدم وليس وجوده من غيره ، والحادث كل ما سواه لأنه مسبوق بالعدم ، ووجوده بالأول . عظمت قدرته .

---

(١) فى (أ) (الوجوه) وهو تصحيف .
(٢) فى (أ) (الوجودات . . .
* أى أن وجودها أمر اعتبارى .
** القول بأن الله دليل على نفسه ، قول بوحدة الوجود أو أنه إرساء وتمهيد للقول بوحدة الوجود حيث أتى ابن عربى بعد ذلك وقال إن الكون هو الله . فالله سبحانه فى قرآنه قد جعل الكون الظاهر بوجوده ربنظامه دليلا عليه ، فكيف لابن سينا أن يهمل ذلك ويقول إن الله هو الدليل على نفسه ، ولا أرى هذا إلا إغراقاً فى الخيال ، وإبعادا فيه مما يصل بالإنسان إلى الغموض والإبهام والحيرة . ومهمة الدارس للدين أن يبين للناس لا أن يلغز لهم .
(٣) فى (أ) و (ب) : (الفاعلية الحقيقية) . وأرى أن الأدق هو (على الحقيقة) .

القول فى صـــدور الأفعال عنه

فقد عرفت أنه واجب الوجود ، وأنه واحد ، وأنه ليس له صفة زائدة على ذاته تقتضى الأفعال المختلفة ، بل الفعل آثار كمال ذاته . وإذا كان كذلك ففعله الأول واحد لأنه لو صدر عنه اثنان لكان ذلك الصدور عن جهتين مختلفتين ، لأن الاثنينية فى الفعل تقتضى الإثنينية فى الفاعل .

والذى يفعل لذاته إن كانت ذاته واحدة فلا يصدر منه إلا واحد . وإن (٢٨ أ) كان فيه اثنينية فيكون مركباً ، وقد بينا استحالة ذلك فيلزم أن لا يكون الصادر الأول عنه جسما ، لأن كل جسم مركب من الهيولى والصورة وهما محتاجان إلى علتين ، أو علة ذات اعتبارين ، وإذا كان كذلك استحال صدورهما من الله تعالى ، لما ثبت أنه ليس فيه تركيب أصلا . فإذا الصادر الأول منه غير جسم . فهو إذا جوهر ، وهذا هو العقل الأول . والشرع الحق قد ورد بتقرير ذلك فإنه قال عليه الصلاة والسلام :

« أول ما خلق الله تعالى العقل » . وقال عليه السلام : « أول ما خلق الله تعالى القلم »* (ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) إشارة إلى دوام الخلق .

(ولن تجد لسنة الله تبديلا) ، إشارة إلى دوام الأمر (١) .

نعم : الكل صادر عنه فى سلسلة الترتيب والوسائط . ونحن إذا قلنـــا

---

(١) فى (ب) خلط فى التعبير أدى إلى فساد المعنى .

* هذا الحديث والذى قبله قد أجمع أهل الخبرة بالحديث على وضعهما . انظر الإحياء للغزالى هامش ص ١٤٢ تخريج الزين العراقى . الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة للإمام الشوكانى . بغية المرتاد لابن تيمية . الموضوعات لابن الجوزى .

هذا الفعل صادر منه . السبب والمسبب منه أيضاً فلا نقص فى فاعليته . بل الكل صادر منه وبه وإليه . فإذا الموجودات صدرت منه على ترتيب معلوم ووسائط لا يجوز أن يتقدم ما هو متأخر ، ولا يتأخر ما هو متقدم ، وهو المقدم على ترتيب معلوم ووسائط [لا يجوز أن يكون فيها المقدم] (١) والمؤخر معاً .

(٢٨ ب) نعم الموجود الأول الذى صدر عنه أشرف ، وينزل من الأشرف إلى الأدون حتى ينتهى إلى الأخس ، فالأول عقل ثم نفس ثم جرم السماء . ثم مواد العناصر الأربعة * لصورها . فموادها مشتركة وصورها مختلفة . ثم يترقى من الأخس إلى الأشرف فالأشرف حتى ينتهى إلى الدرجة التى توازى درجة العقل . فهو بهذا الإبداء والإعياد (٢) مبدىء ومعيد .

القول فى قضائه وقدره (على سبيل الإختصار)

قد عرفت أنه واحد . وأنه لا يتغير ، وعرفت صفاته . فينبغى أن يعرف من جملة ما عرفت أن قضاءه هو علمه المحيط بالمعلومات : مبدعاته ومكوناته ، وأن قدره يوجب الأسباب للمسببات ، وأنه لا علة له غائية حاملة * ، وأنه إذا وجد السبب وجد المسبب ، وبذكر السبب والمسبب وتفصيلهما يظهر إثبات الحكمة الإلهية فى وجود هذه الموجودات ، وأنها وجدت على أكمل ما يمكن أن يكون ، وأنه لم يتختلف (٣) عنها شىء من كمالها الممكن لها فى نفس الأمر ولو كان فى الإمكان وجود أكمل مما هى

---

(١) هذه الزيادة رأيتها كى يستقيم الأسلوب ، وهى ليست فى (أ) ، ولا فى (ب) .
(٢) فى (ب) : (الإعادة) وهما بمعنى .
* التى هى الماء ، والهواء ، والنار ، والتراب .
(٣) فى (أ) ، (ب) يختلف وهو تصحيف .
* أى تحمله على فعل الأشياء .

عليه لما وجدت على غيره وأن هذه الشرور الحاصلة فى بعض الموجودات وإن كان حصولها على سبيل الوجوب واللزوم لكنها . (٢٩ أ) غير خالية عن حكمة تامة ، بها يكون قوام العالم ، ولولا تلك الحكمة لما وجدت هذه الشرور ، لأن الخيرات هى مبادىء الشرور ** . فعند استيفاء الخيرات أو انتهائها ربما ظهرت الشرور ، وربما خفيت .

** لعل هذه الفكرة عند ابن سينا تقوم على ما جاء فى الحديث الشريف عن أبى سعيد الخدرى ، قال : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض . قيل وما بركات الأرض ؟ قال : زهرة الدنيا ، فقال له رجل : هل يأتى الخير بالشر فصمت النبى صلى الله عليه وسلم حتى ظننا أنه ينزل عليه ، ثم جعل يمسح عن جبينه ، فقال : أين السائل ؟ . قال: أنا . قال أبو سعيد لقد حمدناه حين طلع ذلك قال : لا يأتى الخير إلا بالخير ، إن هذا المال خضرة حلوة . وإن كل ما أنبت الربيع يقتل حبطاً أو يلم ، إلا آكلة الخضرة : أكلت حتى إذا امتدت خاصرتاها ، استقبلت الشمس فاجترت وثلطت وبالت ، ثم عادت فأكلت .

وإن هذا المال حلوة من أخذه بحقه ووضعه فى حقه فنعم المعونة هو . . ومن أخذه بغير حقه كان كالذى يأكل ولا يشبع » صحيح البخارى . باب الرقاق جـ ٨ طبعة الشعب .

فالرسول صلى الله عليه وسلم قد نوه أولا بأنه قد يأتى الخير بالشر ولكن حينما جاءه الوحى أثناء هذا الحديث بين هذا الأمر من جميع جوانبه فبين أن الأصل أن الخير لا يأتى إلا بالخير إذا استعمل الناس هذا الخير بطريقة طبيعية كما بين الشارع . أما إذا ساروا بالأمور على غير وجهها ، ولم يوجهوا الخير فى سبيل الخير ، فإنه قد ينقلب شراً فى هذه الحال . ووضح ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله : (إن كل ما أنبت الربيع يقتل حبطا (أى قتلا نهائياً) أو يلم (أى يقرب من الموت) وذلك فى حال سوء الأكل وعدم قناعة الماشية فى ذلك، أو عدم تحريها للطيب من النباتات .

أما إذا نظمت طعامها ، واختارت الجيد منه ، فإنها تستفيد من ذلك ويأتيها هذا الخير ، بالخير ، وهذا هو قوله صلى الله عليه وسلم : (إلا آكله .. الخضرة أكلت ، حتى إذا امتدت خاصرتاها ، استقبلت الشمس ، فاجترت وثلطت (أى تبرزت) ، وبالت ، ثم عادت فأكلت . . » .

فهذا هو كما أرى توجيه ابن سينا لوجود الشر من الخير أو مع الخير . والأمر بعد ذلك إن كما هى فكرة ابن سينا مستقبلا أن الوجود كله خير والأساس فى فعل الله هو الخير ، ولكن الشر عارض بفعل الإنسان أو لسوء فعل الإنسان ، وإن كان الأصل فى ذلك كله أولا هو فعل الله وفى ضوء ذلك كما ذهب إلى هذا ابن سينا أن ما يتراءى لنا من الشر إنما هو الحقيقة خير .

هذا فى الشىء الواحد وفى المضادات (١) أمور شريرة لأجل المنافرات والمنافيات ، ولكنها نادرة جداً بالإضافة إلى الوجود إذ هو خير كله أو الغالب خيره .

وأما الشرور فيجب إضافتها إلى الأشخاص ، والأزمان والطباع (٢) وسيأتى لهذا زيادة شرح وتفصيل ، وأنه متى حصل نقص فى آحاد نوع ما ، كان ذلك النقص عائداً إلى ضعف فى القابل وقصور [فى] المستعد . وإلا فالفيض عام من غير بخل به ولا منع منه .

فلا ينبغى أن يتوهم الأغمار وضعفاء العقول على أن هذا التعليل يرجع إلى أفعاله جل وعلا ، لأن أفعاله نتاج صفاته وصفاته لذاته ، والذات موجبة أبداً .

فلو كان لأفعاله علة ، لكان لصفاته علة لأن صفاته مصادر أفعاله ؛ ولو كان كذلك لكانت ذاته مركبة . وقد سبق أنه محال . فإذا كل ما فى الوجود فهو كما ينبغى . فعدله فضل ، وفضله عدل . ولتعلم أنه لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه . نعم ينبغى أن تتلطف فى إضافة الخير والشر . (٢٩ ب) إليه ، وهذا إنما يعلم بعد أن نتوسط بتقسيم حاصر (٣) فنقول : المعلوم : لا يخلو إما أن يكون خيراً محضاً أو شراً محضاً أو شراً من وجه وخيراً من وجه . والذى هو خير من وجه وشر من وجه . إما أن يكون خيره غالباً أو يكون الخير والشر فيه متساويين .

فأما الخير المطلق فقد وجد وهو الحق الأول جل وعلا . وكذلك العقول الفعالة ، ومن تقرب منهم . إذ هى أسباب الخيرات والبركات .

---

(١) فى (ب) المصادرات .

(٢) فى (ب) : (والطبائع) .

(٣) فى (أ) حاضر .

وأما الشر المطلق ، والغالب والمساوى فلم يوجد لأن احتمال الشر الكثير لأجل أن يحصل خير يسير شر كثير . هذا فى الغالب والمساوى . وأما الشر المطلق فممتنع الوجود أصلا ، فلا تقتضى الحكمة إيجاده وأما الخير الغالب فيجب فى الحكمة إيجاده ، ولا يليق بالجود إهماله لأنه نتيجة العلم السابق بنظام الكل على الوجه التام فهو لازم للوجود . ولأن احتمال الشر اليسير لأجل أن يحصل خير كثير خير كثير (١) .

هذا القسم كالمقابل لما قبله . فإذا أضفت الشر إليه فاحمله على العموم كقوله تعالى : (الله خالق كل شىء) * (والله خلقكم وما تعملون **) وإذا أضفت الخير إليه ، فأضفه على الخصوص كقوله تعالى : (بيدك الخير إنك على كل شىء قدير) *** (يريد الله (٣٠ أ) بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر **** » لأن الحق الأول جل وعلا مفيض الخيرات ، ومنزل البركات ، فالخير مقتضى بالذات وبالقصد الأول والشر مقتضى بالعرض وبالقصد الثانى .

ولست أريد بالقصد هاهنا ذلك القصد والاختيار اللذين هما من موجبات الكمال ، ومخصصات الزمان لأن ذلك فى حق الأول محال لما سبق أن فيضان الخير منه على سبيل اللزوم . وإذا كان كذلك لزم من ذلك اللزوم أن يكون له مقابل هو أثر لذلك الفيض .

ومثاله من المحسوسات الضياء للشمس والظل للشخص وهو الموجود

---

(١) فى (ب) سقطت هذه الجملة .

* الزمر : ٦٢ .

** الصافات : ٩٦ .

*** آل عمران : ٢٦ .

**** سورة البقرة ١٨٥ .

المطلق ، فمنه ما وجوده بغير وسط ، وهذا هو العقل الأول على ذلك الأثر الذى هو المعلول الأول سمى قصداً أولا وذلك لضرورة الترتيب الحاصل بغير وسط ، وضيق العبارة عن كنه هذا السلوك والترتيب العقليين . وهذا هو الخير المحض الذى لا يشوبه شر ألبتة ، وهو المراد بالقضاء فى لسان الشرع لأنه الحكم الثابت المستمر على سنن واحد .

وعلى هذا الترتيب ما حصل من العقول التالية له أولا فأول (١) .

فأما ما بعد عن الفيض وقبول الأمر ، فإن الخير فيه غالب من **(٣٠ب)** حيث دخوله فى الوجود لكن ذلك الخير الغالب لما كثرت مبادئه وتباينت أسبابه لزم من ذلك التباين والكثرة شر ما على سبيل المصادفات (٢) ، وصار للزومه كأنه مقصود (٣) ، ولكنه مقصود ثانياً ليتميز عن الأول ، وهو سائر المعلولات الصادرة عن العقل الأول الجارية مجرى تفصيل الجملة الواقعة تارة والمرتفعة أخرى وهو المراد بلفظ القدر . قال الله تعالى : (وأنزلنا من السماء ماء طهوراً لنحيي به بلدة ميتاً ، ونسقيه مما خلقنا أنعاماً وأناسى كثيراً) * . وليكن استقصاء للكائنات .

وعلى الجملة فجميع ما فى الكائنات من الخير لا يتأتى بدون الماء . ولكن علم قطعاً أنه إذا وقع فيه (إنسان غرق) .

وكذلك النار وما فيها من المنافع وإصلاح العالم مع إحراقها ما تقارنه . وعلى هذا جميع ما فى العالم .

---

(١) سقطت فى (أ) .

(٢) فى (أ) (المصادمات) .

(٣) سقطت من (أ) .

* الفرقان : ٤٨ ، ٤٩ .

فإذا قدثبت أن الخير مقصود بالقصد الأول ، وبالذات ، وأن الشر داخل بالعرض وبالقصد الثانى وإن كان كل بقدر .

والحمد لله واهب العقل وملهم الصواب ** اللهم أفض من نور هدايتك علينا ، وألق أسرار ولايتك إلينا حتى نرزق جوارك فى المقام الأعلى ، والالتذاذ بمشاهدة جمالك فى المقصد الأقصى إنك أهل التقوى وأهل المغفرة .

برحمتك يا أرحم الراحمين تمت الرسالة العرشية والحمد لله على آلائه ، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين وهو حسبى ونعم الوكيل .

** إلى هنا تنتهى الوحدة بين الرسالتين ، وهناك فى (ب) خاتمة ودعاء غير هذا .

صحيفة عبد الله بن لهيعة

نبذة عن بردية هيدلبرج

رقم EPSR 50—53

بقلم الدكتور / م. مورانى

جامعة بون — ألمانيا الإتحادية

تحمل البردية المسماة بصحيفة ابن لهيعة من مجموعة المخطوطات العربية فى هيدلبرج بألمانيا الاتحادية أهمية كبيرة عند البحث فيما كتب عن الفتنة وأشراط الساعة فى القرن الأول والثانى الهجرى .

فهذه البردية الفريدة لم يشر إليها فى مجال الاستشراق من قبل — إلى حد علمى — ، إلا أن هناك ملحوظة صغيرة من س. ه. بيكر (١) C.H. BECKER الذى يعد أول من ذكر هذه النسخة الثمينة قائلا : بأنها مجموعة للأحاديث عن آخر الساعة ويوم القيامة المنسوبة إلى المحدث والفقيه المصرى عبدالله بن لهيعة (توفى ١٧٤ ه) .

إن هذه الملحوظة تحتاج إلى تعديل ، ومن ثم نرى أنه لزام علينا أن ننظر فى بعض الملامح الرئيسية للبردية التى لها أهمية خاصة عند بحث كتابة الحديث فى صدر الإسلام وعند دراسة نشأة كتابة الأحاديث فى هذا الموضوع فى أواخر القرن الأول الهجرى التى للأسف لم نعرف عنها الكثير .

وهنا لا تقع بين أيدينا مجموعة الروايات عن عبد الله بن لهيعة فحسب بل إنها تتضمن أحاديث انتشرت بين دوائر رواة الحديث المصريين المعروفين فى ذلك الوقت على الأكثر : منهم عبدالله بن وهب الفقية المالكى وتلميذ

الإمام مالك بن أنس والفقيه الليث بن سعد وهو أيضاً من الفقهاء المشهورين فى ذلك العصر ، ، الذى يروى عنه ابن وهب .

ويغلب على مضمون المخطوطة روايات تتعلق بآخر الساعة ويوم القيامة وعلاماتها من ناحية ، وبأحاديث فى الفتنة التى وقعت فى الأمة الإسلامية فى القرن الأول الهجرى أى بأحداث تاريخية مثل مقتل عثمان بن عفان رضى الله عنه، وحصار ابن الزبير بمكة ووقعة الجمل من ناحية أخرى . وعلى هذا النحو توجد هناك بعض الأحاديث فى غير ما سبق ذكره مثل مسائل الوضوء والمسح على الخفين والصلاة .

والذى جمع هذه الأحاديث هو العالم المصرى عثمان بن صالح بن صفوان أبو يحيي السهمى (١٤٤ — ٢١٩ هـ) والذى ذكر اسمه فى الصفحة الأولى من البردية .

وكان المحدث الشهير أبو حاتم يمتلك كتاباً لعثمان بن صالح وقد قال فى ذلك : ضاع لى كتاب عن ابن لهيعة عن أبى قبيل ثم دللت على صاحب ناطف فاشتريت منه بكذا فلساً أو قال كذا حبة (٢) .

ومن المحتمل بل من اليقين تماماً أن هذا الكتاب الذى أشار إليه أبو حاتم هو من نفس المجموعة التى بين يدينا فى بردية هيدلبرج أو جزء منها ، وقد تكون نسخة أخرى منها لأنها كما ذكر أبو حاتم تحتوى على عدد كبير من الروايات بهذا الإسناد أى عن ابن لهيعة عن أبى قبيل . ومن الجدير بالذكر أن هذه الأحاديث فى الفتنة وآخر الساعة تعتبر من أقدم الروايات فى هذا الموضوع على الإطلاق .

وقد كان أبو قبيل حيي بن هانىء المصرى غلاماً عند مقتل عثمان سنة ٣٥هـ وعاش فى اليمن ، وتوفى سنة ١٢٨ هـ .

وفيه قال يعقوب بن شيبة الدوسى عند ابن حجر العسقلانى :

« كان له علم بالملاحم والفتن » (٣) .

وهناك بعض روايات عجيبة وغريبة تثبت أن أبا قبيل كان يعتبر عالماً بالمستقبل وبما سيحدث فى الأمة من البلاء ، وقد روى ياسين بن عبد الأحد عن أبيه الحكاية التالية :

لما دخل عبدالله بن طاهر مصر كنت فيمن دخل عليه فقلت حدثنا ابن لهيعة عن أبى قبيل عن سبيع قال :

يا أهل مصر كيف بكم إذا كان فى بلدكم فتنة فوليكم فيها الأعرج ثم الأصفر ثم الأمرد ثم يأتى رجل من ولد الحسين ولا يدفع ولا يمنع تبلغ راياته البحر الأخضر يملأها عدلا .

إلى هنا كانت الرواية المنسوبة إلى ابن لهيعة عن أبى قبيل عن سبيع (وهو تبيع بن عامر الحميرى ، ويعتبر (سبيع) تحريفاً فى موضعه) .ويروى ياسين بن عبد الأحد بعد ذلك تفسيراً لهذه الرواية عن أبيه قائلا :

قلت : كان ذلك ! كانت الفتنة فوليها السرى وهو الأعرج والأصفر ابنه أبو نصر والأمرد عبيد بن السرى ، وأنت عبدالله بن طاهر بن الحسين(٤).

هذا وفى كتاب فتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكم روايات كثيرة عن أبى قبيل مما تدل على أنه لم يكن مهتما بالتاريخ فقط بل أنه كان أولا وقبل كل شىء راوياً للحديث . إن كان من الممكن أو من المقبول فى ذلك الوقت التفريق بين إخبارى أى مؤرخ وراو أى محدث . وتدل الروايات الموجودة فى كل من البردية والجامع لعبد الله بن وهب المصرى والتى تنسب إلى أبى قبيل على أن نشاطه العلمى كان فى مجال الحديث ، فما لدينا ليس له مضمون تاريخى على الأغلب ، أما رواياته عند ابن عبد الحكم فيغلب عليها الطابع الأسطورى إذ أن مضمون البردية بهيدلبرج من ناحية والروايات

الموجودة فى كتاب الفتن لنعيم بن حماد المروزى (٥) من ناحية أخرى تبرهن على حقيقة قول يعقوب بن شيبة فيه بأنه كان له علم بالملاحم والفتن .

أما مصدر أبى قبيل فى هذه البردية وهو عبدالله بن عمرو بن العاص على الأغلب والذى نقل عنه المصريون ما يقرب من مئة حديث ليست عند غيرهم (٦) . وبعض هذه الأحاديث فى آخر الساعة ويوم القيامة وعلاماتهما قد وصلت إلينا عن طريق عبدالله بن لهيعة والليث بن سعد ومعاوية بن صالح ويحيى بن أيوب (٧) ومن الأرجح أن تكون تلك الأحاديث مدونة فى صحيفة لعبد الله بن عمرو المسماة (الصادقة) وهى إحدى المدونات القديمة المنسوبة إليه . وكان مجاهد (ت ١٠٤ هـ) المكى الفقيه والمفسر الشهير قد عرف هذه الصحيفة (الصادقة) جيدا كما يخبرنا بهذا فى الطبقات لابن سعد (ج ٢/٧ ، ص ١٨٩) .

إن الأحاديث المتعلقة بموضوع الفتنة ويوم القيامة فى روايته والتى نقلها عنه أبو قبيل فى هذه البردية تعتبر أقدم الروايات الموجودة فى رواية علماء مصر المذكورين أعلاه .

أما المصدر الثانى لعبد الله بن لهيعة فى البردية وهو بكر بن سوادة المصرى وهو من معاصرى أبى قبيل (توفى فى إفريقية سنة ١٢٨ هـ) .

والأحاديث التى ترجع إليه تتعلق بالعبادات فبعضها محفوظ فى كتاب الفتوح لابن عبد الحكم . وفى هذه الروايات ما ينص على أنه قد جمع أحاديث وقارن بعضها ببعض نظراً إلى إسنادها ومتنها فى آن واحد ، وقد نقل حديثاً منسوباً إلى الصحابى مستورد بن شداد رضى الله عنه بإسنادين مختلفين وبنص مختلف أيضاً . وهذه الطريقة فى روايته تدل على مجموعة المعلومات المتوفرة لديه فى علم الرواية فى أواخر القرن الأول الهجرى كما تدل أيضاً على فهم علمى لهذا الفن الجليل (٨) .

فقد نقل عبدالله بن لهيعة كثيراً من أحاديث أبى قبيل وبكر بن سوادة

كما رأينا ومن تاريخ وفاتهما نستنتج أنهما ربما شاركا بعد السنة الثمانين للهجرة تقريباً فى كتابة الحديث وتدوينه . وقد قام ابن لهيعة — كما هو واضح من الأسانيد فى البردية — بدور الجامع لبعض هذه الأحاديث . فيرجع تاريخ الروايات التى ذكرها فى البردية إلى القرن الأول الهجرى من حيث تسجيلها وتدوينها .

وعلى هذا الأساس فإننا نستطيع أن نتحدث عن كتابة وتصنيف الأحاديث المتعلقة بالفتنة وآخر الساعة فى هذا العصر السابق لعصر ابن لهيعة (من سنة ٩٧ إلى سنة ١٧٤ ﻫ) . ويثبت قولنا هذا ما نجده فى كتاب الفتن لنعيم بن حماد المروزى حيث قال ابن لهيعه تعليقاً على حديث فى أشراط الساعة :

« أعطانى يزيد بن أبى حبيب كتاباً فيه عن عبد الرحمن بن معاوية سمع عبد الله بن عمر يقول إن الشمس والقمر يجتمعان فى السماء فى منزلة بالعشى فيكون النهار سرمداً عشرين سنة » (٩) .

وهذا يدل على أن هذا الحديث لم يرو شفوياً عن يزيد بن أبى حبيب بل أنه كان مسجلا فى كتاب ما غير معروف كان لديه .

ومن المحتمل أنه كانت هناك أحاديث أخرى مدونة فى هذا الكتاب يرجع تاريخ تدوينها إلى النصف الثانى من القرن الأول الهجرى على الأ ل . وكثير من المصادر القديمة تشهد بأن يزيد بن أبى حبيب (ت ١٢٨ ﻫ) قد عنى إلى حد كبير بالتاريخ المصرى من ناحية وبالحروب التى وقعت فى صدر الإسلام بعد مقتل عثمان بن عفان رضى الله عنه من ناحية أخرى .

وفى وقتنا الحالى تعد بردية هيدلبرج كأقدم مرجع بين يدينا يدل على أن عبدالله بن وهب — من أشهر فقهاء المالكين ومن أصحاب مالك بن أنس — قد عنى أيضاً بروايات فى الفتنة والحروب التى وقعت بين طوائف من الناس فى القرن الأول للهجرة .

وقد نقل ابن وهب وبعض هذه الأحاديث عن حميد بن هلال الخولانى (ت ١٤٢ هـ) الذى كان يتخذه مصدراً فى أحاديث متعلقة بمسائل فقهية (١٠)

وهناك مصدر آخر لابن وهب فى البردية وهو معاوية بن صالح الحمصى الذى غادر حمص إلى أفريقيا فى حوالى ١٢٥ هـ .

وكتب عنه المصريون والمدينيون أثناء الحج فى عام ١٥٤ هـ أحاديث كثيرة فى هذا الفن لأنه روى أحاديث لم تكن معروفة عند غيره فى ذلك الوقت . وكان فى كتبه عدد كبير من هذه الغرائب (١١) .

وثمة مرجع مباشر آخر لابن وهب فى البردية وهو يحي بن أيوب الغافقى (ت ١٦٨ هـ) ، وتعود إليه رواية عن طريق سعيد بن أبى مريم المصرى (ت ٢٢٤ هـ) (١٢) فى المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابورى (١٣) وهذه الرواية ليحيي بن أيوب عن عمارة بن غزية (ت ١٤٠ هـ) (١٤) تتعلق بحصار عبد الله بن الزبير ومقتله بمكة (١٥) وتعد من أقدم الروايات فى هذا الحادث الذى يسمى أحياناً بالفتنة الثانية بعد مقتل عثمان بن عفان رضى الله عنه .

هذا ويذكر فى قائمة المؤلفات لابن وهب كتاب يسمى بكتاب « الأهوال » الذى يشتمل على روايات عن عقاب يوم القيامة وعن علامات الساعة . وكثير من هذه الروايات والأحاديث لابن وهب محفوظة فى المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابورى ، وقد ترجع إلى كتاب الأهوال لابن وهب . وقد خصص الحاكم النيسابورى فى كتابه هذا فصلا كاملا عن هذه الأحاديث « والمسماة بكتاب الأهوال » ولم يفرق البخارى ومسلم من حيث الموضوع بين « الفتن » و « الأهوال » فعند تقسيم هذا الفصل نجد أنهما قد رويا فى البداية أخباراً عن الحروب التى وقعت فى الإسلام فى القرن الأول الهجرى وعن الاعتزال عنها ، تتلوها بعد ذلك أحاديث فى آخر الساعة وعلاماتها ويوم القيامة . وكلا من الموضوعين يندرج تحت هذا العنوان

« كتاب الفتن » . ويتبع الحاكم النيسابورى نفسه هذه الصياغة فى التقسيم سلفه محمد بن اسحاق بن خزيمة (ت ٣١١ هـ) ويفرق بين الفتن والأهوال (١٧).

ونحن نستطيع مراجعة هذه الأحاديث التى قد ترجع إلى كتاب الأهوال لابن وهب ليس فى البردية فحسب بل عند الحاكم النيسابورى أيضاً .

ويروى ابن وهب أحاديثه فى هذا الموضوع بالإسناد التالى :

عمرو بن الحارث، دراج، أبو الهيثم، أبو سعيد الخدرى (المستدرك ج ٤ ص ٥٩٣ ، ٥٩٦ ، ٥٩٧ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، ٦٠٩) .

وترجع تلك الأحاديث لابن وهب إلى رواية محمد بن يعقوب الأصم (ت ٣٤٦هـ) عن يحر بن نصر (ت٢٦٧ هـ) عن ابن وهب ، ومن هذه الرواية بالذات توجد هناك نسختان أخريان غير كاملتين من الجامع لابن وهب وموجودتان فى المكتبة الظاهرية وفى مكتبة دبلن فى إيرلندا

، (Chester Beaty no 3497)

ونظراً إلى هذا فمن المحتمل أن الأحاديث الموجودة فى كتاب الأهوال عند الحاكم النيسابورى بالإسناد المذكور قد تنسب إلى كتاب الجامع لإبن وهب .

ويعتبر كتاب الأهوال لابن وهب عند القدماء جزءا من الجامع (١٨) . هذا وقد أخبر الذهبى أيضاً أن ابن وهب قد امتلك نسخة عن دراج برواية عمرو بن الحارث (١٩) ، وهذه المجموعة قد تحوى الروايات التى أخرجها فى كتابه « الأهوال » .

وقد كان دراج بن سمعان أبو سمح المصرى (ت ١٢٦ هـ) من القصاص المصريين وكانت أحاديثه عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى معروفة فى مصر فى عصره ولكن أحاديثه هذه لم تكن مقبولة لدى المحدثين : وفيه يقول أبو داود : أحاديثه مستقيمة إلا ما كان عن أبى الهيثم عن أبى سعيد (٢٠) .

وقد رأى ابن حنبل أن أحاديث دراج كانت مناكير (٢١) ، ورغم

هذا يروى فى مسند عبدالله بن عمرو بعض الأحاديث التى ترجع إلى دراج ابن سمعان فى رواية عبدالله بن لهيعة (٢٢) .

أما أبو هيثم المصرى فيقول فيه المؤرخ والمحدث المصرى ابن يونس : إن أحاديثه كانت « معلولة » ، فعدد كبير من هذه الأحاديث بهذا الإسناد المذكورطويلة على صورة غيرعادية فىكتاب الأهوال عند الحاكم النيسابورى ، ومما لا شك فيه أن ابن يونس يقصد هذه والروايات الطويلة حين وصفها بأنها معلولة ! (٢٣) .

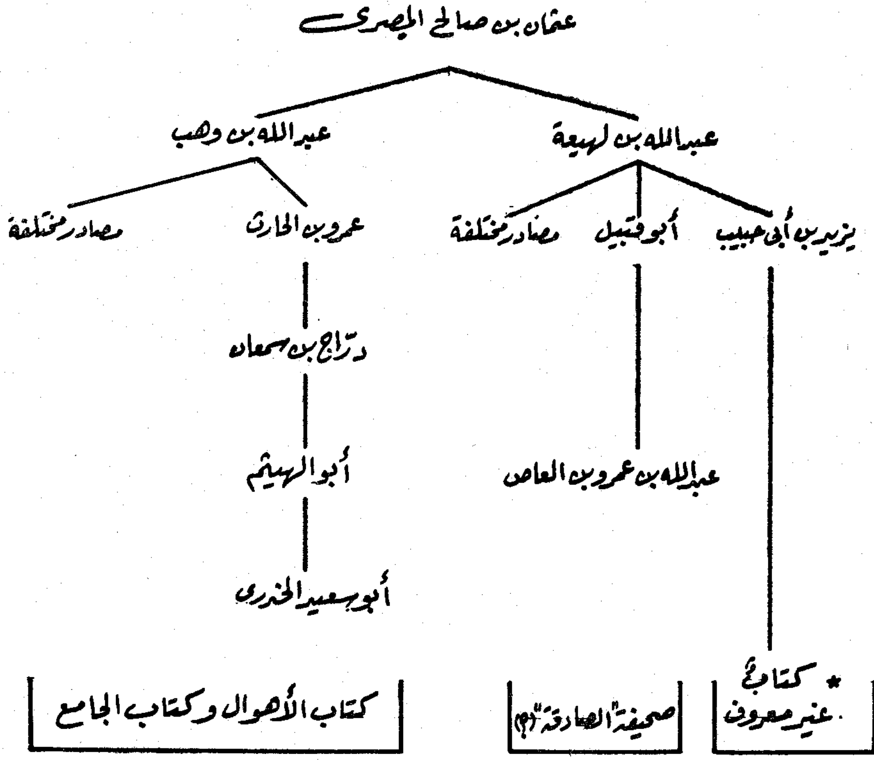
ونظراً إلى معرفتنا الحالية عن المصادر القديمة لا نستطيع الإجابة على السؤال إذا كانت الأحاديث التى يرويها عبد الله بن وهب فى الفتن فى البردية من ناحية وفى كتاب الفتن لنعيم بن حماد من ناحية أخرى قد نقلها فى الأصل منفصلة عن أحاديث فى آخر الساعة ويوم القيامة أم لا ؟

فقد لوحظ هذا التقسيم بعد عصر الشيخين ، البخارى ومسلم ، لأول مرة — على حد معرفتى بالمصادر . وبالرغم من أن كتاب الأهوال لابن وهب قد اعتبر جزءاً من جامعه فقد رواه بعض الرواة فى إفريقية منفصلا عنـــه كجزء مستقل (٢٤) .

وتعد مجموعة الأحاديث هذه التى بين يدينا فى بردية هيدلبرج من أقدم المراجع لاهتمام القدماء بعرض الفتن فى صدر الإسلام فى أحاديث مرفوعة وفى أحاديث الصحابة رضى الله عنهم أجمعين . إن أقدم طبقة للروايات فى الفتنة يمكن إثباتها عن طريق بقايا الأحاديث المروية فى البردية عن ابن لهيعة عن أبى قبيل من ناحية ، وعن بكر بن سوادة و زيد بن أبى حبيب من ناحية أخرى . وهؤلاء الثلاثة المذكورون فى صحيفة ابن لهيعة يروون أحاديثهم عن مصادر شتى ترجع إلى القرن الأول الهجرى .

إلى هنا نكتفى بهذه النبذة القصيرة عن بعض المصادر المذكورة فى صحيفة ابن لهيعة فى رواية عثمان بن صالح ، وإلى حد معلوماتى ستنشر هذه البردية

فى المستقبل القريب على يد المستشرق الجليل الدكتور / ج. خورى ى هيدلبرج وهو كمحقق سوف يعلق على هذه الصحيفة عند نشرها وسيفيدنا بمعلومات جديدة مثمرة عنها كما تعودنا عنه فى تحقيقاته السابقة (٢٥) .



المراجع

(١) C.H.BECKER: Papyri schott —Reinhardt. Bd. I. S. 9. (Heidelberg 1906)

تاريخ التراث العربى لفؤاد سزجين ، ج ١ ، ص ٢٦٩ ، نقله إلى العربية الدكتور فهمى أبو الفضل . القاهرة ١٩٧١ . =
F.SEZGIN : Geschichte des arabischen Schrifttums. Bd. I. S. 94 (Leiden 1967)

(٢) الجرح والتعديل للرازي ، ج ٣ ، ص ١٥٤ ، رقم ٨٤٦ .

(٣) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى ، ج ٣ ، ص ٧٣ . تقريب التهذيب لابن حجر ج ١ ، ص ٢٠٩ . راجع أيضاً فؤاد سزجين، ج ١ ص ٣٤١ (الأصل) .

(٤) انظر فى كتاب الولاة وكتاب القضاة لأبى عمر محمد بن يوسف الكندى، ص ١٨٢ ، بتحقيق رفن كست ، ليدن ١٩٠٨ . راجع أيضاً كتاب الخطط للمقريزى ، ج ١ ص ١٨٠ (بولاق) .

(٥) فؤاد سزجين ، ج ١ ، ص (باللغة العربية) .

(٦) فتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكم ، ص ٢٥٤ بتحقيق تورى CH. TORREY

(٧) انظر الأحاديث فى المسند لابن حنبل ، ج ١٠ رقم ٦٥٦٣ ، ٦٥٩٤ ، ٦٦٤٥ ، ٦٦٤٦ ، ج ١٢ رقم ٧٠٥٠ ، فتوح مصر ، ص ٣٣ ، ٢٥٦ ، كتاب الفتن لنعيم بن حماد ، ورقة ١٨٨ ب (نسخة فى المتحف البريطانى ، رقم ٩٤٤٩) .

(٨) فتوح مصر ، ص ٢٦١ ، فراجع روايات بكر بن سوادة فى فتوح مصر ، ص ٢٦٠ و ٣١٧ : أما الرواية الثانية فهى محفوظة فى البردية أيضاً : ورقة ٥١ ب .

(٩) كتاب الفتن لنعيم بن حماد ، ورقة ١٨٤ ا .

(١٠) راجع ترجمته فى تهذيب التهذيب لابن حجر ، ج ٣ ، ص ٥٠

(١١) انظر معنى « غريب » على هذا النحو : علوم الحديث ومصطلحه لصبحى صالح ، ص ٢٢٦ راجع أيضاً : تهذيب التهذيب لابن حجر ج ١ ، ص ٢١١ .

(١٢) راجع ترجمته فى تهذيب التهذيب لابن حجر ، ج ٤ ، ص ١٧ .

(١٣) الجزء الرابع ، ص ٥٢٥.

(١٤) راجع ترجمته فى تهذيب التهذيب لابن حجر ، ج ٧ ، ص ٤٢٢ .

(١٥) ورقة ٥١ أ فى البردية

(١٧) راجع ملحوظة المؤلف فى المستدرك ، ج ٤ ، ص ٥٥٨ .

(١٨) تذكرة الحفاظ للذهبي ، ص ٣٠٥ ، شذرات الذهب ، ج ١ ، ص ٣٤٨ .

(١٩) ميزان الاعتدال ، ج ١ ، ص ٣٢٧ (طبعة بولاق) .

(٢٠) تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٣ ، ص ٢٠٨/٢٠٩ .

(٢١) كتاب الضعفاء والمتروكين لمحمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلى (ت ٣٢٢ هـ) ورقة ٦٧ أ ، ظاهرية ، حديث ٣٦٢ .

(٢٢) راجع مثلا المسند لابن حنبل ، ج ١٠ ، رقم ٦٦٣٤ ، ٦٦٣٥ ، ٦٦٣٦ (تحقيق أحمد محمد شاكر) .

(٢٣) وأحياناً يسمى الإسناد« معلولا » إذا روى الحديث متصلا وغم أنه منقطع أصلا .

(٢٤) انظر طبقات علماء أفريقيا لأبى العرب التميمى ، ص ١٩٦ .

(٢٥) وله ملحوظات عن هذه البردية فى Arabica ج ١٩٧٥/٢٢ ص ١٢ — ١٤ .

ص ١٢ — ١٤ وفى Heidelberger Jahrbucher ج ١٩ / ١٩٧٥ ص ٣٦ — ٣٩

مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم فى كل عصر

تأليــف
أحمد بن أبى يعقوب بن جعفــر
(اليعقوبى)

تحقيق
محمد كمـال الدين عز الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

توطئة

الحمد لله مداول الأيام بين الناس ، مالك الكون بقدرته ، ومدبره بحكمته ، يؤتى الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، وكل شيء عنده بمقدار .

أما بعد ، فهذا كتاب « مشاكلة الناس لزمانهم ، وما يغلب عليهم فى كل عصر » يخرج لأول مرة من خبايا المخطوطات ، وكم كان لعنوانه قبل الحصول عليه من تشويق إليه ، أقدم بين يديه هذا الموجز للتعريف بصاحبه : العالم المؤرخ الجغرافى أحمد بن أبى يعقوب ، مجملا ما قال العلماء فيه ، مستمداً من الله السداد فيما قصدت ، وهو جل علاه ولى الفضل ومانح التوفيق .

المؤلف :

ترجم له ياقوت فى معجم الأدباء (١) بأقل من ثمانية أسطر قال :

« أحمد بن أبى يعقوب إسحق بن جعفر بن وهب بن واضح الأخبارى العباسى . ذكره أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب المصرى الكندى المؤرخ فى تاريخ له ، ابتدأه بسنة ثمانين ومائتين قال : إن أحمد بن اسحق ابن واضح مولى بنى هاشم ، توفى سنة أربع وثمانين ومائتين . وله تصانيف كثيرة ، منها : كتاب التاريخ كبير — كتاب أسماء البلدان مجلد — وكتاب آخر فى أخبار الأمم السالفة صغير — كتاب مشاكلة الناس لزمانهم . » .

---

(١) معجم الأدباء : ٥ : ١٥٣ — ط دار المأمون .

كما ترجم له الزركلى فى الأعلام (١) مخالفاً فى تنسيق الأسماء فقال :

« أحمد بن إسحاق أبى يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبى . مؤرخ جغرافى كثير الأسفار ، من أهل بغداد ، كان جده من موالى المنصور العباسى . رحل إلى المغرب ، وأقام فى أرمينية ، ودخل الهند ، وزار الأقطار العربية ، وصنف كتباً جيدة منها : (تاريخ اليعقوبى) انتهى به إلى خلافة المعتمد على الله العباسى . وكتاب (البلدان) و(أخبار الأمم السالفة) صغير ، و(مشاكلة الناس لزمانهم) .

واختلف المؤرخون فى سنة وفاته ، فقال ياقوت : سنة (٢٨٤) ه ونقل غيره (٢٨٢) وقيل : (٢٧٨) أو بعدها ، ورجحت أخيراً رواية ناشر الطبعة الثانية من التاريخ ، إذ وجد فى كتاب (البلدان) — الصفحة (١٣١) طبعة النجف أبياتاً لليعقوبى نظمها ليلة عيد الفطرسنة (٢٩٢ ه) . ومراجع ترجمة الزركلى هى :

معجم الأدباء — ٥ : ١٥٣ ط دار المأمون ، ومقدمة تاريخ اليعقوبى — طبعة النجف ، وفتح العرب للمغرب ص ٣٠٤ ، معجم المطبوعات ١٩٤٨ ، والعرب والروم لفازيليف ص ٢٣٥ .

أما بروكلمان (٢) ، فتفيدنا ترجمته للمؤلف إلى جوانب من حياته تعنى الباحث ، منها: نشأته على التشيع ، التى لها أثرها فى اتجاهاته « وكان واضح يتشيع سراً على الرغم من صلاته الوثيقة بالعباسيين ومناصبه الرفيعة ... وقد توارثت أسرته التشيع ، فاعترف أحمد بولائه للموسوية ، وهم فرقة من الإمامية المعتدلين . » .

ومنها: ذكر بعض أعماله وكتبه : « قضى أحمد شبابه فى أرمينية ، وفى خدمة الدولة الطاهرية بخراسان ، وقد مجد أعمالها فى كتاب خاص » .

---

(١) الأعلام : ١ : ٩٠ — الطبعة الثالثة .

(٢) تاريخ الأدب العربى : ٤ : ٢٣٦ — المعارف ١٩٧٥ .

كما يرشد إلى التوقيت الذى ظهر فيه بعض كتب المؤلف :

« ويبدو أنه ألف أيضاً فى ذلك الوقت كتابه عن تاريخ العالم ، الذى وصل فيه إلى سنة ٢٥٩/ ٨٧٢ — وبعد سقوط الدولة الطاهرية ذهب إلى مصر ، وفيها كتب كتابه فى الجغرافيا سنة ٢٧٨/ ٨٩١ — ثم توفى سنة ٢٨٤/ ٨٩٧ » .

وبروكلمان لايتردد — هكذا — فى تحديد تاريخ وفاة المؤلف ، ولا فى حصر نهاية كتابه عن تاريخ العالم بسنة ٢٥٩ هـ من خلافة المعتمد على الله ، على حين امتدت حياته إلى سنة ٢٨٤هـ . وليس هذا الحصر بعيداً ، إذا نظرنا إلى اشتغال ابن يعقوب فى هذه المدة بتأليف كتاب (البلدان) غير أن ما حملنا على هذه الالتفاتة ، هو تذييل كاتب تاريخه بقوله المشكك بعد تمام النسخ .

« تم الموجود من تاريخ ابن واضح الكاتب العباسى رحمه الله تعالى وعفا عنه ، والحمد لله رب العالمين . . . » (١) .

وكان تمام نسخه هذا سنة ١٠٩٦ هـ .

وقد نظرت فى كتاب (البلدان) طبعة (ابريل ١٨٩١) والمطبوع مع المجلد السابع من (الأعلاق النفيسة) لابن رستة ، فوجدت إحدى الملحقات المنقولة عن خطط المقريزى ، وهى تتضمن بيتاً واحداً من (الخفيف) فى خبر سيق عن اليعقوبى ، وبمطابقته للمصدر ، وجدته لا يختلف عما أثبته الناشر إلا فى الإسم العلم للمؤلف ، فقد سجله المقريزى — إن لم يكن خطأ الناسخين ، « محمد بن أبى يعقوب » فصححه الناشر فى الملحقة ، وقد حاولت أن أجد فى كتب التراجم لهذا القرن اسم (محمد بن يعقوب) فلم أعثر على ذلك . وإليك الخبر مع تصحيح النسبة :

---

(١) تاريخ اليعقوبى : ٢ : ٥١٢ — دار صادر ١٩٦٠ .

« وحدث أحمد بن أبى يعقوب الكاتب قال : لما كانت ليلة عيد الفطر سنة ٢٩٢ — تذكرت ما كان فيه آل طولون ، وملونات البنود والأعلام وشهرة الثياب ، وكثرة الكراع ، وأصوات الأبواق والطبول ، فاعترتنى كذلك فكرة ، ونمت فى ليلتى فسمعت هاتفاً يقول :

ذهب الملك ، والتملك والزينة لما مضى بنوطولون . كما رأيت سبعة أبيات أخرى من (الكامل) قد نسبت إليه فى هذه الملحقات من (البلدان) وهى فى الجزء نفسه من (الخطط) ص ٦٠٧ — وهى :

إن كنت تسأل عن جلالة ملكهم ... فارتع وعج بمراتع الميدان
وانظر إلى تلك القصور وما حوت ... وامرح بزهرة ذلك البستان
وإن اعتبرت ففيه أيضاً عبرة ... تنبيك كيف تصرف العصران
يا قتل هرون اجتثت أصولهم ... وأشبت رأس أميرهم شيبان
لم يغن عنهم بأس قيس إن غدا ... فى جحفل لجب ولا غسان
وعدية البطل الكمى وخزرج ... لم ينصرا بأخيهما عدنان
زفت إلى آل النبوة والهدى ... وتمزقت عن شيعة الشيطان (١)

وهرون المذكور هو ابن خمارويه ، وشيبان وعدى هما عماه اللذان قتلاه ، كما يحكى ابن تغرى بردى (٢) ، وبقتله تبددت الدولة الطولونية على يد محمد بن سليمان ، الذى جمع آل طولون وكانوا سبعة عشر فقتلهم سنة ٢٩٢ هـ (٣) ، وبشر الخليفة المكتفى بخبر الفتح .

كما نرى فى كتاب (الولاة وكتاب القضاة) لأبى عمر محمد بن يوسف

---

(١) البلدان : ٣٠٢ — وخطط المقريزى : ١ : ٦٠٧ .

(٢) النجوم الزاهرة : ٣ : ٩٨ .

(٣) البداية والنهاية : ١١ : ٩٩ — المعارف — بيروت .

الكندى المصرى(١) ، زيادة أبيات أخرى من (الخفيف) لليعقوبى فى الموضوع ذاته وهى :

نقمة أرسلت من الشرق تهوى ... فأناخت على بنى طولونا
كيف يرجى صلاح هذى البرايا ... وابن أبا يسوس دنيا ودينا
بأبى خبة ورأى غريب ... كان يمضى شرائع الحكم فينا
ما رأينا من آل طولون إلا ... ساءه (٢) فى بطالة مرهونا

وزيادة أخرى من شعره فى الموضوع من (الكامل) (٣) .

الدار بعد تفرق الأظعان ... مسرورة بتفرق السكان
لم تبد من جون (٤) على أربابها ... إذ فى الترحل راحة الجيران
رحلوا . ! فلا نزلوا بروض مزهر ... وعداهم سبل الغمام الدانى
حرموا صبيب المزن أنى يمموا ... وتقسمتهم سطوة الرحمن
ما كان أثقلهم على كتف العلى ... وأكف أيديهم عن الإحسان
ما كان أرذل دولة سعدوا بها ... وأحقها بتهدم الأركان
ما عاشروا نعم الإله بشكرها ... فأثابهم بمثوبة الكفران
ماذا أريحت مصر منه وما إلى ... أرض العراق مضى من البهتان ؟

وليس أمامنا من الأدلة ما يرجح نسبة هذه النصوص إلى أحمد بن يعقوب على وجه التصديق أو التكذيب ، حتى نرجح أن حياته قد امتدت لما بعد انتهاء الدولة الطولونية ، التى انتهت سنة ٢٩٢ هـ ، ولكنها تفيد من وجه

(١) الولاة وكتاب القضاة : ٢٥١ – بيروت ١٩٠٨ .
(٢) لعلها (تائها) .
(٣) نفس المرجع : ٢٥٢ .
(٤) لعلها (من حزن) كما أشار المحقق .

آخر أن المؤلف كان من شعراء عصره ، وأن هذه هى نظرته النقدية لسياسة الدولة الطولونية ، التى رثاها غيره ناثراً فى إثرها الدموع والزفرات !

مكانة اليعقوبى :

يعده بروكلمان (١) جغرافياً أكثر مما يعده مؤرخاً ، لأنه سلك ترجمته فى عداد الجغرافيين ، كما نرى أنه لم يشر إلى كتاب (مشاكلة الناس لزمانهم) الذى أشار إليه غيره على ما رأيت آنفاً ، ولكنه وقف مع بيان المخطوط والمنشور من الكتابين : التاريخ والبلدان ، وضمن حديثه فكرة صغيرة عن كل منهما ، فقال عن الثانى :

« ويعتمد الكتاب على مصادر أدبية ، ومعلومات ذكرها الرحالون ، ويعنى إلى جانب الطبوغرافيا ووصف المدن الكبيرة بالجغرافيا الاقتصادية وإحصاءات الجباية » .

وعن الثانى يقول :

« فالجزء الأول — وقد ضاعت مقدمته — يبدأ فى منتصف قصة آدم ، ويليها تاريخ آباء بنى إسرائيل ، وبخاصة بعد مغارة الكنز ، وتاريخ المسيح والرسل ، وملوك السريانيين ، وآشور ، وبابل ، والهند ، واليونان ، والروم وفارس ، وشعوب الشمال حتى الترك ، وملوك الصين ، ومصر ، والبربر والحبشة ، والبجة ، والزنج ، وأخيراً تاريخ عرب الجاهلية .

أما الجزء الثانى — وهو ضعف الأول تقريباً — فقد خصص لتاريخ الإسلام ، ولا يغض من قيمته ما فيه من ميل إلى الشيعة ، ولكن لا تذكر فيه المصادر ، وهو يقتصر فيما يتعلق بالتاريخ المعاصر على ملاحظات لا تنقع غلة ، وكثيراً ما يتضخم فيه العرض التاريخى بالخطب والرسائل ، ولكنه يشتمل على كثير من المعلومات القيمة ، المستقاة من مصادر قديمة جيدة .

---

(١) تاريخ الأدب العربى : ٤ : ٢٣٦ .

ويذكر اليعقوبى بصدد كل حكم . الوضع الذى كانت عليه الأفلاك عند بدايته » .

والمصدران اللذان اعتمد عليهما بروكلمان — عدا ثقافته الخاصة بدراسة المؤلف — هما : الإرشاد لياقوت : ٢ : ١٥٦ — ودائرة المعارف الإسلامية ٤ : ١٢٤٧ .

روزنثال :

« علم التاريخ عند المسلمين » :

ومن زاوية التقدير العلمى لابن يعقوب ، نرى لمعا منثرة للعلامة (فرانز روزنثال) فى كتابه القيم (علم التاريخ عند المسلمين) إذ يقول عن دقة اليعقوبى :

« فأدق الأخبار عن تاريخ اليهود والنصارى (فيما فيهم الرومان) توجد — فيما عدا الكتب الأندلسية والغربية — عند اليعقوبى) (١) .

وفى عد كتابه فى التاريخ أحد الكتب المهمة فى تاريخ العالم يقول :

« نصادف فى أوائل القرن العاشر ثلاثة أنواع من تواريخ العالم ، كانت مسبوقة بكتاب (الأخبار الطوال) لأبى حنيفة الدينورى . . . » .

« إن أول الأنواع الثلاثة من التواريخ العالمية تاريخ اليعقوبى ، الذى فقدت من مقدمته عدة صفحات تشمل قصة الخليقة (٢) » .

وفى هذا المقام يذكر قيام دراسة اليعقوبى على أساس التعاقب الزمنى للشخصيات ، وإحلال التاريخ الثقافى محل التاريخ السياسى ، مع الرجوع إلى المصادر الأصلية بقدر توفرها لديه .

---

(١) علم التاريخ عند المسلمين : ١٣٠ .
(٢) نفسه : ١٨٤ .

« أما عن تاريخ العهد القديم والجديد ، فإنه لم يكتف بالأخبار الإسلامية ، بل رجع إلى الكتابات الأصلية ، مستعيناً ببعض الرواة ، وبذلك وصل إلى مستوى عال من الدقة . . . » .

وتعدد مصادر اليعقوبى يدفع روزنتال ليقول :

« وقد استمر يذكر قائمة للمراجع ، تكشف عن المصادر التى استخدمها حيث كانت لديه مكتبة تاريخية غنية ، لم يبق منها إلا النزر اليسير (١) » .

وأما عن سبق اليعقوبى للزمن والعلوم المستحدثة فيقول :

« فعندما كتب اليعقوبى فى القرن العاشر (يعنى الميلادى) كتاباً عنوانه « مشاكلة الناس لزمانهم » فإن المرء يستنتج منه أن فكرته عن التاريخ جاءت قريبة من الأفكار الحديثة عن التطور ، غير أنها ظلت سطحية ، ولم تنفذ إلى أعماق الفكرة الحديثة »(٢) .

ويمتدح روزنثال ابن يعقوب بعدم التوسع فى سرد الأشعار التى غصت بها كتب التاريخ الإسلامية ، كما وصف منهجه بالجودة فى اتخاذ عهود حكم الحكام مبدأً فريداً فى الترتيب (٣) ، كما لم ينس الموازنة بينه وبين المسعودى ، فى الجمع بين الجغرافيا والتاريخ ، حيث مزج المسعودى بينهما فى كتابه بأسلوب رائع ، بينما أبقى اليعقوبى كتبه الجغرافية والتاريخية منفصلا بعضها عن بعض (٤) . .

ويشيد روزنتال بتجارب اليعقوبى وسعاناته فى سبيل تحصيل معلوماته التى جاء وصفه إياها فى مقدمة كتابه (البلدان) « فكل من يقرأ المقدمة التى

---

(١) علم التاريخ عند المسلمين : ١٨٤ .

(٢) نفسه : ٢٦ .

(٣) نفسه : ٩٧ — ١٢٦

(٤) علم التاريخ عند المسلمين : ١٥١ .

كتبها اليعقوبى لكتابه الجغرافى (البلدان) لابد أن يتذكر أولئك الرحالة الباحثين عن المعرفة ، أمثال هيكاتيوس ، واهتمامهم بالشعوب والبلاد الأجنبية » (١) .

ويمتدحه بالاهتمام بالنصوص والوثائق فيقول :

« أما اليعقوبى فقد خصص فصلا خاصاً فى تاريخه لمكاتبات الرسول والخلفاء الراشدين ، والرسائل الواردة من العمال الأجانب ، وهى رسائل طريفة جدا » (٢) .

ولا شك أن هذه الدراسة النقدية الحصيفة منصفة لليعقوبى ، ورافعة لنظرة الدارسين نحوه ، دون تحيز لا يسنده دليل .

مشاكلة الناس لزمانهم :

الذى يبدو من كتابات المترجمين والنقاد ، أنهم لم يطلعوا على هذه الرسالة الصغيرة الحجم ، فحديثهم عنها بالسماع ، إذ لم يصفها أحدهم — كما صنعوا مع كتبه الأخرى — بالصغر أو الكبر أو عدد الصفحات أو المجلدات ، أو تناول شىء من المضمون ، حتى روزنتال الذى اتخذ من عنوانها استدلالا على اتجاه اليعقوبى ، الذى قارب المحدثين فى استنتاج القوانين الإجتماعية والإنسانية من مسار التاريخ .

والنسخة الموجودة فى مكتبة (مراد ملا) هى من سبع ورقات ، مسطرتها واحد وعشرون سطراً ، من القطع (١٨—١/٢ ٢٧ سم) وهى ضمن مجموعة من ٧٩ (أ) / ٨٦ (أ) وقد حررت فى القرن التاسع الهجرى بخط النسخ ، ينقصها إجادة ضبط الأعلام بالإعجام ، وعدم وضوح بعض الألفاظ ، التى لعل الناسخ لم يفهم مدلولها فرسمها على التقريب ، مما دعانا إلى مراجعة كتب التاريخ المختلفة للمؤلف وغيره ، وكثير من المراجع والمظان ،

---

(١) نفسه : ١٥٤ .

(٢) نفسه : ١٦٨ .

التى نطمئن بها على تحقيق النص ، ليكون أقرب إلى الكمال إن لم ندركه . وكان العمل فى صورته الأولى معتمداً على (الفيلم رقم ٩٢٢) الذى أخذنا صورته من معهد المخطوطات ، مسترشدين بالجزء الثانى من الفهرس التاريخى ، ونسأل الله أن يلهمنا السداد فيما توليناه .

موضوع الكتاب

بين الفكر والتطبيق :

يبدو من استهلال المخطوطة أنها مسبوقة بكلام مفقود — كما سترى — ولكنها بحالها تدور على محور هو عنوان الكتاب ، حيث يصور العنوان الفكرة ، ويمثل الكتاب التطبيق .

والفكرة ناتجة عن استقراء للمعتاد من التبعية بالتقليد ، يسرع بها العامة للخاصة ، فى جميع العصور والأقطار .

والتقليد من غرائز الإنسان المبكرة منذ الطفولة ، وهو وسيلة أولية من وسائل اكتساب المهارات والمعارف ، دون تفريق — أو بتفريق — بين الضار والنافع ، إذ يقلد الإنسان أحياناً فيما يجره نحو حتفه .

والحامل على التقليد الاستهواء ، أو تقدير المنفعة ، أو حب إظهار القدرة ، أو النفاق على وجه التقية أو المجاملة . . .

وكما تسم البيئة الطبيعية نباتها وحيوانها بميسمها ، فنرى نبات الصحراء وحيوان الصحراء يختلف فى مميزاته عن الحيوان والنبات فى المروج الخضراء وشواطىء الأنهار والغدران — تسم البيئة الاجتماعية أبناءها بالغالب عليها من طرق العيش واكتساب المظاهر فى إطارها الجامع ، فلا يفلت من هذا الانطباع إلا العاجز بسبب من أسباب العجز ، أو الرافض لما عليه المجتمع ، لأنه ذو نزعة سلوكية مثلها الأعلى غير متربع على العرش فى زمن رفضه .

وكما يتخذ الأطفال من الأهل والأساتذة نماذج عليا يقلدون ما يستهوى

عقولهم منها ، فإن الشعوب مع الملوك والرؤساء كالأطفال مع الآباء فى ذلك التقليد . ولهذا يكون من واجب الكبارلله ، ثم للأمة والتاريخ ، أن تكون مظاهر حياتهم وسلوكهم على النهج المرضى ، حتى لا ينحدروا بالتابعين والرعايا المقلدين عن مستوى النبلاء الناهضين ، الذين يقدرون حرمة الدين والإنسان والحيـــاة .

لهذا شددت رسالة الإسلام على ضمير الراعى ليعرف قيمة التبعة ، وليعلم أنه مسئول أمام الله عن رعيته حفظ أم ضيع ، وأعظمت الجزاء لمن سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، ولمن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة .

هذه الحقيقة الثابتة بالاستقراء « مشاكلة الناس لزمانهم » وعلى رأس الزمان السادة من ملوك وحكام ، مثل لها اليعقوبى فى فترة من عمر البشر ، وفى قطاع من التاريخ الإسلامى ، يبدأ بخلفاء الإسلام وأولهم (أبو بكر الصديق رضى الله عنه) وينتهى بالخليفة (المعتضد) الذى ولى الخلافة سنة ٢٧٩ هـ ، وهو آخر الخلفاء فى حياة المؤلف ، إذا صح أن وفاة اليعقوبى كانت سنة ٢٨٤ هـ فقد توفى المعتضد سنة ٢٨٩ هـ .

أثبت المؤلف على مد هذه الفترة ، تطبيق المثال على الحقيقة ، من مشابهةالناس للحاكم ، واقتدائهم به فى الظواهر العامة للسلوك .

هذه الظاهرة أو الحقيقة الاجتماعية فى تاريخ البشر ، لا ينفرد اليعقوبى بالحديث عنها ، إذ هى تفصيل فى كتابه لما أجمل قبله فى قولهم : الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم .

وقولهم : الناس على دين ملوكهم . وقد نلمح مغزى هذه الظاهرة فى القول الشائع :

إذا كان رب البيت بالدف ضارباً   فشيمة أهل البيت كلهم الرقص

وممن تحدث فى المعنى دون تفصيل ، ابن طباطبا العلوى فى كتابه

(تاريخ الدول الإسلامية) حيث يقول فى خواص الملوك :

« واعلم أن للملك أموراً تخصه ، يتميز بها عن السوقة ، فمنها أنه إذا أحب شيئاً أحبه الناس ، وإذا أبغض شيئاً أبغضه الناس ، وإذا لهج بشىء لهج به الناس ، إما طبعاً أو تطبعاً ، ليتقربوا بذلك إلى قلبه ، ولذلك قيل : الناس على دين ملوكهم . فانظر كيف كان زى الناس فى زمن الخلفاء ، فلما ملكت هذه الدولة ، ، وأسبغ الله إحسانها ، وأعلى شأنها ، غير الناس زيهم فى جميع الأشياء ، ودخلوا فى زى ملوكهم بالنطق ، واللباس ، والآلات والرسوم ، والآداب ، من غير أن يكلفوهم ذلك أو يأمروهم به ، أو ينهوهم عنه . ولكنهم علموا أن زيهم الأول مستهجن فى نظرهم ، مناف لاختيارهم ، فتقربوا إليهم بزيهم ، وما زال الملوك فى كل زمان يختارون زياً وفناً فيميل الناس إليه ، ويلهجون به ، وهذا من خواص الدولة وأسرار الملك(١) »

والثعالبى فى كتابه (الغرر فى سير ملوك الفرس) يذكر مقتطفات من كتاب « البدء والتاريخ » للمطهر ، عن أديان الهنود وعاداتهم وقوانينهم فيقول :

« إن الكلام على هذه الأمور هو كالكلام على ملوكهم ، لأن الناس على دين ملوكهم ، وخاصة الهنود ، الذين يضحون بأنفسهم من أجل إعلاء ملوكهم . . . » (٢) .

كما كتب ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) فصله الثالث والعشرين من مقدمته « فى أن المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب : فى شعاره ، وزيه ، ونحلته ، وسائر أحواله وعوائده » (٣) .

---

(١) تاريخ الدول الإسلامية : ٢٦ .

(٢) علم التاريخ عند المسلمين : ١٣١ عن مخطوطة الغرر ٢٤٧ — باريس .

(٣) مقدمة ابن خلدون : ١٤٧ .

« والسبب فى ذلك أن النفس أبداً تعتقد الكمال فى من غلبها وانقادت إليه ، إما لنظره بالكمال بما وفر عندها من تعظيمه ، أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعى ، إنما هو لكمال الغالب ، فإذا غالطت بذلك واتصل لها اعتقاداً فانتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبهت به ، وذلك هو الاقتداء . أو لما تراه — والله أعلم — من أن غلب الغالب لها ليس بعصبية ولا قوة بأس ، وإنما هو بما انتحلته من العوائد والمذاهب ، تغالط أيضاً بذلك عن الغلب ، وهذا راجع للأول .

ولذلك ترى المغلوب يتشبه أبداً بالغالب فى ملبسه ، ومركبه ، وسلاحه ، فى اتخاذها وأشكالها ، بل وفى سائر أحواله . .

وانظر فى الأبنـــاء مع آبائهم : كيف نجدهم متشبهين بهم دائماً ، وما ذلك إلا لاعتقادهم الكمال فيهم ، وانظر إلى كل قطر من الأقطار : كيف يغلب على أهله زى الحامية وجند السلطان فى الأكثر ، لأنهم الغالبون لهم ، حتى إنه إذا كانت أمة تجاور أخرى ولها الغلب عليها ، فيسرى إليهم من هذا التشبه والاقتداء حظ كبير ، كما هو فى الأندلس لهذا العهـــد مع أمم الجلالقة ، فإنك تجدهم يتشبهون بهم فى ملابسهم وشاراتهم ، والكثير من عوائدهم وأحوالهم ، حتى فى رسم التماثيل فى الجدران والمصانع والبيوت ، حتى لقد يستشعر من ذلك الناظر بعين الحكمة أنه من علامات الاستيلاء والأمر لله . وتأمل فى هذا سر قولهم : العامة على دين الملك ، فإنه من بابه ، إذ الملك غالب لمن تحت يده ، والرعية مقتدون به ، لاعتقاد الكمال فيه ، اعتقاد الأبناء بآبائهم ، والمتعلمين بمعلميهم . . . » .

خصوصية الملك :

غير أن للملوك مع هذا نزعة حب التفرد ببعض المزايا ، التى لا يحبون المشاركة فيها ، لأنهم يرون فى مشاركتهم انتقاصاً لعظمتهم ، كما يشير

الجاحظ (ت٢٥٥ هـ) إذ يقول : (١) .

« فأما كل ما أمكن الملك أن ينفرد به دون خاصته وحامته ، فمن أخلاقه أن لا يشارك أحداً فيه . وكذا حكى عن أنو شروان ومعاوية بن أبي سفيان . وبعض أهل العلم يحكى عن الرشيد ما يقرب من هذا . » .

« ألا ترى أن الأمم الماضية من الملوك لم يكن شيء أحب إليهم من أن يفعلوا شيئاً تعجز عنه الرعية ، أو يتزيوا بزى ينهون الرعية عن مثله ؟ » .

فمن ذلك أردشير بن بابك ، وكان أنبل ملوك بني ساسان . كان إذا وضع التاج على رأسه لم يضع أحد فى المملكة على رأسه قضيب ريحان متشبهاً به ، وكان إذا ركب فى لبسه لم ير على أحد مثلها ، وإذا تختم بخاتم فحرام على أهل المملكة أن يتختموا بمثل ذلك الفص وإن بعد فى التشابه .

. . . وطاعة أهل المملكة أن تتحامى أكثر زى الملك ، وأكثر أحواله وشيمه ، حتى لا يأتى مالابد لها منه .

وهذا أبو أحيحة سعيد بن العاص فى مكة ، كان إذا اعتم بمكة لم يعتم أحد بعمة ما دامت على رأسه .

وهذا الحجاج بن يوسف كان إذا وضع على رأسه طويلة لم يجترىء أحد من خلق الله أن يدخل وعلى رأسه مثلها . . . » .

« ومن قصد إلى أن يشرك الملك فى شيء يجد عنه مندوحة ومنه بدا بالمهل المبسوطة والأيام المحدودة ، عاص مفارق للشريعة (٢) » إلا أننا إلى يوم الناس هذا ، ، نجد الصورة العامة التى رسمها اليعقوبى لتلك المتابعة ، فالدولةالتى ينضبط سلوك حكامها علىسنن الشريعة والقانون ، تقود شعبها فى استقامة وحزم ، والتى يصيبها فى السادة التحلل والغفلة ، يصيبها فى شعبها

(١) التاج المنسوب للجاحظ : ٥٥ — وقد نقل الأبشيهى كلامه دون نسبته فى (المستطرف : ١ : ١٠٨) .

(٢) التـاج : ٩٤ .

ما أصاب السادة من غيبوبة عن الهدى ، فترتدى ألف زى من الأخلاق واللباس والمعاملة . وإذ غاب العرب على البلاد المفتوحة رأينا زى العرب ولغة العرب تسود المغلوب ، وإذ غلب الأتراك رأينا مظهر الأتراك يسود سواد الحياة فى الزى والمراسم والعادات ، وقد شهدنا بعض الملوك يعفى لحيته لعلة في البشرة ، فيسرى إعفاء اللحى فى شعبه بما لم يفعله وازع العقيدة . وإلى عهد قريب كان الدخول من المرءوس على الرئيس بلا (طربوش) جناية وقحة ، ومن عهد قريب عريت عنه رءوس الحكام فعريت رءوس الأتباع .

تلك هى الفكرة لكتاب اليعقوبى وهذا هو التطبيق .

عملنا فى الكتاب :

لم نعثر للكتاب على مخطوطة أخرى ، فعمدنا إلى كتب التاريخ ، والتراجم ، والبلدان ، واللغة ، نصوب منها ما يعوزه التصويب ، وقد حصلنا بذلك على صورة إن لم تكن الأصل فى كلمة منها فهى لا تفارقه كثيراً ، وقد رأينا زيادة التفسير والتكميل أمراً لازماً لتمام الفائدة فذيلنا بهوامش أكثرها منقول منسوب ، ولم نجد غنى عن التعريف بالمؤلف الذى لم تطل التراجم حديثها عنه ، فحررنا هذا التقديم للتعريف به ، وبيان منزلته ، وكان ختام التقديم هذه الدراسة المتممة لفكرة « مشاكلة الناس لزمانهم » حتى يتضح الموضوع بصورة أكبر ، وبالله التوفيق ومنه العون والسداد .

المحقق

بسم الله الرحمن الرحيـــم

وصلى الله على نبيـه . .

كتـــاب

مشاكلة الناس لزمانهم ، وما يغلب عليهم فى كل عصـــر

قال الشيخ الإمام الحافظ العلامة أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح رحمه الله :

فأما الخلفاء وملوك الإسلام ، فإن المسلمين فى كل عصر تبع للخليفة ، يسلكون سبيله ، ويذهبون مذاهبه ، ويعملون على قدر ما يرون منه ، ولا يخرجون عن أخلاقه وأفعاله وأقواله .

أبو بكـــر :

فكان أبو بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) أزهد الناس ، وأشدهم تواضعاً وتقللا فى لباسه ، وكان يلبس (٢) — وهو خليفة — الشملة

---

(١) كانت بيعته رضى الله عنه يوم الإثنين ، لليلتين خلتا من ربيع الأول سنة ١١ هـ (تاريخ اليعقوبى : ٢ : ١٢٧) .

(٢) من قوله عندما حضرته الوفاة : « أما إنا منذ ولينا أمر المسلمين لم نأكل لهم ديناراً ولا درهماً ، ولكنا قد أكلنا من جريش طعامهم فى بطوننا ، ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا . . . » (طبقات ابن سعد : ١٣٩) .

قال ابن طباطبا — والأمر كما قال — : « فأما خلافة الأربعة الأول . . . فإنها كانت أشبه بالرتب الدينية من الرتب الدنيوية فى جميع الأشياء كان أحدهم لبس الثوب من الكرباس الغليظ ، وفى رجله نعلان من ليف ، وحمائل سيفه ليف ، ويمشى فى الأسواق كبعض الرعية . . . وكانوا يعدون هذا من الدين الذى بعث به النبى صلوات الله عليه وسلامه » (تاريخ الدول الإسلامية : ٢٩) .

والعباءة . وقدمت عليه أشراف العرب وملوك اليمن وعليهم التيجان وبرود الوشى والحبر ، فلما رأى القوم تواضعه ولباسه نزعوا ما كان عليهم ، وذهبوا مذهبه ، واقتفوا أثره .

وكان ذو الكلاع ملك حمير فيمن قدم على أبى بكر فى عشيرته وقومه وعليه التاج ، وكان له عشرة ألف عبد خولا فى مخاليفه ، فلما رأى لباس أبى بكر قال : ما ينبغى أن نفعل بخلاف ما عليه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزع لباسه الأول ، وتشبه بأبى بكر ، حتى إنه رئى فى سوق المدينة يحمل جلد شاة على قفاه ، فقالت له عشيرته وقومه : فضحتنا ! أنت سيدنا ! تحمل جلد شاة بين المهاجرين والأنصار ؟ .

قال : فأردتم منى أن أكون جباراً فى الجاهلية جباراً فى الإسلام ؟ .

وكان الأشعث بن قيس ملك كندة يلبس التاج ، ويحيا بتحية الملوك فلما أسلم بعد ارتداده وزوجه أبو بكر أخته أم فروة بنت أبى قحافة (١) ، تواضع بعد التكبر ، وتذلل بعد التجبر ، حتى كان يشد عليه شملة خلقة ، ثم يهنأ البعير بيده ، تشبهاً بأبى بكر ، واطراحاً للأخلاق التى كان عليها فى الجاهلية .

وكان أبو بكر رحمه الله ، لا يحمل أحداً من الأشراف على التجاوز ، حتى إنه بلغه عن أبى سفيان بن حرب أمر يكرهه ، فدعا به ، فجعل يصيح عليه وأبو سفيان يتذلل له ، ويتواضع بين يديه ، وأقبل أبو قحافة يقوده قائده — وكان قد عمى — فسمع صياح أبى بكر ، فقال لقائده : على من يصيح أبو بكر ؟ قال : على أبى سفيان بن حرب ، قال : أبا عتيق ! أعلى أبى سفيان ترفع صوتك ؟ لقد تعديت طورك ! فقال : يا أبت إن الله قد رفع بالإسلام قوماً ووضع آخرين ! .

---

(١) كان الأشعث قد ارتد فيمن ارتد ، فلما حصر طلب الصلح والأمان لعشيرته ، فمن عليه أبو بكر وقد جيء به موثقا وأطلقه ، وزوجه أم فروة أخته .

٢ : ١٣٢ — تاريخ اليعقوبى .

عمـــر :

وكان عمر بن الخطاب (١) رحمه الله — مع تواضعه وخشونة ملبسه ومطعمه — شديداً فى ذات الله ، فكان عماله وسائر من يحضره أو يغيب عنه يتشبهون [به (٢) ولا يفارق أحد مذهبه] (٣) (من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان يلبس الجبة الصوف ، ويشتمل بالعباءة ، ويهنأ (٤) البعير ، ويحمل قربة (٥) الماء على ظهره لأهله ، وكان العامل من عماله وهم أمراء الأمصار — وقد فتح الله عليهم ، رخولهم ، ومكن لهم ، وأغناهم ، وكفاهم (٦) يتحفون (٧) ، ويخلعون النعال ويلبسون الخفاف ، ويلبسون غلاظ الثياب ، وإذا قدموا عليه قدموا شعثا ، غبراً ، غلاظاً ثيابهم ، شحبة ألوانهم . فإن رآهم ، أو بلغه عنهم غير ذلك أنكره عليهم . وكان ركوبهم الإبل أكثر من ركوبهم للخيل على التشبه بعمر ، وسلوك فعله ، وما كانوا عليه على عهــد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إنه رئى على أبى عبيدة بن الجراح — وهو أمير الشام وقد فتحها الله عليه — جبة صوف قد تغيرت رائحتها ، فقال

---

(١) ولى عمر رضى الله عنه الخلافة لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة ، وقيل : لسبع بقين منها سنة ١٣ هـ (٢ : ١٣٩ — اليعقوبى) .

وحسبه من خشونة ملبسه ما أخبر به أنس : لقد رأيت بين كتفى عمر أربع رقاع فى قميص له ، وما ذكره أبو محصن الطائى : رئى على عمر بن الخطاب وهو يصلى إزار فيه رقاع بعضها من أدم وهو أمير المؤمنين . (٧ : ٢٣٧ — ٣ — الطبقات)

أما عيشه ، فعن الحسن قال : كلموا حفصة أن تكلم أباها أن يلين من عيشه شيئاً ، فقالت : يا أبتاه ، أو يا أمير المؤمنين ، إن قومك كلمونى أن تلين من عيشك : فقال : غششت أباك ونصحت لقومك . (السابق ١٩٩ : ٦) .

(٢) و (٣) ما بين الحاصرتين مزيد .

(٣) يطلى البعير بالهناء وهو القطران ليبرأ من جربه .

(٤) فى الأصل : القربة الماء .

(٥) فى الأصل : وأكفاهم .

(٦) يمشون حفاة عن قصد منهم .

أبو عبيدة : لقد جلست إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما هو أشد رائحة من هذا فما أذكره .(١) .

وكان سلمان الفارسي عامل عمر بن الخطاب على المدائن ، وكان يلبس غليظ الثياب ، ويركب الحمارة ببرذعة مرسنة بحبل (٢) ليف . وحضرته الوفاة ، فأتاه سعد بن أبي وقاص فقال له : أوصني يا أبا عبدالله ! فقال : نعم . اذكر الله عند همك إذا هممت ، وعند لسانك إذا حكمت(٣)، وعند يدك إذا قسمت ! وجعل سلمان يبكي ! فقال له : يا أبا عبدالله ، ما يبكيك؟ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم [يقول] : (٤) « إن في الآخرة عقبة لا يقطعها إلا المخفون ! » وأرى هذه الأساور حولي ! فنظر نا فما رأينا في بيته إلا إداوة ، أو ركوة ، أو قدراً ، أو مطهرة (٥) .

وولى عمر بن الخطاب عمير بن سعد الأنصارى جند حمص ، فأقام حولا ثم انصرف على حمله ، على الحال التي مضى من عند عمر بها (٦) ، فقال عمر : ويح قوم وليت عليهم ما عرفوا لك حقاً ! أو كما قال .

---

(١) الحق أن الإسلام لم يفرض هذا الزهد البالغ فى طيبات الحياة من الحلال على أحد ، وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم – وهو إمام الأمة وهاديها إلى الحق – أطيب الناس جسما وثوباً ، وكان يرى وبيص الطيب فى مفرقه . وإنما هى شدة الخوف من الدنيا وشدة الرجاء فى نعيم الآخرة ، قد صرفت الهمم عما أحل لها ، لا تحريماً لما أحل الله ، بل تواضعاً لجلاله ورجاء لما عنده ، وحسب أبى عبيدة إشفاقاً من الدنيا على شدة بلائه أن يقول : وددت أنى كبش فذبحنى أهلى فأكلوا لحمى وحسوا مرقى ! رضى الله عن أمين هذه الأمة أبى عبيدة بن الجراح .

(٢) فى طبقات ابن سعد « حدثنا أبو المليح عن حبيب بن أبى مرزوق عن هريم قال : رأيت سلمان الفارسى على حمار عرى ، وعليه قيص سنبلانى قصير ضيق الأسفل – وكان رجلا طويل الساقين كثير الشعر ، وقد ارتفع القميص حتى بلغ قريباً من ركبته . قال : ورأيت الصبيان يحضرون خلفه ، فقلت : ألا تنحون عن الأمير ؟ فقال : دعهم فإنما الخير والشر فيما بعد اليوم » (٢ : ٦٢ – الجزء الرابع – طبقات ابن سعد) .

(٣) فى الأصل (حكت) .

(٤) مزيد .

(٥) الإداوة بالكسر : المطهرة (القاموس المحيط) والركوة لعلها حوض أو حفرة لتلقى الماء .

(٦) فى الأصل « على الحال التى مضى عليها من عند عمر بها » .

عثمــــان :

وكان عثمان بن عفان (١) رحمه الله فى السماحة ، والجود ، وصلة الأرحام ورفع القرابة ، واتخاذ المال ، على ما كان عليه ، فامتثل الناس فعله ، فبنى عثمان داره بالمدينة ، وأنفق عليها مالا جليلا ، وشيدها بالحجارة ، وجعل على أبوابه مصاريع الساج ، واتخذ أموالا بالمدينة وعيوناً وإبلا (٢) .

قال عبدالله بن عتبة : كان لعثمان بن عفان يوم مات عند خازنه مائة ألف وخمسون ألف دينار ، وألف ألف درهم ، وكانت ضياعه بئر أريس ، وخيبر ، ووادى القرى ، قيمته (٣) ألف دينار وخلف خيلا وإبلا .

وفى أيام عثمان اتخذ أصحاب (٤) رسول الله صلى الله عليه وسلم الأموال ، وبنوا الدور ، فبنى الزبير بن العوام داره المشهورة بالبصرة ، وفيها الأسواق والتجارات ، وبنى الزبير أيضاً داراً بالكوفة . وداراً بمصر ، وداراً بالإسكندرية ، وبلغ ثمن مال الزبير خمسين ألف دينار ، وترك ألف فرس ، وألف مملوك ، وخططا بمصر ، والإسكندرية ، والكوفة ، والبصرة .

وبنى طلحة بن عبيد الله دوراً ، وعقارات ، قومت بمائة ألف دينار ، وكانت غلته بالعراق فى كل يوم ألف واف ، وغلته بالشام عشرة آلاف دينار ، وبنى داره بالجص والآجر والساج ، وترك من الذهب والفضة مالا جليلا .

---

(١) كانت ولاية عثمان رضى الله عنه يوم الإثنين مستهل المحرم سنة ٢٤ هـ (٢ : ١٦٢ — اليعقوبى) .

(٢) عن عبيدالله بن دارة : كان عثمان رجلا تاجراً فى الجاهلية والإسلام ، وكان يدفع ماله قراضاً . وعن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه : أن عثمان دفع إليه مالا مضاربة على النصف » (٢ : ٤١ جـ ٣ الطبقات) فلا عجب أن يصنع عثمان رضى الله عنه ما صنع ، والله تعالى لم يحرم الكسب الحلال والاستمتاع بالطيبات من الرزق مع أداء حقه تعالى منها .

(٣) لعلــه (قيمتها) .

(٤) يعنى أغنياء الصحابة لا جميعهم .

وبنى عبد الرحمن بن عوف داره فوسعها ، وكان له ألف بعير ، وعشرة آلاف شاة ، ومائة فرس ، وبلغ ربع ثمن ماله أربعة وثمانين ألف دينار .

وبنى سعد بن أبي وقاص داره بالعقيق (١) فشيدها ، وجعل لها شرفات . قال سعيد بن المسيب : وترك زيد بن ثابت من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفئوس ، ومالا وضياعاً ، وعيوناً ، مبلغها مائة ألف وخمسون (٢) ألف (دينار) .

وترك يعلى بن منية التيمي خمسمائة ألف دينار ، وعقارات ، وضياعاً ، وديوناً بقيمة ثلاثمائة دينار .

وبنى المقداد قصره بالجرف (٣) باللبن ، وجصص باطنه وظاهره ، وجعل له شرفات ، ولم يفعل هذا أحد من الناس (٤) على عهد عمر ، وإنما فعلوه بعده .

علي :

وكان علي بن أبي طالب عليه السلام مشغلا أيامه كلها بالحرب ، إلا أنه لم يلبس ثوباً جديداً ، ولم يتخذ ضيعة ، ولم يعقد على مال إلا ما كان له بينبع ، و(٥) . . . . . فما تصدق به ، وحفظ الناس عنه الخطب ، فإنه خطب بأربعمائة خطبة حفظت عنه ، وهي التي تدور بين الناس ، ويستعملونها في خطبهم وكلامهم .

---

(١) العقيق : من أعظم وديان المدينة (٢٦ : آكام المرجان) .

(٢) في الأصل : (وخمسين)

(٣) قرب المدينة .

(٤) في الأصل : « ولم يفعل أحد هذا من الناس هذا » .

(٥) كلمة مبهمة ، ولعل ما في موضع النقط (وادى القرى والأذينة ورعد) وقد ذكر المسعودي أن تركته كانت سبعمائة درهم بقيت من عطائه أراد أن يشترى بها خادماً لأهله . وقيل : ترك لأهله مائتين وخمسين درهماً ومصحفه وسيفه .

ص ٦٠٩ — المجلد الأول طبعة التحرير سنة ١٩٦٦ بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد .

على أنه (رضى الله عنه) جعل ما كان له في ينبع وغيرها صدقة جارية كما ورد في وصيته التي ذكرها عبد الرازق في مصنفه (١٠ / ٣٧٤) .

خلفاء بنى أمية

معـــاوية :

وكان معاوية بن أبي سفيان (١) ، فبنى القصور ، وشيد الدور ، وعلى الستور ، واتخذ الحرس ، واتخذ الشرطة ، وأقام الحجاب ، وبنى المقاصير فى المساجد ، وركب الدواب الهماليج بالسروج (٢) المصففة ، ولبس الخز والوشى ، واتخذ الصوافى (٣) والضياع ، وعمل له الطراز (٤) باليمن ، وبمصر والإسكندرية ، والرها . فاتخذ أهله ، وولده ، وعماله ما اتخذ ، وفعلوا مثل ما فعل ، فبنى عمرو بن العاص داره بمصر ، واتخذ لنفسه الضياع ، وغرس فى ضيعته التى يقال لها : الوهط (٥) بالطائف ألف ألف عود كرم ، فكانت غلته عشرة آلاف ألف درهم . وخلف عمرو يوم مات ثلاثمائة ألف دينار ، وقال لما حضرته الوفاة : ياليتها كانت مائة ألف دينار (٦) .

---

(١) بويع معاوية فى الكوفة سنة ٤٠ هـ فى شهر ذى القعدة .

(٢) لعله (المفضضة) والهماليج من الهملجة لفظ فارسى معرب يدل على الفراعنة .

(٣) لما ولى معاوية عبدالله بن دراج خراج العراق ، طلب أن يحمل إليه من مالها ما يستعين به ، فأخبره أنه كان لكسرى وآل كسرى صوافى يجتبون مالها لأنفسهم ، ولا تجرى مجرى الخراج ، فكتب إليه ليحصيها ويستصفيها له ، ويضرب عليها المسنيات ، فبلغت جبايتها خمسين ألف ألف درهم من أرض الكوفة وسوادها ، وكذلك فعل بالشام والجزيرة واليمن . (٢ : ٢١٨ — اليعقوبى) .

(٤) الطراز بالكسر : علم الثوب معرب ، وطرزه تطريزاً أعلمه فتطرز . . . والنمط ثوب نسج للسلطان . (٢ : ١٨٠ — القاموس المحيط) .

(٥) فى القاموس : ٢ : ٣٩٢ — والوهط . . . مال لعمرو بن العاص بالطائف على ثلاثة أميال من وج ، كان يعرش على ألف ألف خشبة ، شراء كل خشبة درهم .

وقال القزوينى فى أخبار الطائف : وبها كرم الوهط : كرم كان لعمرو بن العاص معروشاً على ألف ألف خشبة شرى كل خشبة درهم . . .

(٩٨ : آثار البلاد وأخبار العباد)

وقد ورد ذكر (الوهط) فى وصيته التى ذكرها عبد الرزاق فى مصنفه ص ٣٧٧ من الجزء العاشر .

(٦) حين شارف عمرو الوفاة « نظر إلى ماله فرأى كثرته ، فقال : ياليته كان بعرا : يا ليتنى مت قبل هذا اليوم بثلاثين سنة ! أصلحت لمعاوية دنياه وأفسدت دينى ! آثرت دنياى وتركت آخرتى ! عمى على رشدى حتى حضرنى أجلى ! كأنى بمعاوية قد حوى مالى وأساء فيكم خلافتى ! » (٢ : ٢٢٢ — اليعقوبى) .

وفعل عبد الله بن عامر بن كريز عامل معاوية بالبصرة مثل ذلك : فحفر الأنهار ، وشيد الدور ، وبنى القصور ، واتخذ الضياع ، والأموال والأخبية بالبصرة ، وبمكة ، والطائف .

وفعل زياد عامل معاوية على العراق ذلك بالكوفة ، والبصرة ، وسائر العراق ، واتخذ الضياع ، وبنى وشيد البنيان ، وخلف زياد يوم مات ستة آلاف ألف دينار ، فأخذها معاوية . وهكذا كان معاوية يقول لعماله ، وربما شاطر ورثته . .

وفعل مسلمة بن مخلد عامل معاوية على مصر مثل ذلك ، فاتخذ ضياعاً بمصر وقفها على قومه ، وخلف يوم مات ألف دينار ، وألف ألف درهم .

وفعل عقبة بن عامر الجهنى ، وكان عامل معاوية على مصر ، ضياعاً بمصر ، وحبس بعضها ، وبنى داراً بمصر بالحجارة والجص ، وخلف ثلاثين ألف دينار وسبعمائة ألف درهم .

وباع حويطب بن عبد العزى داراً من معاوية بأربعين ألف دينار ، فقيل له : يا أبا محمد ، أربعون ألفا ؟ فقال : ما أربعون ألف دينار لرجل عليه ستة من العيال ؟ .

وكان معاوية يقول : أنا فتقت الملك .

يزيد بن معاوية :

وكان يزيد (١) بن معاوية صاحب طرد ، وجوارح ، وكلاب ، ولهو ، ومنادمة على الشراب . فغلب ذلك على أصحابه ، وفى عصره ظهر الغناء بمكة والمدينة ، واستعملت الملاهى ، وأظهر الأشراف الشراب .

---

(١) بويع مستهل رجب سنة ٦٠ هـ (٢ : ٢٤١ — اليعقوبى) وكان أشد الناس كلفـاً بالصيد لا يزال لاهياً به ، وكان يلبس كلاب الصيد الأساور من الذهب ، والجلال المنسوجة منه ، ويهب لكل كلب عبداً يخدمه (٥٥ : تاريخ الدول الإسلامية) وكان موفر الرغبة فى اللهو والقنص والخمر والنساء والشعر (١١٣ : نفسه) .

عبد الملك بن مروان :

ثم كان عبد الملك بن مروان (١) ، فكان صارماً ، حازماً ، بخيلا ، يحب الشعر والفخر ، والتقريظ والمدح ، وكان فى عصره فحول الشعراء : جرير ، والفرزدق ، والأخطل ، وغيرهم . وكثر الشعر فى أيام عبدالملك ، وامتدحت الشعراء الأمراء والأشراف وطلبت الثواب .

وكان لعبد الملك إقدام على الدماء ومعاجلة ، فكان عماله على مثل مذهبه : الحجاج بالعراق ، والمهلب بخراسان ، وهشام بن اسماعيل المخزومى بالمدينة ، وعبد الله بن عبدالملك بمصر ، وموسى بن نصير اللخمى بالمغرب ، ومحمد بن يوسف الثقفى أخو الحجاج باليمن ، ومحمد بن مروان بالجزيرة والموصل . وكلهم جائر ، ظالم ، غشوم ، عسوف ! وكان الحجاج من أظلمهم وأقدمهم على الدماء .

الوليــــد :

وكان الوليد(٢) بن عبد الملك جباراً ، عنيداً ، ظلوماً . وكان عماله فى جميع البلدان على مثل مذهبه ، فكان عمر بن عبد العزيز يقول : الوليد بالشام ، والحجاج بالعراق ، وعثمان بن حيان بالحجاز ، ومحمد بن يوسف باليمن ، وقرة بن شريك بمصر ، وموسى بن نصير بإفريقية ؟ امتلأت الأرض جورا ! .

ولم نعرف من مذهب الوليد بنى الأبناء المساجد (٣) ، فإنه بنى مسجد دمشق .

---

(١) ملك فى رمضان سنة ٦٥ هـ (٢ : ٢٦٩ — اليعقوبى) كان قبل الخلافة من فقهاء المدينة ، ويسمى حمامة المسجد لمداومة قراءة القرآن ، فلما استخلف انقلب ملكاً جباراً ، يدبر ملكه ودنياه : سلط الحجاج بن يوسف على الناس ، وغزا الكعبة ، وقتل عبدالله بن الزبير وأخاه مصعباً قبله (١٢٢ : تاريخ الدول الإسلامية) .

(٢) ولى الوليد للنصف من شوال سنة ٨٦ هـ .

(٣) يخالف هذا قول ابن طباطبا : « وكان شديد الكلف بالعمارات والأبنية واتخاذ المصانع والضياع وكان الناس يلتقون فى زمانه فيسأل بعضهم بعضاً عن الأبنية والعمارات »

(١٢٧ : تاريخ الدول الإسلامية)

سليمان بن عبدالملك :

ثم كان سليمان بن عبد الملك بن مروان (١) ، فكان صاحب طعام ، وأكل كثير يتجاوز المقدار ، ولباس الثياب الرقاق ، وثياب الوشى : جبابا ، وأردية ، وسراويلات ، وعمائم ، وقلانس ، فكان لا يدخل أحد من أهل بيته عليه إلا فى الوشى . وكذلك عماله ، وأصحابه ، وخدمه ، ومن فى داره . وكان لباسه فى ركوبه ، وجلوسه ، وعلى المنبر . وكان لا يدخل إليه أحد من خدمه إلا فى الوشى حتى الطباخ ، فإنه كان يدخل إليه فى جبة وشي وطولة وشي .

عمر بن عبد العزيز :

ثم كان عمر بن عبد العزيز بن مروان (٢) ، فولى بتواضع ، ونسك ، وزهد ، ودين ، وتقريب لأهل الفضل ، فعزل عمال الوليد ، واستعمل أصلح من قدر عليه ، فكان عماله يذهبون مذهبه ، وارتفع عن الناس ما كانوا فيه من الجور والظلم ، ، وترك لعن على بن أبى طالب — عليه السلام — على المنابر ، وجعل مكانه : (اللهم اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم) (٣) فاستعمل الناس ذلك فى الخطبة إلى هذه الغاية .

---

(١) ولى للنصف من جمادى الأولى سنة ٩٦ هـ . كانت أيامه ذات فتوح متوالية ، وكان غيوراً شديد الغيرة ، وكان نهماً : فيقال : إن الطباخ كان يأتيه بالشواء فلا يصبر حتى يبرد ، فيأخذه بكمه . وقد أهدى الرشيد إحدى جباب سليمان الملوثة الأكام بالدهن للاصمعى حين حدثه الأصمعى بخبره ، وكان الرشيد يظنه أثر طيب . (١٢٨ : تاريخ الدول الإسلامية) .

(٢) ولى رضى الله عنه — لعشر خلون من صفر سنة ٩٩ هـ « وكان عمر بن عبد العزيز صاحب عبادة وتلاوة ، فكان الناس إذا تلاقوا فى أيامه سأل بعضهم بعضاً : ما وردك الليلة ؟ وكم تحفظ من القرآن ؟ وكم تقوم من الشهر ؟ » .

(١٢٧ : تاريخ الدول الإسلامية) .

(٣) وقيل : إنه جعل مكانه قوله تعالى : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان . . . الآية » فدحه بذلك الشعراء ومنهم كثير الذى يقول :

وليت فلم تشتم عليا ، ولم تخف بريا ، ولم تتبع مقالة مجرم

(١٢٩ : تاريخ الدول الإسلامية)

يزيد بن عبد الملك :

وكان يزيد بن عبدالملك (١) هو أول خليفة اتخذ قينة ، وغلبت على أمره امرأة ، فكانت حبابة جاريته المغنية تولى وتعزل ، وتطلق وتحبس ، وتأمر وتنهى ! وكان مع ذلك يسرع ، إلى الدماء والأموال ، وعاود عماله ما كانوا عليه من الجور .

هشـــام :

ثم كان هشام بن عبدالملك (٢) بن مروان . كان خشناً ، فظاً ، غليظاً ، بخيلا ، يجمع الأموال ، ويعمر الأرض ، ويستجيد كل شيء يعمل له من الكسوة والفراش ، ويعاقب على التقصير فيه بأغلظ عقوبة . وفى أيامه عمل الخز (٣) والرقم ، وكان الناس جميعاً فى أيام هشام على مثل مذهبه ، فى منع ما بأيديهم ، وقلة الإفضال ، وانقطاع الرفد ، حتى إنه يقال : لم ير زمان أصعب على الناس من زمانه ، وذلك أنه منع ما كانت الخلفاء تفعله من البذل ، والعطايا ، والجوائز ، والصلات . فاستعمل (٤) الناس ذلك ، وسلكوا سبيله ، واقتدوا به . وقال له أبو حازم الأعرج (٥) : إنما أنتم سوق يحمل إليكم ما نفق عندكم .

---

(١) ولى فى رجب سنة ١٠١ هـ وهو « خليع بنى أمية : شغف بجاريتين اسم إحداهما سلامة واسم الأخرى حبابة ، فقطع معهما زمانه » وغنته جبابة يوماً فأقسم أن يطير . فقالت : على من تدع الأمة ؟ قال : عليك ، ، وقبل يدها ، حتى قال خدمه : سخنت عينك ما أسخفك . (١٣١ : تاريخ الدول الإسلامية) .

(٢) ولى فى رمضان سنة ١٠٥ هـ وكان من أحزم بنى أمية إلا أنه بخيلا كان حسودا فظا غليظاً ظلوماً . . . وعمل الخز الرقم وغيره ، والوشى والأرمنى وأصناف الثياب » (٢ : ٣١٨ — اليعقوبى) والرقم — كما فى القاموس : ضرب مخطط من الوشى أو الخز أو البرد .

(٣) الرقم : ضرب مخطط من النسيج .

(٤) فى الأصل : (فاستعملوا الناس ذلك) .

(٥) كان أبو حازم الأعرج من الفقهاء الواعظين أيام هشام . (٢ : ٢٣٠ : اليعقوبى)

الوليد بن يزيد :

وكان الوليد بن يزيد بن عبدالملك (١) صاحب شراب ، ولهو ، وطرب ، وسماع للغناء ، وهو أول من حمل المغنين من البلدان إليه ، وجالس الملهين وأظهر الشراب والملاهي والعزف . وكان في أيامه : ابن سريج المغني ، ومعبد ، **والغريض** ، **وابن عائشة** ، **وابن محرز** ، وطويس ، ودحمان (٢). وغلبت شهوة الغناء على الأشراف ، واتخذ الناس العيدان . وكان متهتكاً ، ماجناً ، خليعاً .

---

(١) ولي لعشر بقين من ربيع الأول سنة ١٢٥ هـ (٢ : ٢٣١ : اليعقوبي) بلغ من مجونه أنه أراد أن يبني على الكعبة بيتاً يجلس فيه للهو ، ووجه مهندساً لذلك . . . (٢ : ٣٣٣ : اليعقوبي) وقد أدى انهماكه في اللهو ومغاضبته أكابر أهله إلى قتله . (٢٥٠ : تاريخ الخلفاء)

(٢) هؤلاء السبعة من أشهر المغنين :

ابن سريج : عبدالله بن سريج ، وكنيته أبويحيى أول من ضرب بالعود على الغناء المتقن بالحجاز بعد طويس . كان يقال : ما خلق الله تعالى بعد داود عليه السلام أحسن صوتاً من ابن سريج . كأنه خلق من كل قلب فهو يغني لكل إنسان .

ومعبد : هو أبوعبادة معبد بن وهب مولى بن قطر من موالي معاوية ، غنى أول دولة بني أمية ومات أيام الوليدبن يزيد الذي تولى في داره تجهيزه ودفنه ومشى متجردا في قيص وراء وبين يدي سريره إلى قبره . وفيه يقول الشاعر :

أجاد طويس والسريجي بعده وما قصبات السبق إلا لمعبد

والغريض : هو عبد الملك وكنيته أبو زيد وقيل أبو مروان وقد لقب بالغريض لطراوة وجهه . . سمعه الوليد بمكة وسر به ، وكانت وفاته أيام سليمان بن عبدالملك .

وابن عائشة : هو محمد بن عائشة ويكنى أبا جعفر ولم يعرف له أب ، أخذ عن معبد ومالك ولم يموتا حتى ساواهما ، وكان يفتن كل من سمعه حتى ضرب به المثل ، طرب الوليد لغنائه حتى كفر وألحد . كما أخبروا — فقال : يا غلام ، اسقنا بالسماء الرابعة . . .

وابن محرز : هو أبو الخطاب بن محرز مولى بني عبد الدار أخذ عن عزة الميلاء وابن مسجح ، وهو أحد الفحول الخمسة الذين ظهروا في الحجاز .

وطويس : هو عيسى بن عبدالله مولى بني مخزوم ، أول من غنى بالعربية فيالمدينة من الموالي وألقى الخنث بها .

ودحمان : عبد الرحمن بن عمر مولى بني ليث بن بكر . استقدمه الوليد فظل أثيراً عنده إلى نهايته . (انظر أخبارهم في الأغاني ، وجمهرة المغنين ، وكتب تاريخ الأدب) .

يزيد بن الوليد :

وكان يزيد بن الوليد بن عبدالملك (١) ، فلم تطل أيامه فتعرف أخلاقه ومذهبه ، إلا أنه كان يقول بالاعتزال ويحاج فيه .

مروان بن محمد :

وكان مروان بن محمد بن مروان بن الحكم (٢) ، فكان فى أيامه كلها فى لهو ولعب ، إلا أنه أول خليفة أظهر العصبية ، وأوقعها من المنابر ، وكان كاتبه عبد الحميد بن يحي بن سعد صاحب الرسائل ، وكان فى أول أمره معلماً ، وهو أول من أطال الرسائل واستعمل التحميدات فى فصول الكتب ، فاستعمل الناس ذلك بعده .

ذكر خلفاء بنى العباس

أبو العباس السفاح :

ولى أبو العباس أمير المؤمنين ، وهو عبدالله بن محمد بن على بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب(٣) . وكان أول ما فعله فامتثله الناس ، أنه خطب على المنبر قائماً ، وكانت بنو أمية تخطب قعوداً ، فناداه الناس : يا ابن عم رسول ، أحييت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان سريعاً إلى

---

(١) ملك يزيد بن الوليد مستهل رجب سنة ١٢٦ ﻫ وكانت ولايته خمسة أشهر ، وسمى الناقص ، لأنه نقص من أعطيات أهل الحجاز . (١٣٦ : تاريخ الدول الإسلامية . و ٢ : ٣٣٥ اليعقوبى) .

(٢) ملك فى صفر سنة ١٢٧ ﻫ وكان قد سبقه إبراهيم بن الوليد فلم يلبث غير أربعة أشهر ، ومروان هو آخر خلفاء بنى أمية ، وعنه انتقلت الدولة إلى بنى العباس . (١٣٨ : تاريخ الدول الإسلامية) .

(٣) بويع بالخلافة سنة ١٣٢ ﻫ (١٥١ : تاريخ الدول الإسلامية) .

الأمر بسفك الدماء (١) : فسفك له الأشعث بالمغرب ، وصالح بن على بمصر ، وسفك خازم (٢) بن خزيمة ، وسفك حميد بن قحطبة بالعراق ، وسفك عبدالله بن على بالشام ، وسفك داود بن على بالحجاز ، ، وسفك يحيى بن محمد أخوه بالموصل ، وكان مع ذلك سمحا ، وصولا ، جواداً بالمـــال .

أبو جعفر المنصور :

وكان أبو جعفر المنصور ، عبدالله بن محمد (٣) ، فكان أول هاشمى أوقع الفرقة بين ولد العباس بن عبدالمطلب وأبى طالب بن عبد المطلب ، حتى قيل : عباسى وطالبى . وقيل : كان ذلك أمر بنى هاشم كلهم . وكان أول خليفة اتخذ المنجمين ، وعمل بالنجوم ، وكان أول خليفة ترجم الكتب القديمة العجمية ، ونقلها إلى اللسان العربى ، وفى أيامه ترجم كتاب (كليلة ودمنة) وترجم كتاب السندهند (٤) ، وترجم كتب أرسطاطاليس ،

---

(١) من ذلك أنه كان فى مجلس الخلافة يوماً وعنده سليمان بن هشام فدخل سديف الشاعر فقـــال :

لا يغرنك ما ترى من رجـــال   إن تحت الضـــلوع داء دويا
فضـع السيف وارفـع السوط حتى   لا ترى فـوق ظهـــرها أمويا

فلم يلبث سليمان أن قتل . وكان عنده سبعون من بنى أمية على طعام فقتلوا جميعاً لأبيات استفزه بها من يقول :

لا تقيـــلن عبد شمس عثـــارا   واقطعـــن كل رقلـــة وغـــراس
ذلهـــا أظهـــر التـــودد منهـــا   وبهـــا منكم كحـــز المـــواسى

(١٥١ : تاريخ الدول الإسلامية)

(٢) دعاه أبو جعفر المنصور مع ابراهيم بن عقيل لينطلقا فى عشرة من الرجال إلى ابن هبيرة فكانت نهايته ونهاية أهله وخدمه على يد خازم ومن معه .

(٣٥٥ : الإمامة والسياسة)

(٣) تولى الخلافة : أبو جعفر لاثنتى عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة ١٣٦ هـ .

(٤) السندهند : معناه دهر الدهور ، ينسب إلى برهم ، وهو من كتب الهند القديمة الفلك ، وقد اختصر منه الأرجهر والمجسطى .

وكتاب المجسطى (١) لبلطليموس ، وكتاب إقليدس ، وكتاب الأرثماطيقى (٢) وسائر الكتب العجمية فى النجوم ، والحساب ، والطب ، والفلسفة ، وغير ذلك ، ونظر فيها الناس . وفى أيامه أيضاً وضع محمد بن إسحاق بن يسار كتب المغازى ، ولم تكن قبل ذلك مجموعة ولا معروفة . وكان أول خليفة بنى مدينة فنزلها ، ، وهى مدينة بغداد ، وأخذ له الطالع فى الوقت الذى اتخذ بنيانها [فيه] (٣) فقيل له : إنه لا يموت بها خليفة .

وكان أبو جعفر قد نظر فى العلم ، وروى الحديث ، وكثرت علوم الناس ورواياتهم فى أيامه . وكان أول خليفة استعمل مواليه وغلمانه ، وقدمهم على العرب ، فامتثلت ذلك الخلفاء من ولده بعده .

المهـــدى :

وكان المهدى (٤) سمحا ، سخياً كريماً جواداً بالأموال ، وكان الناس فى عصره على مثل مذهبه ، واتسع الناس فى أيام المهدى فى معايشهم ، وكان إذا ركب حملت معه البدر ، فلا يسأله أحد إلا أعطاه بيده (٥) . فتشبه الناس

---

(١) المجسطى : كتاب لبطليموس ، فى علم النجوم والحركات الفلكية اختصره من السندهند . (١ : ١٣٣ — اليعقوبى) .

(٢) الأرثماطيق : كتاب فى علم العدد وأنواعه ، والخواص الحسابية ، ألفه نيقوماخس الحكيم الفيثاغورى ، أبو أرسطوطاليس اليونانى (١ : ١٢٣ : اليعقوبى) .

(٣) مزيد .

(٤) بويع المهدى بمكة سنة ١٥٨ هـ « وكان المهدى شهماً ، فطنا ، كريماً ، شديداً على أهل الإلحاد والزندقة ، لا تأخذه فى إهلاكهم لومة لائم ، وكانت أيامه شبيهة بأيام أبيه فى الفتوح والحوادث والخوارج ، وكان يجلس فى كل وقت لرد المظالم » (١٧٩ : تاريخ الدول الإسلامية) .

(٥) انقطع المهدى عن عسكره مع أحد خواصه فى الصيد ، فجاع فأوى إلى نبطى فأطعمهما مما عنده ، فسأل المهدى صاحبه أن يقول فى ذلك شعرا ، فقال :

إن من يطعم الربيثاء بالزيت وخبز الشعير والكـــرات
لجـــدير بصفعـــة أو بثنتين لســـوء الصنيـــع أو بثـــلاث

فقال المهدى لبئس ما قلت : إنما كان ينبغى أن تقول :

لجـــدير ببـــدرة أو بثنتين لحسن الصنيـــع أو بثـــلاث

فلما وافاهم العسكر والخزائن والخدام أمر للنبطى بثلاث بدر وانصرف .

(١٧٩ : تاريخ الدول الإسلامية)

به ، وكان قصده قتل الزنادقة ، وذلك أنهم كانوا قد كثروا ، وكان ابن المقفع ترجم من كتب مانى الثنوية (١) ، وكتب أيضاً فى التنوية وغيرها ، وما وضعه ابن أبى العوراء ، وحماد عجرد ، ويحي بن زياد ، ومطيع بن إياس (٢) ، وملأوا به الأرض من كتب الملحدين ، وكثرت الزنادقة ، وفشت كتبهم فى الناس . وكان أول خليفة أمر المتكلمين أن يضعوا الكتب على أهل الإلحاد . وبنى المسجد الحرام على ما هو عليه إلى هذه الغاية . وبنى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الزلازل هدمته .

موسى بن المهدى :

ثم كان موسى بن المهدى (٣) ، فكان جباراً ، وكان أول خليفة مشت الرجال بين يديه بالسيوف المسللة والعمد ، والقسى (٤) الموترة ، فتشبه عماله به ، وذهبوا مذهبه .

---

(١) مانى بن فتق أوفاتك ظهر زمان سابور بن أردشير ، كان مجوسياً فأحدث دينا بين المجوسية والنصرانية هو الثنوية : نسبة إلى اثنين أزليين يقودان العالم متساويين فى القدم ، هما النور والظلمة خالق خير وخالق شر . وقد ترك مانى كتباً كثيرة فى بيان مذهبه (٢ : ٤٩ : الملل والنحـل) . و (١ : ١٥٩ : اليعقوبى) .

(٢) اتهم هؤلاء الأربعة بالزندقة والفساد ، غير أن من المترجمين من لا يذكر ابن أبى العوراء فى الزنادقة .

وهو فليح ابن أبى العوراء مولى بنى مخزوم من أهل مكة ، أول المغنين الذين رفع المهـدى بينه وبينهم الستار فغناه مواجهة . كان من أهل العربدة والشراب .

أما حماد عجرد بن عمر بن يونس فهو من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية . شاعر متهم بالزندقة وهو ممن نادموا الوليد بن يزيد ، وكان بينه وبين بشار أهاج مقذعة .

ويحيى بن زياد بن عبيدالله الحارثى شاعر ماجن يرمى بالزندقة ، من أهل الكوفة توفى أيام المهـدى العباسى .

ومطيع بن إياس الكنانى شاعر ماجن متهم بالزندقة كان صديقاً لحماد عجرد توفى أيام المهدى كذلك .

(٣) هو موسى الهادى ، بويع سنة ١٦٩ هـ وكان « متيقظاً ، غيوراً ، كريماً ، شهماً ، أيدا ، شديد البطش ، جرىء القلب ، مجتمع الحس ، ذا إقدام وعزم وحزم » (١٨٩ : تاريخ الدول الإسلامية) .

(٤) القسى : جمع قوس : من آلات القتال . والموترة : المجهزة بشد أوتارها . استعداداً لإستعمالها .

هارون الرشيد :

ثم كان هرون الرشيد بن المهدى (١) فكان متابعاً للحج والغزو ، وبنى المصانع والقصور فى طريق مكة والمدينة ، وبمكة والمدينة ، ومنى وعرفات وبنى ثمانية ثغور : مثل طرسوس وغيرها ، وبنى دوراً للمرابطين . فتشبه أهله وعماله وأصحابه وكتابه به ، فلم يبق أحد إلا بنى بمكة داراً ، وبالمدينة دارا ، وبطرسوس داراً ، تشبهاً به ، وعملا بمثل عمله ، وكان أكثرهم لذلك فعلا ، وأحسنهم أثراً ، زوجته أم جعفر بنت جعفر بن المنصور ، (٢) ثم البرامكة وزراؤه ، وغيرهم من مواليه . وكان الرشيد مع ذلك أول خليفة ضرب بالصوالجة ، والطباطب ، ورمى بالنشاب (٣) فى البرجاس ، وقدم أهل الحذق بذلك ، وأول خليفة لعب بالشطرنج والنرد ، وقدم اللعاب ، وأجرى عليهم الأرزاق ، وأول خليفة اتخذ القيان (٤) من بنى هاشم ،

---

(١) بويع هارون الرشيد بالخلافة سنة ١٧٠ هـ .

(٢) هى زبيدة أم محمد الأمين ، هاشمية أصيلة ، حتى قيل : « لم يكن فى الخلفاء هاشمى لأ بوين غير على بن أبى طالب ومحمد » الأمين بن الرشيد (٢ : ٤٣٣ : اليعقوبى) .

وكانت من شهيرات النساء فصاحة ، حتى قال المأمون ، وقد عزت نفسها بهعن ابنها بعد مصرعه بأوجز عبارة وأوقع معنى : « ما تلد النساء مثل هذه ! فماذا أبقت فى هذا الكلام لبلغاء الرجال ؟ » (٢١٩ : خلاصة الذهب المسبوك) .

أعرس بها الرشيد سنة ١٦٥ هـ فى خلافة المهدى ببغداد » (١٠ : ١٢١ تاريخ الأمم والملوك)

(٣) الصوالجة : جمع صولجان وهو المحجن : عود معوج الطرف يجذب به الشىء . والطباطب جمع طبطابة : خشبة عريضة تلعب بها الكرة . والنشاب : النبل ، مفرده نشابة بالتاء .

(٤) أخذ الرشيد بحظ من الدنيا لم ينسه عمل الآخرة ، وتاريخه حافل بالبر والصلاح وتكريم العلماء والواعظين ، والبكاء الناشىء عن سرعة التأثر كلما سمع أو رأى ما يذكر بالموت والدار الآخرة . قال الأصمعى : صنع الرشيد طعاماً ، وزخرف مجالسه ، وأحضر أبا العتاهية ، وقال : صف لنا ما نحن فيه من نعيم الدنيا فقال :

عش ما بدالك سالماً ... فى ظل شاهقة القصور

فقال الرشيد أحسنت ! ثم ماذا ؟ فقال :

يسعى إليك بما اشتهيت لدى الرواح أو البكور

فقال : حسن ! ثم ماذا ؟ فقال :

فإذا النفوس تقعقعت ... فى ظل حشرجة الصدور

فهناك تعلم موقنا : ... ما كنت إلا فى غرور

فتشبه الناس جميعاً به ، وسلكوا سبيله ، وكان وزراؤه من البرامكة ، فكان الحسن بن خالد يحب الحكمة والكلام والنظر ، ففى أيامه كثر المتكلمون ، وجادلوا ، وناظروا ، ووضعوا الكتب ، منهم : هشام بن الحكم ، وضرار ابن عمرو ، ومعمر بن عمر ، وهو أيضاً نظر فى كتب الكيمياء ، فكانت البرامكة سمحاء كرماء ، أجواداً معطين مفضلين ، فتشبه عمالهم والناس جميعاً بهم ، حتى إن أيام الرشيد كانت تسمى لكثرة من كان بها من المفضلين أيام العرس .

وأفعال البرامكة مشهورة معروفة ، ولم يكن فى ناحية الرشيد إلا مفضل إما حقيقة وإما على التشبيه .

وكان الرشيد أول خليفة كتب فى صدور الكتب : « وأسأله أن يصلى على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم » فامتثلت الخلفاء ذلك بعده . وأول خليفة يلبس القلنسوة الطويلة الرصافية ، وأول خليفة كتب على الأعلام السود بالبياض « لا إله إلا الله محمد رسول الله » .

أم جعفـــر :

وأما أم جعفر بنت جعفر بن المنصور ، فإنها كانت تريد أن تتقـــدم الرشيد فى كل شىء من جد وهزل ، فأما الجد فالآثار الجميلة التى (١) ليس فى الإسلام مثلها : فإنها حفرت عين المشاش ، وساقتها اثنى عشر ميلا إلى مكة ، وأنفقت عليها ألف ألف وسبعمائة ألف دينار ، ثم اتخذت المصانع ، والسقايات ، والمتوضآت حول المسجد الحرام ، وبنت دور السبيل ، ومصانع بمنى وعرفات ، وسقايات ، وحفرت آباراً فى منى على طريق مكة ، ووقفت على ذلك ضياعاً غلتها ثلاثون ألف دينار فى السنة ، وبنت فى الثغور دور السبيل ، وعملت البيمارستانات ، وحبست ضياعاً على الثغور ، وعلى الفقراء والمساكين ، غلتها مائة ألف دينار .

= فبكى الرشيد ، فقال الفضل بن يحيى : بعث إليك أمير المؤمنين لتسره فحزنته ، فقال الرشيد : دعه فإنه رآنا فى عمى فكره أن يزيدنا منه (١٩٣ : تاريخ الدول الإسلامية وأحاديث الوعاظ معه كثيرة رائقـــة .

(١) فى الأصل : (الذى) .

وأما ما يتلين به الملوك وينعمون به ، فهى أول من عمل فى الإسلام الآلة من الذهب والفضة المكللة بالجوهر ، واتخذت رفيع الوشى ، حتى بلغ ثوب وشى عمل لها خمسين ألف دينار ، وأول من اتخذ الشاكرية من الخدم والجوارى : يركبون الدواب ويختلفون برسائلها وكتبها . وأول من عمل القباب بالفضة والآبنوس والصندل ، ورايتها وكلاليبها من الذهب والفضة ، ملبسة الوشى والسمور (١) والديباج ، والخز والملحم والدبيقى ، وأول من اتخذ القمص اللؤلؤ مفصلة بالجوهر وشمع العنبر ، وتشبه النـــاس بأم جعفر فى جميع أفعالها .

محمد الأمين :

وكان محمد الأمين بن الرشيد (٢) ، وأمه أم جعفر ، فقدم الخـــدم وآثرهم ، ورفع منازلهم ، فلما رأت أم جعفر [اصطفاءه](٣) الخدم ، اتخذت الجوارى المعدودات الحسان الوجوه ، فطرت (٤) رءوسهن ، وجعلت لهن الطرر والأصداغ وشعور الأقفاء ، وألبستهن الأقبية والمناطق (٥) . وكانت

---

(١) السمور : كتنور فراء ثمينة تؤخذ من دابة بهذا الاسم .

(٢) بويع له سنة ١٩٣ ﻫ للنصف من جمادى الآخرة (١٠ : ١٢٤ – تاريخ الأمم والملوك)
وحين عهد إليه الرشيد قال : سلم الخاسر وكان الأمين ابن خمس سنين :

قد وفق الله الخليفــة إذ بنى ... بيت الخلافة للهجــان الأزهر
فهو الخليفة عن أبيه وجــده ... شهدا عليــه بمنظر وبمخـبر
قد بايع الثقلان فى مهد الهدى ... لمحمد بن زبيدة ابنة جعفــر

(١٠ : ٥٣ – تاريخ الأمم والملوك)

اشتغل الأمين عن الخلافة وتبعاتها الجسام « . . . طلب الخصيان وابتاعهم ، وغالى بهم ، وصيرهم لخلوته فى ليله ونهاره ، وقوام طعامه وشرابه ، وأمره ونهيه . . . ووجه إلى جميع البلدان فى طلب الملهين ، وضمهم إليه وأجرى عليهم الأرزاق . . . واحتجب عن إخوته وأهل بيته وقواده واستخف بهم ، وقسم ما فى بيوت المال وما بحضرته من الجوهر فى خصيانه وجلسائه ومحدثيه . . . (١٠ : ٢١٥ – تاريخ الأمم والملوك)

(٣) بدل من لفظ غامض .

(٤) الطرة بالضم . . . أن تقطع للجارية فى مقدم ناصيتها كالعلم تحت التاج (القاموس المحيط) .

(٥) المناطق : جمع منطقة أو منطق على وزن مكنسة أو منبر ما يشد به الوسط . والأقبيـة : جمع قباء بفتح القاف ثوب خارجى ذو شكل معين كالجبة .

ولى من فعل ذلك ، وبعثت بهن إليه ، وأبرزتهن للناس ، فاتخذ الناس من الخاصة والعامة الجوارى المطرورات ، وألبسوهن الأقبية والمناطق ، وسموهن الغلاميات (١) ، وقصرت أيام محمد حتى قتل .

المــأمون :

وكان المأمون أمير المؤمنين ابن الرشيد (٢) ، فكان فى أول خلافته يغلبه الفضل (٣) ، يستعمل النجوم والنظر فيها ، ويذهب مذاهب ملوك الفرس ، ويشتهى قراءة الكتب القديمة ، فلما قدم العراق اطرح ذلك ، وأظهر القول بالعدل والتوحيد ، وجالس المتكلمين ، والفقهاء ، والأدبا وأقدمهم من البلدان ، وأجرى لهم الأرزاق ، فكثر المتكلمون فى أيامه ووضع كل امرىء كتاباً ينصر قوله ويرد على من خالفه ، وكان أكرم الناس عفوا ، وأشفقهم (٤) مقدرة ، وأجودهم بالمال ، وأبذلهم للعطايا ،

فأما عفوه : فإنه عفا عن إبراهيم بن المهدى وقد خلعه إبراهيم بعد أن كان عامله على البصرة ، ودعا لنفسه ، وتسمى بأمير المؤمنين ، وحارب أصحابه . وعفا عن الفضل بن الربيع ، وهو الذى كان حمل محمداً (٥) على خلعه من ولاية العهد ، ووجه الجيوش لمحاربته ، ثم أعطاه الأمان فنكث ودعا الناس إلى البيعة لإبراهيم بن المهدى . وعفا عن سليمان بن أبى جعفر ابن سليمان وقد خلعه وقال فيه أقبح القول . وعفا عن نعيم بن خازم وقد أقام يحاربه عدة سنين . وعفا عن عيسى بن محمد بن أبى خالد — وقد نكث بيعته مرة بعد أخرى وحارب أصحابه — حتى صار صاحب شرطته ، وعفا عن

(١) نسبة إلى الغلام للمشابهة فى المظهر .

(٢) بويع له ، البيعة العامة ببغداد سنة ١٩٨ هـ .

(٣) الفضل بن الربيع من أعاظم رجال الأمين ثم المأمون بعد عفوه عنه .

(٤) مكان (أشفقهم) غير واضح فى الأصل .

(٥) هو محمد الأمين أخو المأمون .

سهل بن سلامة المطوعى ، وكان يلبس الصوف ، ويعلق المصحف فى عنقه ، ويأمر الناس بخلع المأمون ، وألا يعطيه أحد طاعة . وعفا عن مهدى بن علوان السارى ، وقد تسمى بأمير المؤمنين ، وحارب أصحابه ، فظفر به بغير عصمة ولا أمان . وعفا عن دعبل الشاعر وقد هجاه بأقبح هجاء (١) . وعفا عن عبيد الله بن السرى بن الحكم المتغلب على مصر ، وقد أقام يحاربه عدة سنين.

وعفا عن محمد بن جعفر بن محمد العلوى وقد خرج بمكة وتسمى بأمير المؤمنين .

وعفا عن زيد بن موسى بن جعفر ، وقد خرج بالبصرة وخلع المأمون .

وعفا عن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد العلوى ، وقد خرج باليمن وحارب الجلودى (٢) . وعفا عن جميع المتغلبين : مثل رباح بن أبى دمنة المتغلب بديار ربيعة ، والعباس بن زفر الهلالى ، المتغلب بقورس من جند قنسرين ، ونصر بن شبت العقيلى ، المتغلب بديار مصر ،مع محاربته أياماً ، وعن عثمان بن ثمامة العبسى الخارج عليه بالحجاز ، وعن الحوازى ابن حنطان التنوخى ، الخارج محاصر تنوخ . وعن غير هؤلاء ممن لو ذكرناه لطال الكتاب . وقال : حبب إلى العفو حتى ما أرانى أوجر عليه ! (٣) .

وأما الجود والسماحة فإنه أمر فى يوم واحد لثلاثة نفر بألف ألف وخمسمائة ألف دينار ، لكل واحد خمسمائة ألف دينار . وقل المال فى بيت المال ،

---

(١) من هجاء دعبل للمأمون قوله :

إنى من القوم الذين سيوفهم قتلت أخاك وشرفتك بمقعد !
شادوا بذكرك بعد طول خموله واستنقذوك من الحضيض الأوهد

فلما بلغه لم يزد على أن قال : قاتله الله ما أشد بهتانه ! متى كنت خاملا وفى حجر الخلافة نشأت وبدرها أرضعت ؟ .

(٢) هو عيسى بن يزيد الجلودى من قواد الجيش فى دولة المأمون .

(٣) تمامه فيما نقلوا : « ولو علم الناس حبى للعفو لتقربوا إلى بالجرائم » (١٩٢ : خلاصة الذهب المسبوك) .

فجمع أصحابه وقال : إنه قد قل وأضر ذلك بنا وبأوليائنا ، فاستقرضوا لنا من التجار مقدار عشرة آلاف درهم إلى أن تأتى الأموال فنردها . فقام غسان بن عباد فذكر ما أنعم به عليه ، وعرض ثلاثين ألف ألف درهم ، وقال : هى حاصلة عندى . وقام حميد بن عبد الحميد الطوسى وقال مثل ذلك . وقام من حضر من أصحابه فعرض ما عنده ، حتى بلغ ما عرضوا عليه مائة ألف ألف (١) وستة وخمسين ألف ألف درهم ، فلم يقبل من أحد منهم شيئاً وجزاهم (٢) الخير .

وتأخرت الأموال ، وبشر بموافاة مال خراج فارس ، فركب ينظر إليه ، ثم فرقه كله ، فلم يبق إلا مقدار عطاء الجند ، فأمر المعلى بن أيوب بقبضه .

وكان أصحابه ، ووزراؤه ، وكتابه ، وقواده ، يتقيلون (٣) فعله ، ويسلكون سبيله ، ويذهبون مذهبه . فمنهم : الحسن بن سهل ، وكان أكرم الناس وأجودهم وأكثرهم إفضالا ، وأحملهم لنازلة فادحة ، وأصبرهم على إعطاء كل من سأله (٤) وكان حميد بن عبد الحميد الطوسى جواداً سمحاً مفضلا ، ووقف ضياعاً غلتها فى السنة مائة ألف دينار على أهل البيوتات وذوى الأقدار ، وكان لا يرد أحداً .

---

(١) فى الأصل (وستا) .

(٢) دعا لهم أن يجزيهم الله الخير .

(٣) فى القاموس : تقيل أباه : أشبهه ، والمراد : يتشبهون به فى فعله .

(٤) وقف بباب الحسن رجل يلتمس صلته ، فاشتغل عنه قليلا بمهم له ، فكتب الرجل إليه :

المال والعقل مما يستعان به على المقام بأبواب السلاطين
وأنت تعلم أنى منهما عطل إذا تأملتنى يا ابن الدهاقين
أما تدلك أثوابى على عدمى والوجه أنى رئيس فى المجانين
والله يعلم ما للملك من رجل سواك يصلح للدنيا وللدين

فأمر له بعشرة آلاف درهم ، ووقع فى رقعته :

أعجلتنا فأتاك عاجل برنا قلا ، ولو أنظرتنا لم نقلل
فخذ القليل وكن كأنك لم تسل ونكون نحن كأننا لم نسأل

وكان غسان بن عباد سمحا : فرق فى يوم واحد ثلاثة عشر ألف ألف درهم ، وكان إذا سأله أحد حاجة يكلم فيها المأمون أعطاه من ماله وكلم المأمون .

وكان عبدالله بن طاهر عظيم المروءة ، حسن الاحتمال ، حسن الإجمال : أمر فى يوم واحد لثلاثة من أصحابه بثلاثمائة ألف دينار ، لكل واحد بمائة ألف دينار ، ولثلاثة نفر بمائة وخمسين ألفا ، لكل واحد بخمسين ألف دينار .

وكان على بن هشام أسمح الناس ، وأحسنهم مروءة ، وكان مطبخه يحمل إذا سافر على سبعمائة بعير . وكان أحمد بن يوسف كاتبه عظيم المروءة ، وكان الناس عامة على أخلاق محمودة .

وشغب الجند ببغداد فكثر ضجيجهم لتأخر أرزاقهم ، فخرج إليهم فرج الرحجى فضمن لهم أرزاق سنة ، ثم دفعها إليهم من ماله .

وكان [المأمون] (١) أول خليفة كتب على علوانات كتبه « بسم الله الرحمن الرحيم » وأول خليفة صير ديوان العرض للجند ، وأول خليفة أرخ الكتب باسم كاتبه وإنما كانت تؤرخ باسم المحرر . . . (٢) هذه الرسوم .

المعتصـــم :

ثم كان المعتصم ، وهو محمد بن هرون الرشيد (٣) ، فسلك فى المقالة فى

---

(١) مزيد لطول الفصل .

(٢) بالأصل كلمة مبهمة ، وفى المناسبة يقول هلال بن المحسن : « وشاهدت كتاباً بخط المأمون — صلوات الله عليه — وفى آخره : وكتب أمير المؤمنين بيده . ثم اعتدت هذه الحـال منزلة فيها نباهة وجلالة فأضافها الوزراء إلى نفوسهم وجعلوا ما يصدر من الكتب تولوها أو تولاها كتابهم عنهم بأسمائهم . . . » .

ص ١٢٤ رسوم دار الخلافة لأبى الحسن هلال ابن المحسن الصابىء — بتحقيق ميخائيل عواد بغداد ١٩٦٤ .

(٣) بويع للمعتصم لاثنتى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ٢١٨ هـ وكان المعتصم ظاهر الحزم والمناقب وإعزاز الدين ، وكان له فى خلافته فتوح لم تكن لأحد من الخلفاء ، وهى ثمانية بلدان منها عمورية ، وقتل ثمانية ملوك لكل منهم معه خبر طريف يطول بيانه . قيل : لم يكن فى بنى العباس من قبله أشجع منه ولا أتم تيقظاً فى الحرب ولا أشد قوة ، وكان يلوى العمود الحديد حتى يصير طوقاً ، ويشد على الدينار بإصبعه فيمحو كتابته . (٢٢١ : خلاصة الذهب المسبوك) .

الدين مذهب المأمون ، وكان الذى غلب عليه الفروسية والتشبه بالعجم ، فلبس الثياب الضيقة الأكمام ، فضيق الناس أكمام ثيابهم ، ولبس الخفاف الكبار ، والشاش المربعة . وكان أول من لبس شاشية مربعة ، فلبسها الناس تشبهاً به ، ونسبت إليه . فقيل (١) : الشاش المعتصمية . .

وكان أول خليفة ركب السروج المكشوفة ، واتخذ الآلات العجمية ، فتشبه الناس به ، ولم يكن فى عصره من وزرائه ، وقواده ، وكتابه ، من يوصف بإعطاء ولا جود ولا احتمال إلا الحسن بن سهل على تقاصر أحواله ، وابن أبى دؤاد ، فإنه كان ذا فضل ومعروف كثير ، وكان ابن أبى دؤاد غالباً على أمره ، مقدماً عنده .

الواثق :

ثم كان هرون الواثق بن المعتصم (٢) ، فكان مذهبه فى الدين والقول بالعدل والتوحيد على مذهب أبيه المعتصم وعمه المأمون ، وأظهر ذلك ، وامتحن عليه ، وعاقب من خالفه ، وحبس من أبدى عناداً فيه ، وكتب إلى القضاة فى الآفاق أن يمتحنوا العدول فلا يقبلوا شهادة من لم يقل بقوله ، فغلب هذا على الناس ، وتقربوا به إلى ابن أبى دؤاد ، وإلى القضاة ، ولم يكن فى عصره من يفزع إليه إلا ابن أبى دؤاد .

وكان الواثق كثير الأكل واسع الطعام ، كثير الصدقات ، متفقداً لأهل بيته فى كل بلد .

---

(١) فى الأصل : (وقيل) .

(٢) ولى الواثق لإحدى عشرة ليلة بقيت من ربيع الأول سنة ٢٢٧ هـ .
(٢ : ٤٧٩ — اليعقوبى)

كان يتشبه بعمه المأمون فى أخلاقه وكرمه وحلمه ، لأنه هو الذى رباه ، فتقيل أفعاله وحج بالناس وأحسن إلى العلويين ، وكان حسن الفكر فى صلاح الرعية ، حافظاً حق من خدمه يتجاوز عن هفواته . (٢٢٢ : خلاصة الذهب المسبوك)

جعفر المتوكل :

ثم كان جعفر المتوكل بن المعتصم (١) ، فأبطل ما كان يقول به الواثق ، وأظهر القول بالسنة والجماعة ، وأطلق من كان فى المحابس ممن حبس بسبب عدوله عن القول بخلق القرآن ، ونهى عن الجدل ، وأمر كل من أطلقه من المحدثين أن يتحدثوا ، فترك الناس تلك (٢) المقالة ، وأنكرها من كان يقول بها ، وارتفع الجدل والمناظرة ، وكان مما أحدثه بناء الحبوس والأروقة التى عليها الأبواب ، فبنى الناس جميعاً بسر من رأى هذا البناء . وآثر لبس الثياب الملحم على جميع الثياب ، فكان لباسه ولباس كل من فى داره من كبير وصغير ، وارتفع ثمن الملحم فى أيامه لجودتها . وكانت أيامه أياماً حسنة ناضرة كثيرة الخير ، على أنه أول خليفة أظهر العبث ، وأطلق فى مجلسه الهزل والمضاحيك ، وأشياء تركنا ذكرها ذاعت فى الناس واستعملوها وجروا فيها.

ولم يكن المتوكل ممن يوصف بإفضال ولا جود ، وكان الفتح بن خاقان أغلب الناس عليه ، وأشدهم تقدماً عنده ، ولم يكن ممن يرجى فضله ولا يخاف مكروهه . وكان عبدالله بن يحي بن خاقان وزيره ، وكان طالباً للسلامة ، له مروءة فى نفسه ، ولا إفضال له على أحد ، إلا أن الناس آمنون منه المكروه ، وكان يعتد عليه بقول لاحقيقة له ، فكان أحمدبن إسرائيل(٣) يقول : تعملنا منه الكذب .

---

(١) ولى المتوكل الخلافة لست بقين من ذى الحجة سنة ٢٣٢ هـ نهى عن الكلام فى القرآن وأطلق من كان فى السجون من أهل البلدان ومن أخذ فى خلافة الواثق جميعاً ، فخلاهم وكساهم ، وكتب إلى الآفاق ينهاهم عن المناظرة والجدل فأمسك الناس . (٢ : ٢٨٤ — اليعقوبى) .

(٢) مقالة العدل والتوحيد .

(٣) أبو جعفر أحمد بن إسرائيل الأنبارى أحد الكتاب الحذاق الأذكياء ، كان يحفظ وجوه المال دخلا وخرجا ، وزر للمعتز وحبس ثم ، أفرج عنه ثم ضرب حتى مات .

محمد المنتصر :

وكان محمد المنتصر بن المتوكل (١) ، فلم تطل أيامه فتعرف مذاهبه ، غير أنه كان بخيلا ، وكان أحمد بن الخصيب (٢) كاتبه ووزيره ، فكان قليل الخير ، كثير الشر ، شديد الجهل .

المستعين :

وكان المستعين : وهو أحمد بن محمد بن المعتصم (٣) ، فكان أول خليفة وسع أكمام الثياب ، فجعلها ثلاثة أشبار ونحوها ، وصغر القلانس وقصرها ، ولا يعرف له مذهب اتبعه الناس عليه ، ولا أخلاق يشبه الناس به فيها ، وشغل عن كل شيء بما تهيأ عليه من المخالفة والخلع .

المعتز :

وكان المعتز : وهو أبو عبدالله (٤) بن المتوكل ، أول خليفة ركب بحلية الذهب ، وكانت الخلفاء تركب بالحلية الخفيفة من الفضة فى المناطق والسيوف والسروج واللجم ، فلما ركب بحلية الذهب اتبعه الناس على ذلك ، ولم تعرف له أخلاق تحمد ولا تذم .

---

(١) ولى المنتصر منذ قتل أبوه فى أربع من شوال سنة ٢٤٧ هـ وكان شيعياً ، ومن شعره :

متى ترفع الأيام من قد وضعنه ... وينقاد لى دهر على جموح
أعلل نفسى بالرجاء وإننى ... لأغدو على ما ساءنى وأروح

(٢) قالوا : كان مقصراً فى صناعته ، مطعوناً عليه فى عقله ، ذا حدة وطيش ، ألح عليه طالب حاجة وهو راكب ، فأخرج رجله من الركاب فركله فى صدره فقال بعض الشعراء :

قل للخليفة : يا ابن عم محمد ... أشكل وزيرك إنه ركال
قد نال من أعراضنا بلسانه ... ولرجله عند الصدور مجال

(٢٣٩ : تاريخ الدول الإسلامية)

(٣) ولى الخلافة لأربع خلون من ربيع الآخر سنة ٢٤٨ هـ .

(٤) بويع لسبع خلون من المحرم سنة ٢٥٢ هـ (٢ : ٥٠٠ — اليعقوبى) لم يكن بسيرته ورأيه وعقله بأس ، إلا أن الأتراك استولوا على كل شيء حتى أصابه مصرعه بقسوتهم سنة ٢٥٥ هـ (٢٤٣ : تاريخ الدول الإسلامية) .

المهتـــدى :

ثم ولى المهتدى (٢) ، وهو محمد بن الواثق ، فذهب إلى القضاء فى الدين ، وجلس للمظالم ، ووقع بخطه ، وقرب الفقهاء . وكان يقول : يا بنى هاشم ، دعونى حتى أسلك مسلك عمر بن عبد العزيز ، فأكون فيكم مثله فى بنى أمية ، وتقلل فى اللباس والفراش ، وتوهم الناس عليه أنه يذهب مذهب أبيه فى القول بخلق القرآن .

المعتمـــد :

والمعتمد ، وهو أحمد (٣) بن المتوكل ، فإنه لم تطل أيامه حتى غلب على أمره فآثر اللذة ، واعتكف على الملاهى ، وغلب أخوه أبو أحمد على الأمور حتى حظر عليه وحبسه ، وكان أول خليفة قهر وحجر عليه وحظر .

المعتضد :

ثم كان المعتضد ، وهو أحمد بن أبى أحمد بن المتوكل فكان رجلا شهماً حازماً (٣) .

---

(١) كانت البيعة له لثلاث بقين من رجب سنة ٢٥٥ هـ . جاهد للتخلص من سلطان الأتراك ، ولكنهم تغلبوا عليه حتى أصيب بجراح أعقبها موته ، لأربع عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ٢٥٦ هـ (٢ : ٥٠٦ — اليعقوبى) .

(٢) بويع المعتمد سنة ٢٥٦ هـ وكان مستضعفاً ، وكان أخوه الموفق طلحة الناصر هو الغالب على أموره ، إذ كانا كالشريكين فى الخلافة : للمعتمد الخطبة والسكة والتسمى بأمير المؤمنين ، ولأخيه طلحة الأمر والنهى (٢٥٠ : تاريخ الدول الإسلامية) .

(٣) هو أبو العباس أحمد بن الأمير بن أبى أحمد طلحة الموفق بن جعفر بن المتوكل ، بويع يوم الاثنين ثانى عشر رجب سنة ٢٧٩ هـ وكان ذا رأى وحزم وشجاعة وعدل فى الرعية وإلزام لخاصته بالتزام الطريقة المثلى خوفاً من العقاب . وشاع ذلك فى الأجناد حتى سلكوا أحسن مسلك وحج وغزا وفضائله كثيرة وآثاره عظيمة . سمى السفاح الثانى لأنه جدد ملك بنى العباس « توفى المعتضد ليلة الإثنين لثمان بقين من ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين فى قصره المعروف بالحسنى بمدينة السلام » (٢٣٥ : خلاصة الذهب المسبوك) .

هذا ما انتهت به المخطوطة ، ويكون المعتضد قد عاش بعد وفاة المؤلف ما يقارب خمس سنوات ، إذا صح أن وفاة اليعقوبى كانت سنة ٢٨٤ هـ ، كما أنه لو صح ذلك يكون قد عاصر المعتضد مثل هذه المدة ، والله أعلم بالصواب ، وله الحمد فى الأولى والآخرة وهو العزيز الحكيم .

المحقق .

التعريف والنقد

لقاء بين شاعرين

بهاء الدين زهير وابن سعيد المغربى

تحقيق د. سعيدة محمد رمضان

فى هذا النص لقاء بين شاعرين يأتيان فى الطليعة من بين أدباء عصرهما ، أما أولهما فهو بهاء الدين زهير «٥٨١ هـ أو نحو ذلك — ٦٥٦هـ » ، الذى يعد فى نظر كثير من مؤرخى الأدب شاعر عصره بلامنازع ، وسيجىء عنه فى النص ما يجعلنا فى غنى عن الإشادة به ، وأما ثانيهما على بن موسى بن محمد ابن عبد الملك بن سعيد ٦١٠هـ — ٦٨٥هـ ، فإن شهرته كمؤرخ وجغرافى ورحالة طغت على شهرته كأديب شاعر ، والناس حين يذكرونه يقرنون اسمه فى العادة بكتابه « المغرب فى حلى المغرب » الذى طبعت منه أجزاء عديدة ، وكذلك « المشرق فى حلى المشرق » — ولا يزال مخطوطاً — و « الغصون اليانعة فى محاسن شعراء المائة السابعة » و « عنوان المرقصات والمطربات » و « بسط الأرض فى الطول والعرض » و « القدح المعلى فى التاريخ المحلى » و « رايات المبرزين وغايات المميزين » الخ .

وترجم ابن سعيد لنفسه فى كتابه « المغرب » ج ٢ ص ١٧٢ وما بعدها فقـــال :

« هو مكمل لتصنيف هذا الكتاب . ولد بغرناطة فى شوال سنة عشر وستمائة ورحل منها فجال مع أبيه فى بر الأندلس وبر العدوة والمغرب الأوسط وإفريقية إلى الإسكندرية زترك والده بالإسكندرية ورحل إلى القاهرة ثم عاد إليها فحضر وفاته ثم رجع إلى القاهرة ثم رحل إلى حلب فى صحبة الصاحب الكبير المحسن كمال الدين بن أبى جرادة ثم عزم على الحج فى هذه

السنة وهى سنة سبع وأربعين وستمائه . . » وذكر نماذج من شعره تنتهى عند ص ١٧٩ .

وقد ترجم له شوقى ضيف ترجمة ضافية فى صدر طبعة المغرب وبخاصة ص ٥ — ونقل أقوال العلماء فيه كقول لسان الدين بن الخطيب :

« هذا الرجل وسطى عقد بيته وعلم أهله ودرة قومه ، المصنف الأديب الرحالة الطرفة الإخبارى العجيب الشأن فى التجول فى الأقطار ومداخلة الأعيان للتمتع بالخزائن العلمية وتقييد الفوائد المشرقية والمغربية » .

وقبيل الرحلة التى ذكرها هو — أى قبيل الذهاب لحلب — تقابل فى القاهرة مع البهاء زهير ومع غيره من أدباء المشرق مثل ابن مطروح وابن أبى الإصبع وابن سابق وموسى بن يغمور — نائب السلطنة — وقد ألف له ابن سعيد كتابه « رايات المبرزين وغايات المميزين » .

ثم تقابل ابن سعيد مع العالم الحلبى الشهير كمال الدين عمر بن إبراهيم ابن أبى جرادة « المعروف بابن العديم » وكان قد حضر للقاهرة رسولاً من الملك الناصر إلى الصالح نجم الدين أيوب ، سلطان مصر ، فأغراه بالرحلة إلى حلب وأقام فيها من ٦٤٤ — ٦٤٧ هـ ثم اتجه فى هذا التاريخ لدمشق وأصبح فيها من ندماء توران شاه ثم اتجه فى السنة التالية لبغداد ماراً بأرمينية وأرجان ، ثم عرج على الأراضى الحجازية لأداء فريضة الحج ، وعاد بعدها إلى المغرب حيث عمل فى خدمة المستنصر « ٦٤٧ — ٦٧٥ » .

وقد تخللت هذه الرحلة الأخيرة رحلة ثانية للمشرق ، عاد بعدها إلى تونس وتوفى هناك سنة ٦٨٥ بحسب ما يقرره عدد من المراجع المغربية .

وفى بعض المصادر كالمنهل الصافى لابن تغرى بردى أنه توفى بدمشق سنة ٦٧٣ والأول أرجح والنص الذى ننشره الآن يرتكز أساساً على كتاب صلاح الدين الصفدى « الوافى بالوفيات » ويتضمن موقفاً بين بهاء الدين

زهير وابن سعيد نقلا عن كتاب « الغراميات » لابن سعيد وهو كتاب يعد فى حكم المفقود الآن .

وقد جاء فى أطروحة السيد محسن حامد العبادى : « ابن سعيد المغربى حياته وتراثه الفكرى » — القاهرة ١٩٧٢ — ص ٢٥٤ تحت عنوان «الغراميات» :

« وهذا الكتاب لم يصلنا منه إلا النصوص التى نقلها أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغرى بردى (ت ٨٧٤ هـ) فى المنهل الصافى تحت ترجمة الصاحب بهاء الدين زهير » وهذا القول فيه شىء من عدم الدقة لأن الذى جاء فى « المنهل الصافى » منقول بتمامه — فى الحقيقة — من الوافى بالوفيات .

ونضيف أن فى خزانة الأدب لابن حجة الحموى ص ١٠ تلخيصاً لموقف المقابلة بين بهاء الدين زهير وابن سعيد على نحو يدل على أن ابن حجة رجع فيه بدوره إلى كتاب الصفدى .

ولا نجد فى غير « الوافى بالوفيات » » ومن نقل عنه مثل ابن تغرى بردى فى « المنهل الصافى » وابن حجة فى « الخزانة » حديثاً يستحق الذكر عن علاقة ابن سعيد بالبهاء زهير ، وكل ما نجده فى موسوعة المقرى «نفح الطيب ج ٣ ص ٣٩ ط محيي الدين عبد الحميد» لمحة عابرة خلال الحديث عن رحلة ابن سعيد للمشرق :

« ولقى بمصر أيدمر التركى والبهاء زهير وجمال الدين بن مطروح وابن يغمور وغيرهم ، ورحل صحبة كمال الدين بن العديم إلى حلب » .

* * *

المنهج الذى اتبعناه فى تحقيق هذا النص :

(أ) فى الترجمة لحياة البهاء زهير جعلنا المعول على ما أورده ابن تغرى بردى فى المنهل الصافى إذ أنه أكثر إيجازاً مما جاء فى الوافى بالوفيات .

(ب) ذكرنا فى نفس الوقت بالهامش مستهل الترجمة المفصلة التى قدمها صاحب الوافى بالوفيات .

(ج) حين يصل الحديث إلى ما دار بين البهاء و ابن سعيد فإننا نتخذ من الوافى بالوفيات أصلا ونقابله على المنهل الصافى ، إذ أن الصفدى أقدم من ابن تغرى بردى ، والنص الذى فى المنهل اعتمد أساساً على النص كما يجىء فى الوافى بالوفيات مع الأخذ بالرواية الأصح عندما تتطلب القراءة ذلك .

(د) كان المعول فى التحقيق على النسخة المخطوطة بالمكتبة الوطنية بباريس من الوافى بالوفيات مخطوطة رقم ٢٠٦٤ ، ورقة ٨٩ وما بعدها « ورجعنا فيما يتصل بكتاب المنهل الصافى إلى مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس » رقم ٢٠٦٠ ، ورقة ٨٥ وما بعدها » .

[النص]

زهير بن محمد بن على بن يحيي بن الحسن بن جعفر ، الأديب البارع الكاتب بهاء الدين أبو العلاء الأزدى المهلبي المكى ثم القوصى المصرى الشاعر .

ولد سنة إحدى وثمانية وخمس مائة ، وتوفى سنة ست وخمسين وست مائة ، ومولده بمكة وسمع من على ابن أبى الكرم البناء(١) وغيره ، وله ديوان مشهور .

قال بعض الفضـــلاء :

« ما تعاتب الأصحاب ولا تراسل الأحباب بمثل شعر البهاء زهير وشعره فى غاية (٢) الانسجام والعذوبة والفصاحة وهو السهل الممتنع » فهو كما قال فيه سعد الدين محمد بن عربى (٣) : .

لشعر زهير فى النفوس مـــكانة ... فقد حاز من ألبابها وافر الحظ
لقد رق حتى قلت فيه لعله ... يحاول إبراز المعـــانى بلا لفظ

وكان رحمه الله كاتباً كريماً نبيلا جميل الأوصاف حسن الأخلاق ، طويل الروح ، حلو النادرة .

وكان فى مبادىء أمره خدم الملك الصالح أيوب ، وسافر معه إلى الشرق ، فلما ملك الملك الصالح الديار المصرية رقاه إلى أرفع المراتب ، ونفذه رسولا إلى الملك الناصر صاحب حلب يطلب منه أن يسلم إليه عمه الملك الصالح إسماعيل ، فقال : كيف أسيره إليه ، وقد استجار بى وهو خال أبى ليقتله ؟ فرجع البهاء زهير إلى الملك الصالح بذلك فعظم على الصالح ، وسكت عن حنق .

ولما كان الملك الصالح مريضاً بالمنصورة فى حصار الفرنج لها تغير على البهاء زهير وأبعده لأنه كان كثير التخيل والغضب والمعاقبة على الوهم وكانت السيئة عنده ما تغفر .

ولما مات الملك الصالح اتصل البهاء زهير بخدمة الملك الناصر صاحب الشام ، وله فيه غرر مدائح ، ثم رجع إلى القاهرة ولزم داره يبيع كتبه وموجوده حتى انكشف حاله بالكلية .

وكان البهاء فيما قيل ، أسود اللون ، قصيراً بذقن مقرطمة صغيرة ، فكان يسلك مسلك ابن الزبير(٤) فى وضع الحكايات على نفسه حذقاً منه لئلا يدع للناس عليه كلاماً ، من ذلك أنه حكى مرة لجماعة الديوان قال :

« جاءت اليوم إلى امرأة ما رأيت عمرى أحسن منها ، وراودتنى على ذلك الفعل ، فلما كان ما كان أردت أن أدفع إليها شيئاً من الذهب قالت : ما فعلت هذا من حاجة ، ولكن أرأيت عمرك أحسن منى ؟ فقلت لا . فقالت : إن زوجى يدعنى ويميل إلى واحدة ما رأيت عمرى أوحش منها فلما عذلته ونهيته وما انتهى أردت مكافأته . وقد فتشت هذه المدينة فلم أر فيها أوحش منك ، ففعلت معك مقابلة لزوجى . فقلت لها : ها أنا هاهنا كلما اجتمع زوجك بتلك تعالى أنت إلى » انتهى .

قلت ومن شعره :

أغصنَ النّقالولا القوامُ المهفهفُ ... لما كان يهواك المعنّى المعنّفُ
ويا ظبيُ لولا أنَّ فيك محاسِناً ... حَكيْنَ الذي أَهوى لما كنتَ توصَف
كلِفتُ بغصنٍ وهو غُصنٌ مُمَنْطقٌ ... وهِمْتُ بظبيٍ وهو ظبيٌ مُشَنَّفُ
ومما دهانى أننى مِنْ حياتِهِ ... أقولُ : كليلُ الطرفِ وهومضعّفُ
ياظبيُ هلاّ كان منك التفَاتةٌ ... وياغصنُ هلاَ كان منكَ تعطُّفُ

وياحَرَمَ الحُسْنِ الذي هو آمِنٌ ... ومِنْ حوله أَلبابُنا تتخطَّفُ
عسى عطفةٌ للوصلِ ياواوصُدْغِهِ ... وحقِّك إنى أَعرف الواوَ تعطِفُ
أَأَحبابَنا أَما غرامِىَ بعدكم ... فقد زاد عمَّا تعرفون وأَعرِفُ
أَطلتم عتابِى فى الهوى فتطَّولوا ... فبى كَلَفٌ فى حَمْله أَتكلَّفُ
وواللهِ ما ارقتكم عن ملالةٍ ... وجهدى لكم أَنى أَقولُ وأَحلِفُ

وله فى سيف :

برسم الغزاةِ وضربِ العداة ... بكفٍّ همامٍ رفيعِ الهِمَمْ
تَراه إذا اهتز فى كفِّهِ ... كخاطفِ برقٍ سرى فى دِيَمْ

نقلت من خط الأديب على بن سعيد المغربى ما ذكره فى أول كتابه الغراميات له : ثم طرقت البلاد مقطعات للبهاء زهير الحجازى الأصل المصرى الدار ، أنست ما تقدم ، وقالت :كم غادر الشعراء من متردم ، وكان مما لعب بخاطرى لعب الرياح بالغصون ، وتمكن منه تمكن العيون الدعج من الفؤاد المفتون شعره الذى أوله :

تَعَالَوْا بنانطوي الحديثَ الذي جرى ... فلا سمِع الواشي بذاكَ ولادري
تعالوا بنا حتى نعودَ إلى الرضى ... وحتى كأَن العهد لن يتغيرا
ولاتذكروا الذنبَ الذي كان بيننا ... على أنه ما كانَ ذنباً فيذْكَرا

وحملنى الشغف بطريقة هذا الرجل ، على حفظ ما يرد من شعره على أفواه الواردين من الشرق ، إلى أن جمع الله بينى وبينه بالقاهرة حاضرة الديار المصرية :

فَقُلْ فى منهلٍ عذبٍ ... تَمكَنَّ منه عطشانُ

ثم كانت المؤانسة ، فكدت أُصعق لما أَنْشدنى قوله ، وما وجدت روحى معى البتة :

رويدَك قد أفنيتَ يابينُ أدمعِى | وحسبُك قد أحرقتَ ياوجدُ أدمعى
إلى كم أقاسى لوعةً بعد لوعةٍ | وحتى متى يابينُ أنتَ معى معى
وقالوا عَلمنا ما جرى منك بعدَنا | فلا تظلمونى ما جرى غيرُ أدمعِى
رعى اللهُ ذاك الوجه حيثُ توجهوا | وحيَّته عنى الشمسُ فى كلِّ مطلعِ
ويارِبُّ جدِّدْ كلما هبَّت الصَّبا | سلامى على ذاك الحبيبِ المودَّعِ
قفوا بعدَنا تلقَوْا مكانَ حديثنا | به أرجٌ كالمندلِ المتضوعِ(١٠)

وقلت له وقد أعجبه انفعالى لما صدر عنه من هذه المحاسن الغرامية :

« يا سيدى لا يمضى اعتقادى فيكم منذ مدة طويلة وأنا بالمغرب الأقصى ضائعاً ، والغرض كله التهذيب الموصل إلى ما يتعلق بأهداب طريقتكم ، فقد علمتم أن مهيار من عجم الديلم لما شرب من ماء دجلة والفرات وصحب الشريف الرضى نمت أشعاره من خلال أشعاره فتبسم وقال :

ما تنزلت أنت إلى أول طبقة مهيار ولا ترفعت أنا إلى طبقة الشريف (الرضى) لكن كل زمان له رؤساء وأتباع فى كل فن ، وأن تكونوا صغار قوم فستكونوا كبار قوم آخرين . واعلم بأنك نشأت ببلاد ولع شعراؤها بالغوص على المعانى ، وزهدوا فى عذوبة الألفاظ والتلاعب بمحاسن صياغتها المكسوة بأسرار الغرام وطريقة المغاربة فى مثل قول ابن خفاجة :

وعَشِىٍّ أنسٍ أضجعتْنا نشوةٌ | فيها تمهِّدُ مضجعِى وتدمثُ
خلعتْ علىّ بها الأراكةُ ظلَّها | والغصنُ يُصغِى والحمامُ يحدِّثُ
والشمسُ تجنحُ للغروبِ مريضة | والرعدُ يبرقُ والغمامةُ تنفُثُ

وقـول الرصـافى :

غُزيـلٌ لم تزلْ فى الغزلِ جائلةً　　　بنانُهُ جولانَ الفـكرِ فى الغَـزلِ
جذلانُ تلعبُ بالمحواكِ أَنملُـهُ　　　على الشَّدا لعب الأَيامِ بالـدُّولِ
ما إنْ ينى تَعِب الأَطرافِ مشتغلا　　　أفدبه من تَعِبِ الأَطرافِ مشتغِلِ
جْذيا بكفيـهِ أَو فحصـا بإخمصه　　　تخَبُّط الظَّبى فى أَشراكِ مختبِـلِ

لا يشق غبارهم ولا تلحق آثارهم . وأما مثل قول ابن المعلم الواسطى :

وحلوا بـأَفئدةِ الرجـالِ وغادروا　　　بصـدورها فِـكراً هى الأَشجانُ
واستقبلوا الوادي فأَطرقت المهـا　　　وتحـيرتْ بغصونهـا الكُثْبـانُ
فكأَنما اعترفت ضحى بقدورها　　　الأَغصان أَو بعيونِها الغزلانُ

وقول ابن التعاويذي :

إن قلتُ جُرْتَ على ضعفى يقولُ متى
كان المحبُّ من المحبوب منتصِفَـا ؟
وقلتُ أَتلفت روحى قال لا عجب　　　من ذاق طَعْم الهوى يوماً وما تلفا ؟
قد قلتُم الغصن ميـالٌ ومنعطِفُ　　　فكيف مال على ضعفِى وما عَطَفا

فطراز لا يلم به أهل بلادك .

فقلت : المحاسن — أعزك الله — مقسمة ، وفى المغاربة من تنفث فى أشعاره أسحتار الكلام ، وتنم عليها أسرار الغرام ، مثل الوزير أبى الوليد بن زيدون فى قصيدته التى منها :

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحـنا　　　شوقاً إليكم ولا جفت مآقينا

وسرد ابن سعيد القصيدة :

قال (ابن سعيد) ثم أمسكت فقال : ما أنشأت أندلسكم مثل هذا الرجل فى الطريقة الغرامية وأظنه كان صادق العشق .

قلت : نعم ، كان يعشق أعلى منه قدراً ، وأرق حاشية ، وألطف ظرفاً وهى ولادة بنت المستكفى المروانى ، علقها بقرطبة حضرة الملك .

ثم إن ابن سعيد قص عليه ذكر جماعة من المغرب ، وذكر انفصاله من ذلك المجلس ثم قال :

ووصلت إلى ميعاده فوجدته بخزانة كتبه فكانت أول خزانة ملوكية رأيتها ، لأنها تحتوى على خمسة آلاف سفر ونيف ، وذكر أنه أمره بحفظ أشعار التلعفرى والحاجرى (وابن الفارض) وأنه قال له يوماً : أجز :

يابان وادى الأجرع

فقالت   سقيت غيث الأدمع

فقال (البهاء زهير) :

قاربت ولكن طريقتنا أن نقول :

هل ملت من شوق معى ؟

فقلت الحق ما عليه غطاء . هذا أولى

ولازمته بعد ذلك نحو ثلاثة سنين أنشدته فى أثنائها ما يتزيد لى أن أنشدته قولى :

وا طول شوقى إلى ثغورٍ   ملاى من الشهدِ والرحيقِ
عنها أخذتُ الذي تراه   يعذُبُ فى شعرِى الرقيقِ

فارتاح وقال :

سلكت جادة الطريق وما تحتاج إلى دليل . انتهى .

قلت :

توفى صاحب الترجمة فى سنة ست وخمسين وستمائة رحمه الله.

تعليقـــات :

* يترجم الصفدى فى الوافى بالوفيات لحياة البهاء زهير ترجمة مفصلة للغاية تبدأ بـ :

زهير بن محمد بن على بن يحيي بن الحسن بن جعفر العلامة الأديب البارع الكاتب الصاحب بهاء الدين زهير ، أبو الفضل وأبو العلاء الأزدى المهلبي القوصى الأصل المكى المولد ، المصرى الدار والوفاة .

ولد بمكة سنة إحدى وثمانين وخمسمائة ، ونشأ بالقاهرة ، وحفظ القرآن العزيز ، وسمع من على بن أبى البنا وغيره واشتغل وبرع فى عدة علوم كالفقه والعربية واللغة ، وأما الأدبيات فكان يضرب به المثل فيها كان إمام وقته وفريد عصره لا سيما فى البلاغة ورقة الألفاظ . وديوان شعره مشهور .

قال بعض الفضلاء :

« ما تعاتب الأصحاب ولا تراسل الأحباب بمثل شعر البهاء زهير وشعره فى غاية الانسجام والعذوبة والفصاحة وهو السهل الممتنع » .

(١) على بن أبى البنا : ذكره صاحب الشذرات جـ ٥ ص ١٠٠ « طبعة القاهرة » ضمن وفيات سنة اثنين وعشرين وستمائة : وفيها توفى ابن البنا راوى جامع الترمذى عن الكدروخى : أبو الحسن على بن أبى الكرم نصر ابن المبارك العراقى ثم المكى الخلال ، حدث بمصر والإسكندرية وقوص وأماكن ، وتوفى بمكة .

(٢) فى الـــوافى : دعابـة .

(٣) سعد الدين ابن عربى الشاعر ، أبوه المتصوف الشهير محى الدين

بن عربى . ولد سعد الدين فى ملطية ٦١٢ توفى ٦٥٦ فى دمشق . له ديوان مخطوط وبعض كتب أخرى انظر عنه الوافى بالوفيات ١/١٨٦ .

(٤) القاضى الرشيد أبو الحسن بن الزبير صاحب كتاب جنان الجنان أشاد به ابن خلكان كما نوه بأخيه المهذب ابن الزبير وقال إنهما « كانا مجيدين فى نظمهما ونثرهما » . وتشير المصادر إلى أن القاضى الرشيد كان أسود البشرة مشهوراً بالظرف .

انظر عنه ابن خلكان : الوافيات جـ ١ /١٦٠ طبعة إحسان عباس .

(٥) فى المنهل : ذكر الأديب البارع .

(٦) فى المنهل : طرقت البلاد لأكتب من شعر البهاء زهير الحجازى ، فكان مما لعب بخاطرى . . . الخ .

(٧) الوافى : على أن .

(٨) المنهـــل : معـــه .

(٩) المنهـــل : يا شوق أدمعى .

(١٠) ساقط من المنهل .

(١١) الوافى : أســـراره .

(١٢) المنهـــل : لا تنزلت .

(١٣) الـــوافى : أنك .

(٤) المنهـــل : علـــوية .

(١٥) المنهـــل : فطـــريقه .

(١٦) الأبيات فى ديوان ابن خفاجة طبعة د. السيد مصطفى غازى . ط. دار المعارف بمصر ١٩٦٠ – الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية ص ٢٨٥ يتصدرها « وقال يصف عشية يوم أنس » وفيها : أضجعتنى بدلا من أضجعتنا .

(١٧) المنهـــل : أضعجنا .

(١٨) المنهـــل : خلف .

(١٩) أبو عبدالله محمد بن غالب الرصافى ت ٥٧٢ انظر عنه المغرب ٣٤٢/٢ وما بعدها — ابن خلكان ٨/٢ ، المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ٢١٧ — ٢٢٣ — الزركلى : ٢١٧/٧ .

ولم نعثر على الأبيات فى ديوان الرصافى البلنسى ط د. إحسان عباس ١٩٦٠ بيروت . وهى فى المغرب ٣٥٢/٢ ضمن أبيات بعنوان : وقوله فى غلام حائك . وفى المغرب « غزيل لم تزل فى الغزل جائلة » وفى المنهل : وعزيل .

(٢٠) فى المغرب : يلعب بالمحراك .

(٢١) فى المغرب جدبا ، فى المنهل : يحبط الطبى ، فى الوافى تخبط الضبى

وقد قابل شوقى ضيف النص على النفح ١٣٧/٢ /ط أوربا والزيات وسفينة ابن مباركشاه وتسبقها فى المغرب الأبيات التالية :

قالوا وقد أكثروا فى حبه عذلى ... لو لم تهم بمذال القدر مبتـــذل
فقلت لو أن أمرى فى الصبابة لى ... لاخترت ذاك ولكن ليس ذلك لى
علقته حببى الثغر عاطـــره ... ألمى المقبـــل أحوى ساحر المقـــل
إذا تأملته أعطـــاك ملتفتـــا ... ما شئت من لحظات الشادن الغزل

(٢٢) ابن المعلم الواسطى الهرثى ٥٠١ — ٥٩٢ شاعر رقيق من أهل واسط يغلب على شعره الغزل والنسيب مولده ووفاته بالهرت قرب واسط له ديوان شعر مخطوط . انظرعنه الزركلى ١٦٧/٧ — وفيات الأعيان ٢٢/٢ ، النجوم الزاهرة ١٠٢/٦ ، ١٠٤ ، ذيل الروضتين ٩ ، مرآة الزمان ٤٥١/٨.

(٢٣) الوافى : اعترفت لهم .

(٢٤) محمد بن عبيد الله بن عبد الله أبو الفتح ، المعروف بابن التعاويذى أو سبط ابن التعاويذى : شاعر العراق فى عصره ، من أهل بغداد مولده ووفاته فيها ولى بها الكتابة فى ديوان المقاطعات وعمى ٥٧٩ له ديوان شعر وكتاب الحجبة والحجاب انظر عنه النجوم الزاهرة ١٠٥/٦ ، ابن خلكان ١٩/٢ـ٢٢ ، الزركلى ١٤١/٧ ـ عاش من سنة ٥١٩ـ سنة ٥٨٣هـ .

(٢٥) الأبيات فى الديوان ط القاهرة ١٩٠٣ بتحقيق مرجليوث ص ١٩٥ من قصيدة مطلعها :

لم يبق للمشتاق إذ وقفا إلا ادكار رسوم تبعث الأسفا

(٢٦) الوافى : فما تلفا .

(٢٧) فى الديوان : ما قلتم .

(٢٨) المنهل : صعب من .

(٢٩) المنهل : ثم قص عليه

(٣٠) الوافى : طرفا .

(٣١) المنهبل : ثم قصى عليه

(٣٢) الوافى : وصلت .

(٣٣) التلعفرى : محمد بن يوسف بن مسعد الشيبانى ، شهاب الدين ، أبو عبد الله التلعفرى الشاعر من ٥٩٣ ـ ٦٧٥ ـ نسبته إلى تل أعفر ولد وقرأ بالموصل وسافر إلى دمشق فكان من شعراء صاحبها الملك الأشرف موسى الأيوبى له ديوان شعر انظر عنه فوات الوفيات ٢٧٧/٢ معجم البلدان ٤٠٢/٢ الزركلى ٢٥/٩ .

(٣٤) الحاجرى : عيسى بن سنجر بن بهرام الحاجرى حسام الدين شاعر رقيق الألفاظ حسن المعانى تركى الأصل من أهل إربل ينسب إلى حاجر من بلاد الحجاز ولم يكن منها وإنما أكثر من ذكرها فى شعره فنسب

إليها ، قتل غدراً بإربل ٦٣٢ هـ . له ديوان شعر . انظر عنه وفيات الأعيان ٣٩٨/١ الزركلي ٢٨٧/٥ .

(٣٥) عمر بن علي بن مرشد علي الحموي الأصل . المصري المولد والدار والوفاة ، أبو حفص وأبو الفارض ٥٧٦ — شرف الدين بن الفارض ٦٣٢ . أشعر المتصوفين ، يلقب بسلطان العاشقين . في شعره فلسفة تتصل بما يسمى وحدة الوجود انظر عنه وفيات الأعيان ٣٨٣/١ ، شذرات الذهب ١٤٩/٥ الزركلي ٢١٦/٥ .

(٣٦) المنهل : فقال ابن سعيد .

(٣٧) الوافي : صحب .

(٣٨) الوافي : فقال له .

(٣٩) لا نملك تحديداً واضحاً لدلالة كلمة طريقة هنا والطريقة التي ذكرها البهاء زهير تشبه ما جاء في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ١٢ — ١٣ طبعة ليدن ١٩٠٢ « تحقيق دي غويه » من أن المفضل الضبي قال لهارون الرشيد أتعرف بيتاً أوله أعرابي في شملته هاب من نومته كأنما صدر عن ركب جرى في أجفانهن الوسن فركد يستفزهم بعنجهية البدو وتعجرف الشدو ، وآخره مدني رقيق قد غذي بماء العقيق . قال : لا أعرفه قال هو بيت جميل بن معمر ألا يا أيها الركب النيام ألاهبوا . ثم أدركه رقة المشوق فقال :

أسائلكم هل يقتل الرجل الحب ؟

قال صدقت .

وفي الغيث المنسجم للصفدي « ط بيروت ١٩٧٥ » جـ ٢ ص ٣٦٧ خبر مشابه لما ذكره ابن قتيبة فيه أن صاحب « الأغاني » روى عن الهيثم بن عدي قال : قال لي صالح بن حسان يوماً : نصف بيت كأنه أعرابي في شملة والآخر كأنه مخنث يتفكك قلت لا أدري .

قال : أجلتك حولا . . قلت لو أجلتنى عشرا ما عرفته . قال : أف لك ، قد كنت أحسبك أجود ذهناً من هذا .

قلت فما هو ، قال قول جميل :

ألا أيها النوام ويحكم هبوا

هــذا كلام أعراب ثم قال :

نسائلكم هل يقتل الرجل الحب ؟

كأنه والله من مخنثى العقيق .

(٤٠) الوافى : عطاء ،المنهـــل : غطا .

(٤١) المنهل : أنشده فى أثنائها قولى :

(٤٢) البيتان فى بدائع الزهور لابن إياس تحقيق محمد مصطفى القسم الثانى ص ٢١٧ . « فيسبا دى ١٩٧٤ » منسوبان لأبى عبد الله محمد بن أحمد ابن على بن جابر الأعمى صاحب البديعية المشهورة .

فهرس العدد

المحتوى | صفحة

مطبعة التقدم
٤٤ شارع الموادى المنيرة ت ٨٤١٤٤١

رقم الإيداع ٣٢٨ / ٨١